في المصطلح ولغة العلم

In the term and the language of science

الاستاذ الدكتور

مهدي صالح سلطان الشمري

كلية الاداب - جامعة بغداد

بغداد - ٢٠١٢

في المصطلح

ولغة العلم

الأستاذ الدكتور مهدي صالح سلطان

كلّية الآداب . جامعة بغداد

بغداد ٢٠١٢

فهرس المحتويات

المقدمة ٣ . ٤

الفصل الأول : اللغة والعلم ٥ . ٦٠

المبحث الأول : اللغة والفكر ٦

المبحث الثاني : وظائف اللغة وتقويم أدائها ٢١

المبحث الثالث : الاختصاص ولغة العلم ٢٨

المبحث الرابع : اللغة والاشتقاق ٤٥

الفصل الثاني : المصطلح العلمي ٥٨ . ٩٥

المبحث الأول : مفهوم المصطلح وأهميته ٥٩

المبحث الثاني : الترجمة والاصطلاح ٧٢

المبحث الثالث : المصطلح والتعليم ٨٢

المبحث الرابع : المصطلح وخصائص العربيّة ٩٠

الفصل الثالث : تعريب المصطلح العلمي ٩٦ . ١٥٠

المبحث الأول : مفهوم التعريب وأهميته ٩٧

المبحث الثاني : تجارب رائدة في التعريب ١١٣

المبحث الثالث : التعريب والمستقبل ١٢٧

المبحث الرابع : مراجع التعريب الإلكترونية المهمة ١٤٤

الخاتمة ١٥١

الملاحق ١٥٣ . ١٥٥

ملحق بعدد المعجمات المختصة الحديثة في المكتبة العربية ١٥٣

ملحق بأهم معجمات اللغة العربية العامة ١٥٤

المعجمات الموضوعيّة التراثية ١٥٥

المصادر والمراجع ١٥٦. ١٦١

الفهرس ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جلّت تسميته ، وسمت أوصافه ، الذي علّم الإنسانَ ، وشرّف العربيّةَ ، بأشرف لسان ، وأفضلُ الصلاةِ وأتمّ التسليم على النبيّ الأمين ، الذي فتح أبوابَ العلمِ والرحمةِ للعالمين ، وعلى آلهِ الطيّبين الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمّا بعدُ فقد وجدتني أفكرُ في المصطلحِ ولغةِ العلم ؛ وصارت لي معهما تجارب :

الأولى : تدريسُ اللغة العربيّة العامة في كلّيّة طب الكندي ، وقد عرضت في سنتين من سنوات تكليفي لتطبيقات لغويّة على نصوص طبّيّة من التراث ، حاولت فيهما أن أنبّه على أهمّيّة تداول الطب باللغة العربيّة ، علّني أسهم في تذكير المختصين بلغة طبِّ أهلهم وقومِهم ، وقد لاقت دعوتي آنئذ تشجيعاً ، لكنه كان شكليّاً وعاطفيّاً ، لا يتعدّى العبارات التي تظهر الميل اللفظي نحو لغة القرآن الكريم ، بسبب الموانع الكثيرة ، ومنها ازدحام المفردات الدراسية وصعوبتها على طلبة طبِّ السنة الأولى في كلّيّة ناشئة ، وهذا عندهم من إلزام الطلبة بما لا يلزم ، وممّا يؤثر سلباً في إتقان لغة التعليم الأجنبية ، وكانوا يفكرون في أنفسهم في التخلص من هذا الدرس بله التوسع فيه .

والثانية : مراجعة كتب طبية عرّبَها شقيقي الدكتور عبد السلام صالح ، ومنها :

١ ـ مهارات الاتصال في المقابلة الطبيّة ، بغداد ٢٠٠٠م .

٢ ـ تدبير المواقف الحرجة في المقابلة الطبّيّة ، بغداد ٢٠٠٢م .

٣ ـ تعليم وتعلّم مهارات الاتصال في الطب ، لندن ٢٠١٠م .

والثالثة : رئاسة لجنة اختبار صلاحيّة التدريس عام ٢٠٠٨م في جامعة بغداد ، بعد أن تقاعَدَت أستاذتي الفاضلة الدكتورة خديجة الحديثي ؛ وفي هذه اللجنة وجدت أنّ المُختبَرينَ لا يحسنون عرضَ إنجازهم العلمي بلغة صحيحة ، ولا يستعملون المصطلحات العلمية العربية ، وكان القصور واضحاً في إيصال ما عندهم من علم وتجربة إلى المتلقين ، وفي تدبير مشكلات الفهم والإفهام ، بين اللغة الأجنبية التي تعلموا بحسبها ولغة مجتمعهم ، فضلاً عن عدم معرفة معظمهم ما يقابل المصطلح الأجنبي ، والأنكى من هذا أنّهم لم يسمعوا بـ (مكتب تنسيق التعريب بالرباط) ، ولا بجهود المجامع اللغويّة في التعريب ، ولا بجهود مجمعهم العراقي ، وليس في مكتباتهم أو رُبّما في مكتبات كلياتهم ما يخصهم من إصدارات تضم هذه

المصطلحات ، التي أثمرت عن الندوات والمؤتمرات ، التي دعت إليها هذه المجامع منذ بداية القرن الماضي ؛ والغريب أنّ بعضهم لا يريد أن يفكر باستعمال العربية ، لغة للعلوم ، ويزدري هذه الجهود ، ولا يراها إلا مضيعة للوقت وللإمكانات .

وعلى الرغم من أنّ هذه اللغة هي اللغة الرسميّة لمجتمعهم ودولتهم ؛ وفإنّ المُقابَلين هم الأساتذة الجدد ، أساتذة المستقبل في اختصاصاتهم ، لكنّهم لا يعرفون شيئاً مهمّاً يناسب ما يخصّهم من علمٍ بلغة قومهم ، ولا فكرة أوّليّة عن أسس نقل المصطلح من لغته الأجنبيّة إلى اللغة العربيّة ، وكأنّهم يعيشون في بيئات غير عربيّة ، وأنّ أمر تداول العلوم بلغة بلدهم لا يعنيهم ، وأن لا صلة لهم بهذا الأمر من قريب أو بعيد ، ومن يحسنُ النيّة منهم ينتظر أن تنضج هذه المصطلحات وتكتمل عند غيره ، ويندهش حين نُذكّرَه بأنّ أكثرها قد اكتمل في قرارات المجامع اللغوية ومكاتب التعريب ، ولا تنتظر سوى المباشرة بالتنفيذ والاستعمال . لكن من الإنصاف أن لا نُحمّلُ هؤلاء الأساتذة الجدد وزر هذا التقصير ، بل هم ضحايا توجهات الأساتذة الذين سبقوهم ، فلا تفكير في لغة العلم ، ولا تخطيط لغوي وطنيّ مستقبلي ؛ بشهادة مئات الاستمارات التي وضعناها لاختبارهم التي تفصح عما ندعي ونزعم .

وهذه دعوة مخلصة إلى التفكير في تعريب ما يتصل بصاحب الإنجاز العلمي ، وجعل إنجازه عربيّا مستوفياً لشروط الفصاحة والوضوح والإفهام ، بلغة أهله وقومه ومجتمعه ، لا غريباً عنهم بعيداً عن فهمهم . فليس أمام اللغة الحيّة إلاّ أن تكون لغةً للعلوم ، فضلاً عن أن تكون لغة للأدب ، فتعجّ بالوفاء بمتطلبات الحياة ، ولاسيّما متطلّبات العصر وما فيه من علوم وفنون . وحصر هذه القضية الكبرى في إطار العلم ، إذ لا غنى للمجتمع عنها حين تُختار المبادئ الأساسية للنهضة والتحديث مثلما سنعرض لاحقاً ، ومنها : اعتماد التكنولوجيا ، وسيادة دولة القانون ، والفرص المتكافئة بين المواطنين ، والسلم الأهلي ، والعلم المحض البعيد عن الصراعات السياسية والآيديولوجية ، التي طالما اصطف بسببها المتحمسون إلى صفيّن ، صفّ القديم ، وصفّ الجديد ، يعارض بعضهم بعضًا ، فيترفع المختصون الذين بيدهم الأمر ولاسيما المتأثرون بالغربيين عن التعليم باللغة الوطنية ، مقدّمين عليها اللغة الأجنبية وحدها ، من دون الالتفات إلى لغتهم وحاجة مجتمعهم ، في حين يوظف التقليديون الدعوة إلى التعريب سياسياً ، وجعلها مجرّد عودة إلى القديم ، فتتحوّل إلى قضية رأي عام تجرّ المجتمع إلى الانكفاء والإخفاق ، وتنفرّ المختصين وأهل العلم ، وبذلك تحرمُ الأجيال من تداول لغتها في العلوم ، ويخسر المجتمع العربي الجمعَ بين تراثه الأصيل وحاجته الحقيقية إلى التجديد ، فتضيع قضية التعريب العلمية الخالصة ، والاجتماعية الكبرى ، بين الفريقين المتعصبين المتناحرين .

الفصل الأوّل

اللغة والعلم

المبحث الأول : اللغة والفكر

اللغة روح المجتمع ، ووسيلة تواصله ، وأداة التفكير ومادته ، وتنتهي الأفكار إلى ألفاظ معبرة عنه ، والألفاظ نفسها وحدات دلالية تواصلية تطابق ما يقابلها من المعاني والتصورات والأحكام ، فاللغة ألفاظ تقابلها مدلولات ، ومنهما يكون الفكر المنطلق من البيئة والواقع والتصور ، فاللغة عبارة عن رموز ، وتحديدات لواقع تواصلي ، وحقائق لفظية تطابق معانيها ، لأنّ التفكيرَ يؤلّف الصور العقليّة والعمليات الذهنية **[د موسى العبيدان ٣٢٥]** .

(فاللغة والفكرة توأمان ، فلا فكر بدون لغة ، ولا لغة بدون فكر ، لأن اللغة مرتبطة بالحياة ومتولدة عنها ، سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة ، فاللغة مادة التعبير اللفظي والكتابي ... وإنّ أحدَنا عاطلٌ من الفكر إن لم تكن له لغة ، وفرضُ إنسان بدون لغة معناه فرضُ إنسان بدون فكر ... فالفكرة تتكون في رؤوسنا بكلمات أو بعبارة أدق بأشباح كلمات) **[د عصام نور الدين ١١]** .

وهناك من يسند إلى اللغة تحديد طبيعة التفكير ، فبها تُطبع خصائص تفكير أهلها ، والقائلون بهذه النظرية متأثرون بالنزعة الاجتماعية ، التي تدّعي أنّ المجتمع يصنع فكر أفراده ، فلا تفكير ولا لغة من دون مجتمع ؛ ووجودها بوجوده ولن تكون اللغة من دون مجتمع ، يقول سابير : (لو أننا ألغينا المجتمع ، وأبقينا الإنسان وحيدًا ، في أحضان هذه الطبيعة ؛ فإنه سيمشي لا محالة عند بلوغه السن المناسبة لذلك ، على فرض أنّ الحياة بلا مجتمع ممكنة ، ولكنه لن يتكلم ، أي لن يتعلم كيف يوصل ما يدور في نفسه إلى العالم الخارجي ، طبقًا للنظام التقليدي المصطلح عليه كذلك في كل المجتمعات ، والذي يسمى الكلام) **[د محمود سليمان ياقوت ١٥]**.

ويعدّ (الفيلسوف النمسوي لودفيغ فتنغشتاين من أكبر الفلاسفة الوضعيين والمناطقة الكبار المعاصرين الذين تعمقوا في علاقة الفكر باللغة ، وقد كان يعتقد (وهذه عباراته) : أن حدود اللغة التي أفهمها هي حدود عالمي ، كما كان يعتقد أيضًا أنّ الفلسفة عبارة عن معركة ضد البلبلة التي تحدث في عقولنا نتيجة لاستخدام اللغة ، فسبب المشكلات الفلسفية والشكوك الفلسفية كلها ليس إلا استخدام اللغة استخدامًا خاطئاً ... والفكر هو القضية ذات المعنى ، وإنّ دورَ الفكر في الرسالة هو إنتاج المعنى ، وهذا المعنى لا يمكن التعرف عليه خارج اللغة ... فقد جعل مشكلة المعنى ومشكلة الفكر مشكلة واحدة ، وجعل علاقتهما باللغة هي علاقة واحدة أو هي العلاقة ذاتها) **[جمال محمود ٢٧٧ . ٢٧٨ ، د محمد الكتاني ١٥]** .

غير أنّ الفلاسفة المثاليين يظنون أن اللغة ليست سوى وسيلة من وسائل التعبير ، وأنها مستقلة عن الفكر وتابعة له ، وربما تنشأ الأفكار من غير لغة ، فتتبعث تعبيراً عن استغراق داخلي ، أو بغير لغة كالرسم ، أو النحت ، أو الموسيقى ، أو غيرها ، وربما ادُّعِيَ أنّ اللغة تجهض الأفكار ، وتضيّع المضامين ، فقد ينتهي الشاعر إلى أنّ ما عبّر عنه بالألفاظ اللغوية ، هو أكثر بكثير ممّا أراد في نفسه التعبير عنه بالفعل ، وهذا يوافق النظرية القائلة : إنّ اللغة نظام من التواصل ، أي من الرموز والإشارات المعبرة عن أفكار ومعان ، لها استقلالها عن المعبر عنه **[د محمد الكتاني١٧]**.

وردّ الفلاسفة المادّيّون هذا الموقف ، الذي يشطر الوجود الإنساني إلى روحي ومادي ؛ وهاجموا الوضعيين المنطقيين ، الذين ينكرون وجود واقع موضوعي خارج اللغة أو خارج ذواتنا ، القائلين بأن حدود العالم هي حدود اللغة ؛ ورفضوا انشطار الوجود الموضوعي . في مستوى اللغة – إلى لفظ ومعنى ، وفي مستوى الأشياء إلى ذات وموضوع ، وفكر وواقع ، أو لغة وفكر **[د محمد الكتاني ١٧]** .

وهناك من توسط مميّزًا اللغة الداخلية من اللغة الخارجية ، وهو الافتراض الذي فصل بحسبه (دي سوسير) بين اللغة والكلام ، والفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي. **[سوسير ٣٢]**.

أمّا الفكر الإسلامي فقد عدّ اللغة واصلة بين وجودَين أو طرفين : الوجود المطلق هو الله تعالى ، والثاني هو الوجود النسبي المحدود وهو الإنسان ؛ قال أبو علي الفارسي : (هي من عند الله ، واحتج بقوله سبحانه : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[البقرة ٣١]... وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم ... ويجوز أن ينقل الله اللغة التي قد وَقعَ التواضع فيها بين عباده عليها) **[ابن جني ١/ ٤٠ . ٤١ ، ٤٥]** .

فاللغة وعاءُ الحكمةِ التي يعيها الإنسان الذي يَفهمُ ويَعتبِرُ ، ليتميّز من الجماد والحيوان ، وقد انطلق الفلاسفة المسلمون من موقف ابستمولوجي معرفي أساسه التصور الشامل للوجود ، يضعون الإنسان في حيّز منه ، ثم يعدّون وجود الإنسان الوظيفي مرتهناً بالموضع الذي يحتله ، وبالنظام الشامل الذي يحيط به ، وبالهدف الأسمَى الذي وجد من أجله ، وقد استمدّوا هذا من القرآن من مثل قوله تعالى : ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ [الرحمن–٤] أو ينص على حقيقة أخرى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[البقرة ٣١]، يكون قد حدّد المجال الذي على الفكر أن يتحرك لملئه ؛ فالإنسان عند الجاحظ كما هو عند فخر الدين الرازي : كائن يعي وجوده ، ووعيه للوجود فكر ناطق ؛ ولا يكون الفكر إلا ناطقاً ؛ كما لا يكون النطق إلا فكرًا ، قال

الجاحظ : (الفصيح هو الإنسان ، والأعجم كلّ ذي صوت لا يُفهِمُ إرادته إلا ما كان من جنسه ... ووجدنا كون العالَمِ بما فيه حكمة ، ووجدنا على ضربين : شيء جُعِل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، فاستوى بذلك الشيء العاقلُ وغير العاقل من جهة الدلالة على أنه حكمة ؛ واختلفا من جهة أنّ أحدهما دليل لا يستدِل ، والآخر دليل يستدِل ، فكلُّ مستدلٍّ دليلٌ وليس كلُّ دليل مستدلًا ، فشارك كلّ حيوانٍ سوى الإنسان ، جميع الجمادات في الدلالة ؛ وفي عدم الاستدلال ، واجتمع للإنسان أنْ كان دليلا مستدِلا ، ثم جعل للمستدِل سببٌ يدلّ على وجوهِ استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال وسَمّوْا ذلك بياناً ... وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم﴾ [إبراهيم- ٤] لأنّ مدار الأمر على الإفهام والتفهيم) **[الجاحظ ، الحيوان ١٩، والبيان والتبيين ١١/١].**

وبهذا (يكون الإنسان قد وُهب الفكر واللغة معا لا أسبقية لأحدهما على الآخر وإنما وجودهما معًا داخل جدلية التكامل لا يتراءَى لك أحدهما متقدمًا على الآخر إلا تراءى لك من وجه ... وتلتحم اللغة بالفكر فيكون لكل منهما من الوجود بقدر ما للآخر ؛ ولو أنّ أيًا منهما جاء اعتباطًا وارتبط بالآخر اتفاقاً لكان جوهر كل منهما مبايناً للآخر ، فكأنّ خلقهما في لحظة واحدة ، ومفصلا على قدر وجود كلّ منهما ، لا تجد إنساناً إلا ولغته بحجم عقله ، وعقله بحجم لغته) **[د محمد الكتاني ٢٢].**

ونجد أنّ نهضتنا الفكرية ترتبط ارتباطاً واضحاً بالنهضة اللغوية ، وليس هذا غريباً ، لأنّ المعجزة القرآنيّة هي معجزة لغويّة ، لذلك كانت هذه اللغة هي التي تفصح عن هذا الفكر ، وترسخ انتمائه ووجهته ، مثلما كانت قديماً ، ويطلب أن تكون كذلك في الوقت الحاضر ؛ وذلك بـ (تجديد كيان الإنسان بالإيمان وفقاً لتعاليم الإسلام العمليّة ، بالمنظور الأخلاقي والاجتماعي والنفسي أوّلا ، ثم إعداده وفقاً لمناهج التعليم الحديثة ثانياً ، لنعيد إليه توازناً حقيقياً في حياته وثقة بماضيه وأملا بمستقبله) **[الرفاعي ص ٥٤]** .

لأنّ ترسيخ المنطق العلمي في (صناعة الإنسان تتقدّم على صناعة المحرّك) [الرفاعي ص ٥٤]

ومن أهم أدوات ترسيخ هذا المنطق عدُّ اللغةِ العربية المعبّر عن الشخصية الوطنية ، لأنها العامل الذي يوَحّدُ ، ويجمعُ ، ويؤكد الانتماء ، ويدفع نحو النهوض ؛ ولابُدّ من (التوفيق بين التجديد والنهضة من جهة وصون القيم الثقافيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة) **[الرفاعي ص ٥٥]** من الجهة الأخرى .

فالذين يبحثون عن لغة أخرى يتصورون أنها أفضل من اللغة العربية ، ويحتجّون بأي حجة من الحجج ، أو يحاولون جعل تلك اللغة تساوي اللغة العربية ، كأن يفكروا في اتخاذها بديلا عنها ؛ يعملون . من حيث يشعرون أو لا يشعرون . على تفتيت الشخصية الوطنية ، والتنكر لتاريخها ، والعمل على هدم مستقبلها **[د محمد الكتاني ٢٤]** .

ونذكّرُ هؤلاء العلماء الأفاضل بجهود أسلافهم كالكندي ، وجابر بن حيان ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، والبيروني ، والخوارزمي ، والرازي ، والزهراوي ، وابن النفيس ، وابن رشد وغيرهم وغيرهم ... من الذين عرضوا إبداعاتهم بلغة عربيّة سائغة ، وأساليب علميّة ممتازة ، في الطب والكيمياء والرياضيّات والهندسة والفلك وسائر العلوم ، مطوّعين لغتهم العربيّة لتستوعب لغة هذه العلوم ومصطلحاتها ، فكانوا فخرَ مجتمعِهم ورادته ، ووسيلته إلى نقل العلوم ، والأخذِ بنهضة علميّة جديدة تنسب إلى قرون التفوّق العلمي الإسلامي ، وقد كان لهؤلاء العلماء الأفاضل الفضل الكبير في تفجير إمكانات اللغة العربيّة ، ورفع لوائها ، فيما يسعى أحفادهم إلى إماتة لغة القرآن الكريم ، والمجيء بغيرها بديلا عنها ، ولم يلتفتوا إلى جوارهم ولا سيّما إحياء العبرانية الميّتة ، لغة من اغتصب أرضهم ومقدساتهم ، قال تعالى : ﴿لسانُ الذى يُلحِدون إليه أعجميّ وهذا لسان عربيٌّ مبين﴾ [النحل ١٠٣] ، ﴿أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير﴾ [البقرة ٦١] ؟ ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ [القلم ٤٣٦] ؟ ! .

غير أنّ الذين ينساقون وراء الغربيين متخذين لغتهم يجدون . لو تأملوا وتتبعوا وراجعوا . أنّ التاريخ الأوروبي الحديث نفسه يؤكد أنّ نهضة الأمم الغربية الحديثة استندت إلى مثل ما نفكر به من أسس ، فمنها ما هو علمي ، ومنها ما هو سياسي ، ومنها ما هو اجتماعي . وكانت اللغة أو الشخصية اللغوية قد احتلت عندهم المكانة المرموقة ، بين هذه العوامل ؛ مثلما كان الشأن في بدء نهضتنا العربية في التاريخ **[د محمد الكتاني ٢٥]** ؛ لذلك نقول أنّ كلّ نهضة حقيقية ننشدها من دون نهضة لغوية لن يكتب لها الرسوخ والنجاح ، وستظلّ هجينة شكليّة تابعة غير أصيلة .

ويؤكد هذا ما استدل به الأستاذ نورالدين كريدس بتجربة الثورة الفرنسية ، من الربط بين الفكر واللغة وأثرهما في التطور والبناء ، في قوله : (عندما قامت الثورة الفرنسية ... في أواخر القرن الثامن عشر ، لم تمض أكثر من خمسة أعوام عليها حتى أسست في فرنسا الأكاديمية القومية للعلوم والآداب والفنون والأخلاق والسياسة ، وذلك في ضوء ما مضى من تاريخ فرنسا ، وفي ضوء ما تستقبله من مصير ، أو تطور شامل ، وكان من فروع البحث التي حددت لهذا المعهد القومي فرع بحث وتحليل علاقة الفكر بالعالم الخارجي ، أي بالحواس

، وباللغة ، وبالمعرفة الإنسانية ؛ وقد قدم أحد أعضاء هذه الأكاديمية رأيًا واضحًا في هذا الموضوع الذي نتحدث عنه ، وهو أن اللغة ليست لمجرد التعبير عن أفكار تكوّنت بل هي جزء لا يتجزأ من عملية التفكير ذاتها ؛ وإذن فتطور العلوم والمعرفة مرهون بتطور اللغة أو تطويرها ، وهي نتيجة يمكن أن تصاغ على نحو آخر ، وهو أنّ من المحال تحقيق تغيير للإنسان أو ترقيه ما لم يسبق ذلك تغيير علاقته باللغة أو تطوير إحساسه باللغة ، وإقداره على التأثر بها والتواصل معها ، وفي هذا السياق ترد أفكار ودعوات بعض المفكرين الفلاسفة من قادة القوميات الغربية في العصور الحديثة حول دور اللغة في خلق الفكر ، وتأسيس الشخصية القومية ، وتأهيل الإنسان للإبداع ؛ فهذا هردر Herder الألماني يعلن أن رؤية الإنسان للعالم راجعة بالأساس إلى النسق اللغوي التي ينشئها إنشاءً ، وأنّ لغة الأمة تتضمن هذه الرؤية ، التي توجه الأفراد وتوحد بينهم داخلها ؛ فاللغة ليست أداة أو وسيلة وحسب ، بل هي أكثر من ذلك بالنسبة للأمة ولفكر الأمة ، فهي الكل الحضاري والمستودع الثقافي والشكل الفكري) **[د محمد الكتاني ٢٦]**.

وهي الفكرة نفسها التي نجدها عند مفكر آخر هو هامبولد Humbold ، في قوله إنّ اللغة أداة تغيير العالم وإعادة بنائه ؛ ولن نستطيع أن ندرك أبعاد هذا الرأي إلا إذا وقفنا بالفعل على تأمّل التاريخ الإنساني على قدرة اللغة وطاقتها الإبداعية ووظائفها التطويرية ، ومن النظر إلى تجربة الأمم في النشوء والازدهار والخمول ، حيث نجد وراء كل نهضة حضارية نهضة لغوية ترافق نموّ الفكر وحيويته **[د محمد الكتاني ٧٩٥- ٩٧٦]** .

ف (... اللغة منطق الفكر نفسه وذلك لأنها تتيح للفكر تكوين الرموز الشيئية والرموز البنائية ، أي تكوين القضايا في صياغة صحيحة دالة على مستويات متعددة ؛ وتتوقف صحة التفكير على صحة استعمال هذه الرموز ، وعندما يقع الاختلاف في الأفكار والآراء فقد يكون الباعث على هذا الاختلاف في الغالب خلافًا في استعمال اللغة أو توجيه الدلالة ؛ وليس قصدي التهوين من شأن الاختلافات باعتبارها مجرد خلافات لغوية ، فقد يكون الاختلاف منهجيًا وقد يكون موضوعيًا ، ولكنّ للغة دورًا مهمًا في تعميق هذا الخلاف بين الآراء) **[د محمد الكتاني ٢٧]** .

واللغة هي التي تجسد مقومات كل أمة ، وهي (وعاء تراثها وقوام شخصيتها وترجمان ثقافتها لأنه لولا اللغة ، ما أمكن للفكر أن ينمو ، ولا أمكن للحياة الاجتماعية أن تتحقق . فباللغة نمت الظواهر الاجتماعية ، وتوطدت الرابطة بين أفراد الجيل الواحد وبين الأجيال المختلفة في الزمان والمكان . وعن طريق اللغة نطلع على ثقافات الأمم ، بما في ذلك طرائق

معيشتها وسلوكها وتفكيرها ، والعلاقات بين أفراد المجتمعات ، والتمييز بينها ، خصوصًا لما تتعدد اللغة والثقافة ، أو تتعدد اللغة والثقافة واحدة ، أو تتعدد الثقافة واللغة واحدة) [د حمزة الكتاني٣٠] .

وإذا كانت اللغة معجزة الفكر العامّة ، فمن الطبيعي أن تكون هي نفسها معجزة الله الكبرى في كتابه المجيد عند العرب والمسلمين ، لأنّ فيه الهديَ ، وانطلاق النهضة الفكرية في القديم ، ويمكن أن يكون كذلك في هذا العصر ، ولاسيّما في تنبّهِ الرواد العرب ، الذين استندوا إلى لغة القرآن الكريم في الإحياء والتجديد ، يقول الدكتور محمد الكتاني : (هكذا بدأ منهج الإصلاح لفكر عميق النظر ، فهو يقوم على قطبي الفكر واللغة ، وقد كان إصلاح اللغة يعني تحريرها من الجمود ، وإحياء تراثها بإحياء ثقافتها من جديد ؛ بعد أن فسدت أذواق الناس وجمدت قرائحهم ، واستعجمت ألسنتهم ، ووقعت القطيعة بينهم وبين تاريخهم وتراثهم ، لم يفهم الناس يومئذ معنى أن تكون البداية من اللغة هي البداية المنهجية للنهضة ، بل مشوا مكبين على وجوههم ، وظنوا أن البداية للرقي هي في اصطناع الأزياء الجديدة ، واستهلاك المصنوعات الغربية الحديثة ، إذ كان تصورهم للغة من البساطة بحيث لم يتجاوز حدود الإدراك العام ، إلا أن الزمن كان كفيلا بأن يظهر ذلك التناقض الذي ينطوي عليه واقع الأمة العربية يومئذ ، إذ بعد مرور عقدين أو ثلاثة من السنين بدأ الصراع اللغوي بين أنصار الفصحى وبين أنصار العامية ، بين دعاة القومية الضيقة الذين رأوا منهج النهضة في إحياء لغات مندثرة أو اصطناع عاميات مبتذلة ، وبين دعاة اللغة العربية وحماتها الذين رأوا أنْ لا قومية ولا شخصية إلا في إطار الإسلام والعروبة بالمعنى اللغوي لا العرقي . وأسهم الأجانب المستعمرون والمبشرون يومئذ في تحريك ذلك الصراع في المغرب والمشرق على حد سواء . واتخذت الدعوة إلى العاميات في العالم العربي شكل حملة منسقة منذ بداية هذا القرن [العشرين] إلى منتصفه . و[في] أثناء ذلك ظهرت الدعوة إلى إلغاء النحو العربي أو إلى تجديده ، وإلى إلغاء البلاغة العربية أو تطويرها ، وإلى الثورة على الأدب العربي وإلقائه في البحر ، والثورة على كل ماضي الأمة العربية ، واعتبار الماضي العربي بالنسبة لبعض البلاد العربية مرحلة من الاستعمار ، والتبعية ، والانغلاق ، والسقوط في عصور الظلام) **[د محمد الكتاني ٢٨ ، و ٤٧]** .

فقد (امتد الصراع إلى اللغة على أساس واضح وخطة مبيّتة . فإنّ اللغة التي كانت تسدّد إليها يومئذ سهام الخصوم وحملات الطاعنين كانت بمثابة مستودع التراث العربي والإسلامي ، وهذا التراث كان الحصن الحصين للعقيدة ، والهوية القومية والتاريخية ، فهو (أي التراث) القيّمُ على استمرار الفكر الإسلامي ، والقيّم على استمرار الطابع العربي ، والعامل

المشترك في صناعة المصير العربي الواحد . وكان القضاء على هذه الحقائق أو تزييفها غير ممكن ، إلا بإحداث القطيعة بين اللغة العربية والأجيال الجديدة من أبناء الأمة العربية ... بحيث تقوم حدود لغوية صارمة ... ويصبح التراث الذي صنعته القرون ، وأبدعته المسيرة الحضارية ، غريبًا على الألسن والعقول ، أو قل يصبح تراثا أجنبيًا يحتاج إلى الترجمة ... وهم لن يستطيعوا ترجمته ، فضلا عن قراءته ، فضلا عن تمثله والارتواء منه ، وهكذا يتم الفصل بين اللغة وبين الفكر ، على أساس تنشئة فكر جديد ذي أصول مبتدعة ، أو مجلوبة ، وبقدر ما كانت هذه الغارة الشعواء شديدة الوقع ، بقدر ما كانت مقاومتها وتحديها شديدي المراس . وبقدر ما كان الداعون المخلصون من أبناء الأمة العربية إلى مستوى التعبير ، عن المرحلة التاريخية والحضارية ، واتخاذها أداة طيعة للبناء والتجديد) **[د محمد الكتاني ٣٠ ، ٤٧ وما بعدها]**.

وكان منطق التجديد اللغوي العربي تجديد للفكر ، والارتفاع به إلى المستوى المطلوب ، منطلق يفرضه الواقع وتمليه طبيعة حركة التاريخ ، وقد عدّ روّاد النهضة العربيّة في العصر الحديث اللغة مظهرًا وقاعدة لهذه النهضة الجديدة ومنهم : لطفي السيد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وأمين الخولي من المصريين ، وإسعاف النشاشيبي من فلسطين ، وزكي الأرسوزي وسعيد الأفغاني من سوريا ، وجميل صدقي الزهاوي من العراق وغيرهم وغيرهم ؛ إن لم يكن ذلك راسخًا عند كلّ داعية أو مصلح ، أو مفكر سياسي كان ينطلق من الدعوة ، إلى اعتبار اللغة العربية الإطار اللغوي لتحقيق نهضة فكرية واجتماعية ؛ وهذا ما تجلى في عصر النهضة بالنسبة للوطن العربي ، حين ترافق الوعي القومي والوعي الديني ، في دعوتهما إلى إحياء اللغة العربية والانطلاق منها في بناء المجتمع على دعائم أهمها الأساس لغوي **[محمد الكتاني ٢٣]** .

ولو استندنا إلى الدليل الديني فإن ثبات لغة القرآن الكريم ودوامها ، بإرادة الله شاء أهلها أو لم يشاؤوا ، فالله سبحانُه وتعالى هو الكفيلُ بمدّ لغةِ كتابهِ ووحيهِ بأسباب الاستمرار والبقاء ، كلّما تعرّضتْ لخطرٍ إلى يوم القيامةِ ، قال تعالى : ﴿إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ [الحجر–٩] ، فما دام القرآن محفوظًا بعناية الله تبارك وتعالى ، فلغة كتابِهِ كذلك محفوظةٌ بحفظه ، وبقاؤها ببقائه ، بدليل فشل دعوات الذين سعوا إلى تتريك هذه اللغة ، أوتركها واستعمال غيرها ، وكذلك من لغات الغزاة والمستعمرين كالفرنسيين والإنكليز والإيطاليين وغيرهم ، قديمًا وحديثًا ، أو بناء لغات مستقلّة عنها ، استنادًا إلى الاعتناء باللّهجات المحلية أو العاميات في البلاد العربيةِ ، وجعلها لغات رسمية تستقل عنها ، وتكون بديلة لها ، وتحلّ محلّ لغة القرآن الكريم ، مثلما جرى في تجارب أوربا واستقلال لغاتها التي كانت محلّيّة عن

اللغة الأدبيّة الأوربيّة المشتركة أي اليونانية المشتركة ثمّ اللاتينية ، لتكون اللغة المحلّيّة لغة قوميّة لكل بلد أوربّي ؛ وبهذا تحوّلت لهجة باريس المحلّيّة بعد أن ساد أهلها بقيّة المدن الفرنسية إلى اللغة الفرنسية ، وكذلك أضحت اللهجة اللندنيّة بعد أن تمر بأطوار إلى اللغة الإنكليزيّة **[د عبد الصبور شاهين ٧٩ . ٨٠]** ، وهكذا بقيّة الدول الأوربيّة في استقلالها عن اللغة الأم .

وفي ثبات العربيّة يقول المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس : (إنَّ في الإسلام سنداً هامّاً للغة العربية ، أبقى على روعتها وخلودها ، فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة ، على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة ، كاللاتينية حيث انزوت تماماً بين جدران المعابد . ولقد كان للإسلام قوة تحويل جارفة أثرت في الشعوب التي اعتنقته حديثاً ، وكان لأسلوب القرآن الكريم أثر عميق في خيال هذه الشعوب فاقتبست آلافاً من الكلمات العربية ازدانت بها لغاتها الأصلية ، فازدادت قوةً ونماءً . والعنصر الثاني الذي أبقى على اللغة العربية هو مرونتها التي لا تُبارى ، فالألماني المعاصر مثلاً لا يستطيع أن يفهم كلمةً واحدةً من اللهجة التي كان يتحدث بها أجداده منذ ألف سنة ، بينما العرب المحدثون يستطيعون فهم آداب لغتهم التي كتبت في الجاهلية قبل الإسلام) **[أنور الجندي ٣٠١]** .

وقال الفيلسوف الألماني رانكة : (إنّ الثقافة الإنسانيّة تعتمد على لغتين كلاسيكيتين ، هما : العربيّة واللاتينيّة ... فقد نفثت اللغة العربيّة في الشرق روحًا فنيّة ، ولا يمكن فهم المصنفات الأدبيّة الفارسيّة والتركيّة بدون العودة إلى إلى الكلمات العربيّة ، وخاصة أنّ وحي القرآن الكريم الذي لا يُجارى . يُعدّ بلا مراء . أساس العقيدة الإنسانيّة ، والثقافة البشريّة) **[إدريس العلمي ٧٤]** .

وقال الفرنسي جاك بيرك : (إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات ، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا ، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية ، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية) **[أنور الجندي ص ٣٠٤]** .

لكن لا ندعو في هذا الصدد إلى أن تكون علاقتنا بماضينا علاقة التسليم الأعمى لكلّ ما فيه . على الرغم من سموّ مكانته الفكريّة المرتبطة بالدعوة الإسلامية ، وعظمته اللغوية الخالدة المحفوظة بالقرآن الكريم . بل على سبيل التفاعل بمنهجيّة علميّة في التفكير والبحث والحوار ، والأخذ والعطاء استنادًا إلى المنهج الأصلح ، وكذلك في التعامل مع جديد الأمم الأخرى ، التي فاقتنا في التطور العلمي والحضاري وتقدمت به علينا ، فنلحظ ما يُعرضُ علينا في هذا

العصر ، وما تفرضه حاجاتنا ، بالمبدأ نفسه ، أي في التعامل الإيجابي والتوازن بين الموجود والحاجة ، فنأخذ ما لا يؤدّي إلى الإخلال بشخصيتنا الحضارية ، ولا يضيّع لغتنا العربية من جهة ، ولا يضرّ بمستقبل تطور أجيالنا من الجهة الأخرى .

والمرجوُّ من المخلصين البدءُ بالتفكير في استعمال اللغة العربية ، وترصين الخطوات التي ستؤدي إلى التعريب ، لغة ومصطلحات ونصوص ، لأنّ لغة العلم ليست مجموعة مصطلحات معزولة عن البناء اللغوي ، بل هي مفردات ونصوص لغوية في مجال العلوم المحضة ، تعرض للحقائق العلمية بالوصف والشرح والتوضيح والتدوين ، وهذا النصّ العلمي يتصل ببيئة اجتماعيّة يؤثر فيها ، وتؤثر فيه . لذلك يُطلب أن يُصاغ التفكير العلمي بلغة المجتمع ، وأن يكون تداول العلم جزءًا من تفكير المجتمع وبلغته ، على أن يتواصل هذا التفكير مع ما يجري في العالم ، في التعرّف على منجزات العلم والتكنولوجيا ، التي هي حصيلة الأخذ والعطاء بين أبناء البشر ، يشيع بينهم بلغاتهم يتوارثونه ويتبادلونه ، وليس محصورًا بأمة معينة ، يُحذرُ أن تتعاطاه الأمم الأخرى ، وإن تعاطته فلا يلزم أن يكون بلغة أمة بعينها دون غيرها ، ومن طبيعة الأشياء ، وأساسيات التفكير أن تنتقل العلوم من لغة أمة إلى لغة أمة أخرى ، ولذا فإنّ من المنطقي أن لا تكون الرغبة في التعريب رغبة مؤقتة ، أو دعوة مرحلية ، أو عواطف عارضة ، لأنّ المنهجيّة العلميّة تعني الخروج من (منهجيّة العصور الوسطى واتكاليّة عصور التخلف ... [ذلك التخلف الذي] يكاد يجرف كل ما يتعرّض طريقه من تطوير أو تجديد) **[د سعيدان ١٥٣]**.

وعليه لا بُدّ من القطع في الإجابة عن مثل الأسئلة الآتية :

هلِ الدعوة إلى تعريب التعليم دعوة سياسية مجردة لا مضمون لها ؟

وهل هي تابعة لرغبة حاكم من الحكام ، تتغيّر بتغيّره ؟

أو هل هي تلبية لتوجه من التوجهات تنتهي بانتهائه ؟

وهل يمكن أن تندرج ضمن الصراع الفكري بين القديم والجديد ؟

وهل يُمكنُ أنْ يُوظفَ هذا الصراع في التوترات الطبقية والفكرية ؟

أو قل : هل يستعر الخلاف بسبب دعوة التعريب بين :

(الحداثويين) و(السلفيين) على سبيل المجاز لا المصطلح المعروف ؟

وهذه هي العُقدة الكبرى ، أو العقبة الكأداء ، التي تربط مصير التعريب بالرغبات المؤقتة ، أو السلطات الجائرة ، أو طبقات الحكم المرفوضة ؛ إذ يسعى الذين يميلون إلى القديم إلى كسب العواطف القومية أو الدينية في الصراع السياسي على السلطة ، فتجلب لهم هذه التوجهات ، وهذه السياسات قطاعات اجتماعية واسعة من الفئات المحرومة المحافظة ،

فيستفيد المروّجون من هذه العواطف من قوّة العلاقة بين اللغة والعروبة والإسلام ، فيتحوّل التعريب إلى رمز من رموز التوظيف السياسي للقديم ، الذي يعادي العلم ويحارب التطوّر ، وعند ذاك يدور التعريب بهذا المدار ، بمقابل موقف المتخصصين الذين بيدهم التحكم بنجاح هذا الأمر ، والذين يمتنعون من تنفيذ خطوات التعريب ، ليأسهم من حصول النهضة الحقيقية ، وإن حصلت فبيد غرمائهم ، وقد خُيّل لأكثر هؤلاء أنّهم في موقفهم هذا ينحازون إلى العلم المحض باتخاذهم اللغة الأجنبية ، وحينها تتراجع قضية التعريب بل تنكفئ وتتوقف .

لكن من الفكر السديد إدراك التلازم بين التعريب وإحداث التغيّرات الكبرى ؛ التغيرات : الاجتماعيّة ، والديمقراطية الحقيقية ، والثقافية ، والسياسية ... إلخ ، وفي هذا التوجه تظهر مصلحة المجتمع وتطلعاته ، فتتجاوب فيه كلّ الأطراف ، أهل العلم المحض ، وأهل اللغة ، وأهل الاجتماع ، والسياسة ، ولا تكون مجرد شعارات تروّج ، تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر ، لإرضاء أنصار التعريب ودعاته ، والمتحمسين له ، من المخلصين وربما غيرهم .

ذلك لأنّ العلم لا ينمو في أجواء الكبت والحرمان ، ولا تتحقق النتائج المهمة من البحوث العلميّة في مناخ القهر والاستبداد ، ولا يُنتظر من الباحثين الكثير ، وهم يلهثون وراء الحاجات الأساسيّة للعيش ، لارتباط إبداع العالِم بالحرّية الشخصيّة والمجتمعيّة ، حريّة العالم في البحث والتعبير عن الحقائق العلميّة ، لذا لا يتحمّس المتخصص للغة بلده ، بل يفكّر في ترك هذا البلد نفسه ، لليأس من تقدّمه ، ومن تغيّر السلطات المتحكّمة فيه ، لذا يعبّر هؤلاء الباحثون اليائسون عن سَخطِهم بالتمسكِ بلغة الأجنبي التي تعلموا بحسبها ، ويهملون اللغة القوميّة ، لا بسبب القصور اللغويّ ، بل بسبب التخلف السياسي والاجتماعي .

أَ وَ ليس من القهر أن تتبع الهيئات العلميّة ، والجامعات ، ومراكز البحوث ، من لا علم له ؟ وتأتمر بأوامر من لا صلة له بالشؤون العلميّة ؟ **[الرفاعي ص ٧٥]** .

فلا مناص من التفكير في هذا الأمر ، وأخذه بالحسبان ، واعتماد المناهج العلميّة التطبيقيّة التي تساعد على تأسيس مجتمع العدالة والعلم والمعرفة ، وتسعى إلى توطين العلوم باللغة الوطنيّة ، وإلى بناء القدرات الذاتية الواثقة في البحث والتطوير ، وتجاوز مرحلة الادّعاءات اللفظيّة والنظريّة غير الواقعيّة .

ولا تُبتنَي هذه الآفاق إلا استنادًا إلى أسس معرفية مستنيرة غير منغلقة ، تحترم الإنسان ، وتحتفي بالتنوع الثقافي ، وتشيع الديمقراطية ، وتقرُّ حق الاختلاف في الرأي ، وتنفتح على الثقافات الإنسانية الأخرى ، وتضمن إعداد أجيال كفوءة ، ومقياسها الإخلاص لهذه المناهج في تبوّؤ سدّة القيادة والمسؤوليّة **[د علي القاسمي ٣٠]** .

فلا بُدّ إذن من الالتفات إلى هذه القضية ، وفهم معادلتها الشائكة ، وتخليص التعريب من التجاذب بين القديم والجديد ، ومراعاة مصلحة المجتمع ، وحاجاته ، ومستقبله ، ومصلحة التعليم نفسه ، فمن التيسير على المتعلمين اتخاذ لغتهم في تعليم العلوم ، والتفكير الجدي في نقل العلوم لكلّ المتلقين بلغة عربية سليمة ؛ تراعي التطوّر العلمي والتقني والاجتماعي والاقتصادي ... إلخ ، وفي الوقت نفسه ينبغي مراجعة دعوات التعريب وخطاباتها السابقة ، وجَعْلِها برامجَ وخطط أكثر عملية ، تناسب أهل التخصصات العلمية ، وتجتذبهم إليها ؛ إذ إنّ التعريب لا يعني الفرض من دون الإقناع والاقتناع ، ولا يعني تضييع جهود العلماء السابقة وهدرها والتفريط بالكفاءات ، بسبب التحوّل إلى اللغة الوطنية ، ولا يعني التضحية بالتوازن العلمي الذي كان قد تحقق واستقرّ ، ولا يعني أيضًا إلغاء التعامل باللغات الأجنبية ؛ اللغات التي يجب أن يُهتمّ بها أكثر من السابق في سبيل تطوير التواصل مع العالم ، لا مجرد بسط سلطان اللغة الأجنبية لتحلّ محلّ اللغة الوطنية ، إذ إنّ التواصل ضرورة عصرية ، لكن المشكلة في نقل المتخصص إلى خارج لغته ومحيطه ، أو دفعه إلى التفكير في الاغتراب عن هويته ، ولغة مجتمعه ، إذ المطلوب منه أن يكون رائدًا في مجتمعه ، قائدًا لمسيرته ، في الأجواء الجديدة لا منفصلاً عنه ، في أجواء تدفّق المعلومات ، وسرعة انتقالها ، واختراقها جميع الحدود والحواجز والقيود ، فضلاً عن تنوّعها وغزارتها بما يشبه الطوفان المعلوماتي ، وتعدّد وسائل الاتصال كالفضائيات والشبكات العنكبوتية ، وسهولة حفظها وتصنيفها واسترجاعها ، ممّا سيؤثر في حياة البشر وأنماط تفكيرهم ، ووسائل حصولهم على الخبرات والمعلومات ، وتعدد الاختيارات ووفرتها ، ومن نتائج هذا تعدّد روافد المعرفة ، والمساواة في الحصول عليها ، في ظلّ التحرّر الفكري والتخلّص من السلطات المستبدّة سلطات القمع والوصاية الفكرية ، وسقوط الفرض الأيديولوجي الذي لا يرتضيه المجتمع ، ولا يعتمد الحوار ؛ والمهم في هذه الأجواء أن لا يُفتقد دور العالم المتخصص ، الجادّ في إدخال مجتمعه عالم المعلوماتية ، دخولاً يحقق أهداف هذا المجتمع لا أهداف غيره ، حريصًا على مستقبله ومصالحه .

صحيح أنّ المطلوب من التجديد الاتّصال بالإنتاج العالمي ، لكن على وفق ما يناسب المجتمع ، وأن يكون النقل بأدواته ، وباستعمال لغته ، والانتقال بهذه اللغة إلى الاستعمال العلمي بالتدريج وعلى وفق مراحل مخطط لها ، ومحددة زمنيًّا ، يتحمّل فيها أهل الاختصاص المهام المنوطة بهم ، لأنهم قلب مجتمعهم وروحه ، ولا يُتصوّر أنهم يعادون لغتهم ، ولا يكرهونها ، وعذرهم أنّهم لم يطلعوا على تجربة اللغة العربية في مجال العلم ، ولا يدركون الإمكانات التي تملكها ، ولا الطاقات التي تتوافر عليها ، وهذا كله بسبب محاولات الإبعاد ،

وهالة الغموض التي اصطُنِعت في أول مراحل تدريسهم العلوم باللغة الأجنبية ، وكذلك الوحشة التي زرعت عند المضي بهذا التدريس ، حتى ترسّخت جفوة العربية واعتِيد تركُها في أوساط تداول هذه العلوم ، واستفحلت هذه الظاهرة ، حتى سلّم المعنيون بالنقص في اللغة العربية واقتصار وظيفتها على الأدب ، وعدم صلاحيتها للعلم ، واستقر عندهم ظلمًا وخطأً أنّ الكمال كلّ الكمال للغة الأخرى في أداء الوظيفة العلميّة .

يقول د . ولد سيدي أحمد عضو مكتب تنسيق التعريب : (إن مفتاح التعريب يوجد بحوزة أصحاب القرار ، نعني به أنه لا بُدّ من وجود إرادة معززة بقناعة ، لدى كل الأوساط العربية الفاعلة ، من أجل خوض عملية التعريب ، كلّ فيما يخصه ، وعلى جميع المستويات ؛ ولنأخذ – على سبيل المثال – تعريب التعليم العالي ، في التخصصات العلمية خاصة ؛ لقد ثبت . بالتجربة – أن جميع الأساتذة العرب ، وحتى الذين تلقوا تعليمهم بلغات أجنبية ، قادرون – إذا ما توافرت لديهم القناعة – على إلقاء محاضراتهم وإعداد بحوثهم باللغة العربية ، وأن العدد القليل من هؤلاء الأساتذة يتلقى ، في ذلك صعوبات طفيفة يتم التغلب عليها في فترة وجيزة . مع ملاحظة ارتفاع درجة استيعاب المواد العلمية لدى الطلبة بفضل تلقيهم باللغة الأم) **[د ولد سيدي أحمد ٣٠]** .

و(القائلون بالتعريب ليسوا ضِدَّ تعزيز تعليم اللغة الأجنبيَّة – إنَّما هُم يَعْترضون بشدَّةٍ على إحلال اللغةِ الأجنبيَّةِ محَلَّ العربية كلُغةٍ لتعليم العلوم ، فكما يفْترضُ التعريبُ أن يُمارسَ المُهندسُ أو الطبيبُ أو الزراعيُّ أو حتى الجيولوجيُّ مِهنَته على الناس ، وللناس باللغة القومية ، رابطَتِه بِهِم ووَسيلةِ تفاهُمِه معَهُم ، فإن نجاحَ مسيرة التعريب واستمراريَّتَها يتطلَّبان أن يكون هذا المُهندسُ أو الطبيبُ أو الخبيرُ الزراعيُّ ضليعا بلُغةٍ أجنبيَّةٍ تواصَلُ فيها وبِها مع العلماء أو مع مُنْجَزاتِهم لِمُتابعة الرَّكب العلميّ في تخصُّصِهِ والوقوفِ على آخرِ ما توصَّل إليه زملاؤُهُ العلماءُ في العالم من حولِه ، فلا تحصُلُ فَجوةٌ علميَّةٌ بينَ ما درسَهُ هو كطالبٍ وبَيْن ما يَتِمُّ بعدَ تخرُّجِه كمُمارس . إن الحاجةَ إلى إتقان لُغةٍ أجنبيَّةٍ عالَميَّةٍ مُعاصرة هيَ اليوم مَطلب تَربوي أساسي لِكُلِّ مُثقَّفٍ عربيٍّ أو غير عربي ، عالم أو غير عالم . لكن هذا لا يفترض ولا يتطلب اعتماد اللغة الأجنبية تلك كلغة لمختلف دراساتهم الأساسية . اللغة الانكليزية ، مثلا ، كما ألمحت سالفا ، هي اليوم حاجة ضرورية يومية للعالم الفرنسي والألماني والروسي والياباني والكوري وأي عالم من أي قومية كان ، فلماذا يا ترى لم تطرح مسألة اعتماد اللغة الانكليزية في تدريس مواد العلوم في أيّ من هذا البلاد؟) **[أحمد شفيق الخطيب ٢٠٥]** .

لكن من جملة ما يراد من (فرض اللغة الإجنبيّة فرض الاتجاه الواحد وتعميم النسق

الواحد للثقافة ، من خلال السيطرة على أدوات العولمة وآلياتها ، التي تنقل إلى العالم الصور والمعاني والرموز والقيم والأنماط بوساطة البث الفضائي ... والحاسوب ... وشبكة المعلومات ...) إلخ **[رواء زكي يونس ص٦٧ . ٦٨]** .

ذلك بالسيطرة والتوجيه المنظم لتكنولوجيا المعلومات ، وهذا ما سيؤثر في أسلوب حياة الأمم ومعتقداتها ولغاتها وهويّاتها ، وكلّ ما يمتّ من قريب أو بعيد إلى مكوّنات ثقافاتها ، إذ إنّ العصر الحالي عصر القطب الواحد ، يتجه إلى إضعاف الكتل التي تخالف هذا القطب ، ومنعها من المنافسة والظهور الإيجابي ، وعدم السماح بالوجود المستقل إلا للكيانات الكبيرة ، أو من يدور في فلك القوّة العظمى ، ويكون في خدمة مخططاتها ، في ظلّ التشرذم الذي تعيشه البلدان العربيّة والإسلاميّة ، وتحكّم القوى الداخليّة التي لا تمثل الإرادة الحقيقيّة لشعوبها ، وإنّ أخطر ما في العولمة ، أنها تفتح الأبواب على مصاريعها لهجوم العولمة الثقافيّة ، وفرض مفهوم الأقوى ، وتقليد كل ما يتصل بأسلوب حياة المنتصر ! وسحق ما يخالفه ، لكن ربما بوسائل الجذب المغلفة ، والإغراء المبطن ، والإغواء والترغيب والترهيب .

وتحاول العولمة وأداتها في المنطقة العربيّة التأثير في منع اللغة العربيّة من أداء دورها ، وذلك بخلق خطاب إعلاميّ يجمع بين الإرهاب والإسلام ، يقول المسدّي : (الإرهاب في خطاب هؤلاء الإعلاميين المتحيّزين ، كما في خطاب . نتانياهو . وخطاب سادته وكبرائه ، يقدم بعد تشغيل آليات اللغة والسياق والمقام ، حتى يتم الاقتران الذهني والتوالج النفسي فيتحقق الارتباط ، اللاواعي ثم الواعي ، بين صورة العربي ، وصورة الإرهاب . وهذه العملية اللغوية الذهنية النفسية الثقافية هي التي يتم تشغيلها ، لإحداث اقتران مبطن آخر يجمع بين صورة العربي وصورة المسلم ذهابًا ، ويجمع بين صورة المسلم والعربي إيابًا ، ثم يمعن الخطاب المخاتل في مزج الأخلاط داخل سلة واحدة ، هي سلة الإرهاب ، وحيث إنّ كلّ عربي فمرجعه القومي هو اللغة العربية ، وإن كلّ مسلم فمرجعه الاعتباري هو أيضاً اللغة العربيّة ، بما هي لغة النصّ المؤسس فإنّ اللغة . في استراتيجية الخطاب الكوني المتسلط . تصبح هي الشرارة الكهربائية المولدة للطاقة الإرهابيّة) **[المسدّي ٣٩٠]** .

فلا بُدّ من وعي هذه المخاطر ، وإدراك غاياتها القريبة والبعيدة ، والالتفات إلى أهميّة الدفاع عن القرآن الكريم ، وتيسير العلوم بأفصح لغات البشر ، وهي خيار من الله تعالى : ﴿بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء–١٩٥]، وكانت من تيسيره عز وجل ، قال تعالى : ﴿فإنّما يسّرناه بلسانك لِتبشّر به المتقين وتنذِر به قومًا لُدّاً﴾ [مريم–٩٧]، والتيسير إيجاد اليسر والسهولة وعدم الكلفة بلغة مفهومة مبينّة لفظاً ومعنى ، وبشارة بالجنة للمتقين ، وإنذار للمجادلين من الخصوم

المخالفين [ينظر : المحرر الوجيز ٣٥/٤] ، وتكرر التيسير في كتاب الله ، في قوله تعالى : ﴿فإنّما يسّرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾[الدخان–٥٨]، ويتكرّر قوله تعالى: ﴿ولقد يسّرنا القرآن فهل من مُدّكر﴾ أربع مرّات في سورة القمر [الآيات ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠] ، يقول المفسرون إنّ الله سبحانه وتعالى سهّل لغة القرآن وقرّبها، وحضّ المخاطبين على حفظها، قال الزمخشري: (يسّرنا القرآن أي سهلناه للإذكار والاتعاظ، بأن شحنّاه بالمواعظ الشافية، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد ... وقد هيّأناه للذكّر) **[الكشاف ١٠٦٦]** ، فهذا يدلّ على الحفظ والعناية، وكذلك الموعظة والتقريب على المتلقين، (فهل من مُدّكر) فهل من متذكر ومتعظ لوعد الله ووعيده [أبو حيان ١٧٣/٨] ، (أي متذكّر يعلم أنّ ذلك حقّ فيعتبر به ويخاف ، وقيل معناه فهل من طالب علم فيعان عليه) **[الطبرسي ٢٤١/٩]** .

(وقيل إنّه سبحانه إنما أعاد ذكر التيسير لينبئ أنّه يسّرَه على كلّ حال وكل وجه من وجوه التيسير) **[الطبرسي ٢٤٣/٩]** .

فنرجو الله العليّ القدير أن يعينَ علماءنا الأجلاء على ما يُيسِرُ تعريب ما يتداولون من علوم ، إلى لغة أمتهم الكريمة، تلك اللغة التي جعلها الله سائغة على النفس، بحسن البيان وقوّة البرهان.

والخلاصة فإنّ التفكير في (تعريب العلوم ضرورة علمية ، وهو أيضا ضرورة حضارية تنموية للإنسان العربي وتفكيره ، تقتضي عضونة العلم وتأصيله باللغة العربية في الوطن العربي . وإلاّ كيف يصل العلم إلى الفلاح والنجار والبناء والخباز والحداد والصانع والسمكري وسائق السيارة وغيرهم من أفراد المجتمع . كيف يصل العلم إلى هؤلاء إذا كانت كليات الزراعة والصناعة والهندسة والكيمياء والعلوم المختلفة تخرج لهم من لا يستطيعون إيصال ما يتعلمونه إليهم . والتعريب كذلك ضرورة قومية – يقتضيها ترابطنا أفقيا كأمة أو على الأقل كشعوب على مدى الوطن العربي ، ويقتضيها ترابطنا عمودياً مع تاريخنا وجذورنا وتراثنا وعروبتنا . لقد نجح الاستعماريون ، والمنتدبون من قبل أنفسهم ، في تقسيم الوطن العربيِّ سياسياً وإدارياً واقتصادياً وحتى ثقافياً ، ولكنهم رغم محاولاتهم المتعددة لم ينجحوا في تمزيق اللغة العربية ؛ فظلت ذلك الرابط الحضاري القومي الروحي ؛ والتعريب هو تمتين لهذا الرابط . والتعريب حتى يتجاوز كلُّ ذلك ، لأنه قضية كرامة – كرامة لغة ، وكرامة أمة ... اسمعوا ، أرجوكم ، حديثَ بِن يهودا ، إن لم يكن قد أتاكم ... عند تولي البريطانيين مسؤولية الانتداب على فلسطين عام ١٩٢٠م ، أصدرت حكومة الانتداب عملة نقش عليها اسم فلسطين ، بالانكليزية والعربية ، ولم تظهر اللغة العبرية عليها . فما كان من بن يهودا ، أحد بناة إسرائيل ، إلا أن كتب إلى المندوب السامي

بحدّة (وكان انكليزياً يهودياً) يقول: إنها لإهانة قومية أن تكون العبرية في منزلة دون منزلة الإنكليزية والعربية . ولم يمض طويل وقت حتى كان له ، ولهم ، ما أرِيد ، وظهرت العملة المجددة ، منقوشة باللغات الثلاث . بشكل دائري – لتأخذ العبرية منزلة مكافئة) **[أحمد شفيق الخطيب ٢٠٥]** .

المبحث الثاني : وظائف اللغة وتقويم أدائها

اللغة نظام من الرموز الصوتية ، تؤدي وظيفة اجتماعية ، وهي مظهر من أبرز مظاهر الحضارة الإنسانية ، بل أصل الحضارة وصنع الرقي والتقدم مثلما عرضنا في الفصل السابق ، وهي الحدّ الذي يميّز بين شعب وشعب ، وحضارة وحضارة ، وهي قوام الحياة الروحية والفكرية والمادية ، وبها يرسّخ الإنسان صلته وأصالته بمجتمعه الذي يولد فيه ويعيش ، واللغة منظومة من ضمن منظومات الاتصال ، لكن الفارق بينها وبين غيرها أنّها إنسانية ونظامها مركب ومعقد **[د حلمي خليل ٥ ، د علي زوين ١٢]** .

و تمثل اللغة بعدًا رمزيًا يُمَيُز إنساناً من إنسان ، وشجرة التي تجمع فروع إلى أصول ، ومنها يتميّز فكر المجموعات البشريّة ، وهي الوعاء الذي ينمو به هذا الفكر ، ويحفظ هذا التميّز ، والوسيلة التي ينتج بها العلم والمعرفة . فهي محرك نشاط الأفراد والجماعات ، ومحدّد الحدود النفسية والاجتماعية والسياسية بين القوميات ، والمستويات الاجتماعية ؛ وهي الحامل الأبرز لكل خطة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية . كما أنها أداة كل مخطط للهيمنة والاحتواء والاستئثار والإقصاء ، وهذا ما جعلها محل اهتمام علماء الاجتماع ، واللسانيات ، والإعلام ، والاقتصاد ، والسياسة ، على حد سواء . وجعل منها مدار الإصلاحات ، ولاسيما التعليم ، وبناء القيم ، وإعداد إنسان المستقبل في كل البلدان ، وعلى وفقها تألّفت أهمّ التحالفات السياسية في هذا العصر : كالكومنولث البريطاني الناطق بالإنكليزيّة ، ومنظمة الدول الناطقة بالفرنسية ، ومنظمة الدول الناطقة بالأسبانية ، وجامعة الدول العربية .

فوظيفة اللغة أبعد من التواصل الذي اتّفق عليه أهل الاختصاص ، فلها الفضل الكبير في تبادل المعلومات بين البشر ، وتحقيق الحاجات والرغبات الاجتماعية **[د علي القاسمي ٦٥ . ٦٦]** ، وعلى تعريف ابن جني فإنّها : (أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم) **[ابن جني ٣٣/١]** ؛ وفي هذا التعريف بيان للوظيفة الاجتماعية للغة التي تجمع القوم أو الفئة من الفئات الاجتماعية على استعمال معين للغة ، يميّزهم من غيرهم ، ويناسب الاهتمامات المعيّنة التي تجمعهم ، أو المهنية المشتركة بينهم ، فتُؤدَّى باللغة تلك الأغراض ، (فالأطباء مثلاً يستخدمون اللغة لتبادل المعلومات الطبية فيما بينهم ، فتتأثر لغتهم بطبيعة مهنتهم ، وتصبح لهم خصوصيات لغوية تميزها عن اللغة العامة ، في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية

التركيبية والدلالية . ويكتسب أهل المهنة لغتهم الخاصة في أثناء تدرّبهم على المهنة ومزاولتها ، ليتمكنوا من التواصل بسهولة مع بقيّة أبناء المهنة) **[د علي القاسمي ٦٥ . ٦٦]** .

ونجد أنّ اللغة تتأثر بالبيئة ، وهذا التأثر ينتج تنوّعا لغويّاً خاصاً ، يميّز لغة المجموعة البشريّة بحسب هذه البيئة ، فتتكون من هذا التميّز اللهجات ، ولغات المجموعات المختلفة ، كالطبقات ، والاختصاصات المهنيّة ، والحرفيّة ... إلخ ، لذلك (فاللغة التي تكثر فيها الألفاظ الخاصة ، أو المصطلحات العلمية ، أو المهنية ، يمكن تسميتها باللغة الخاصة ، ويسميها بعض اللغويين بلغة الأغراض الخاصة لتمييزها عن العامة التي تستعمل لأغراض الحياة اليومية ... ويسميها بعضهم باللغة القطاعية لأنها تستعمل في قطاع معين من قطاعات الحياة المتعددة ، وتكثر في هذه اللغة الخاصة المصطلحات المتعلقة بالحقل العلمي) **[د علي القاسمي ٦٥ . ٦٦]** .

(وكانت مدرسة براغ [اللغوية] تفضّلُ الحديث عن الوظائف اللغوية ، بدلا من الأغراض ، وتحدّد أربعة أنواع من اللغة ، ولكل نوع منها وظيفة مختلفة عن الأخرى ، وهي:

اللغة اليومية : ذات الوظيفة التواصلية .

واللغة التقنية : ذات الوظيفة العملية التقنية [التطبيقية] .

واللغة العلمية : ذات الوظيفة النظرية / التقنية .

واللغة الأدبية : ذات الوظيفة الجمالية .

ويختص كل نوع من هذه الأنواع بأسلوب معين ... يُستعمل في التواصل في الحياة اليومية بعمومها) **[د علي القاسمي ٦٦]** .

واللغة فيما تؤديه من وظائف تعبر عن صورة الأمة ومكانتها في مجالات النشاط الإنساني ، وكيفما تكن الأمة من حيث الرقي تكن اللغة ؛ لذلك فتعلق علماء الأمة بلغات الأمم الأخرى وتركهم للغتهم الوطنية يعني الضرر المباشر بأمتهم ومستقبل أجيالها ، من حيث يدركون أو لا يدركون ، ولا وجود للغة بغير المتكلمين بها ، و لا تحيا اللغة إلاّ بحياة أبنائها ، فكلّ تطور في حياة الأمة يؤثر تأثيرًا واضحًا في لغتها .

قال ابن حزم في تراجع اللغة بتراجع مكانة أهلها : (إنَّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم ... فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها

وأخبارها قوة دولتها ، وأما من تلفتْ دولتهم وغلب عليهم عدوهم ، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم ، فمضمونٌ منهم موت الخواطر ، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم ... وأخبارهم وبيود علومهم) **[د كمال بشر ٣٠]** .

فيوم أن توقفَ البحث العلمي عند العرب المسلمين تراجعت لغتهم ، وتوقف البحث في المصطلحات العربية عندهم ولاسيما في الحقبة التي تسمّى الفترة المظلمة ، ذلك زمن الحكم العثماني التركي ، حتى جاءت النهضة العربية الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر ، والتي حاولت فيها الأمة أن تستعيد أنفاسها ، وتحث السير بغية اللحاق بالركب العالمي .

ولأن الأمة لا تملك زمام أمورها ولاسيما حين ازداد النشاط الاستعماري ، الذي له من أسباب القوة ما منع من تحقيق المطلوب ، ووضع الأسباب التي تحول دون ذلك ، ومن أشدّها اقتناع بعض المتخصصين من الذين انحازوا إلى اللغة الأجنبية ، وربما جرّدوا العربية من أية فضيلة ، وقد يتعصبون لما انحازوا إليه ، ويدّعون نقص اللغة العربية ، أو قصورها عن تداول العلوم ، وينفون ما تتمتع به من مزيّات وخصائص ، والذي يهمّنا هنا الوظيفة العلميّة التي يجب أن تؤديها العربية في هذا العصر ، ويهمنا أيضًا التذكير بأنّ العربيّة كانت قد حملت العلم والحضارة ، وقد كتب بها العرب المسلمون كل فن من فنونهم وثقافتهم ، فكان لها التقديم على لغات الأقوام التي انضوت تحت راية الإسلام **[د.محمد حسان الطيان٣٥]** .

ذلك التوجه في الانحياز يدفعنا إلى الاستشهاد بغير العرب للغة العربية ، ومن الأمم الأخرى كالغربيين ، ومنهم المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ، الذي يقول : (استطاعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر ، سواءً كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية ، أو وصف المشاهدات ، أو خيالات النفس وأسرارها . واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي ، والعربية من أنقى اللغات ، فقد تفرّدت ... في طرق التعبير العلمي والفني والصوفي ، إنّ التعبير العلمي الذي كان مستعملاً في القرون الوسطى لم يتناوله القدم ، ولكنه وقف أمام تقدّم القوى المادية فلم يتطوّر . أما الألفاظ المعبّرة عن المعاني الجدلية والنفسانية والصوفية فإنها لم تحتفظ بقيمتها فحسب ، بل تستطيع أن تؤثر في الفكر الغربي وتنشّطه . ثمّ ذلك الإيجاز الذي تتسم به اللغة العربية ، والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم ، والذي يُعدّ معجزةً لغويةً كما قال البيروني) **[أنور الجندي ص ٣٠١ – ٣٠٢]** .

ويشهد لها أيضًا الأستاذ ميليه في قوله : (إن اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنية ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون

، ولمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية لم يخرج أحد من الإسلام إلى النصرانية ، ولم تبقَ لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبين ، حتى اللغة اللاتينية الأم الكبرى ، فقد صارت وعاءً لنقل المفردات العربية) **[أنور الجندي ص ٣٠٣ -٣٠٤]** .

ويقول الفرنسي جاك بيرك : (إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات ، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا ، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية ، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية **[أنور الجندي ص ٣٠٤]** .

وأكّد المستشرق ريتر أستاذ اللغات الشرقية بجامعة اسطنبول : (إن اللغة العربية أسهل لغات العالم وأوضحها ، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقةٍ جديدةٍ لتسهيل السهل وتوضيح الواضح . إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أمليه عليهم من المحاضرات بالحروف العربية وبالسرعة التي اعتادوا عليها – لأن الكتابة العربية مختزلةٌ من نفسها – أما اليوم فإن الطلبة يكتبون ما أمليه عليهم بالحروف اللاتينية ، ولذلك لا يفتأون يسألون أن أعيد عليهم العبارات مراراً ، وهم معذورون في ذلك لأن الكتابة الإفرنجية معقّدةٌ والكتابة العربية واضحةٌ كلّ الوضوح ، فإذا ما فتحتَ أيّ خطابٍ فلن تجدَ صعوبةً في قراءةِ أردأ خطٍّ به ، وهذه هي طبيعة الكتابة العربية التي تتسم بالسهولة والوضوح) **[إبراهيم بدوي الجيلاني ص ٩١]** .

وفي المقابل يجدُ المتأمّل أنّ المنبهرين بالإنجازات الغربية ، والمنقادين إلى التسليم بلغات أهلها ، ولاسيما الإنجليزية يعانون من الإحباط ، والتسليم بتأخر لغتهم وانحسارها ، بل عجزها عن التعبير عن متطلبات الحضارة الحديثة في هذا العصر . وكأنّ هؤلاء لا يعلمون أن العربية من اللغات القلائل الثابتة الأصول المتينة البنيان ، التي كُتب لها البقاء والامتداد في العمر ، وفيها يفهم المتأخر ما كتبه السابق ، وتخلدُ نصوصها عبر الأعصر والقرون ، ويتواصل أبناؤها بها عبر الزمان والمكان ، فما كتبه امرؤ القيس ، والنابغة ، وعنترة في أقدم زمانهم ، حاضر ماثل اليوم يتغنى به الشعراء والكتاب ، بل يتعلمه التلاميذ والطلبة ، ويظلّ عذبًا سلسًا على ألسنة متداولي هذه اللغة الكريمة ؛ في حين لا يفهم الإنجليزي اليوم ما كتبه شكسبير وأمثاله قبل بضع مئات من السنين ! **[د.محمد حسان الطيان ٣٠]** .

وفي ثباتها وتثبيتها لأهلها يقول المستشرق الألماني يوهان فك : (إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع

البلدان العربية ، وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي ، رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية . لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر . وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ أيضًا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ، ما بقيت هناك مدنية إسلامية) **[يوهان فك ٢٣٤]** .

ومن المؤلم حقًا أن يتعامى هؤلاء عن جهود الحضارة العربية الإسلامية طيلة عشرة قرون في العلوم والفنون والآداب ، بعد أن استوعبت هذه اللغة بالترجمة والتعريب ما عند الأمم الأخرى ، ومن كل لغات الدنيا ، وقد وعت هذه اللغة تلك العلوم ، وتمثلت تلك الفنون ، وكانت قد قُدّمت بلسان عربي مبين تجربة مهمة من التجارب الإنسانية **[د.محمد حسان الطيان]**.

في حين يعترف ماريو بِلْ مؤلف كتاب . قصة اللغات . بأن العربية هي اللغة العالمية في حضارات العصور الوسطى ، وكانت رافداً عظيماً للإنكليزية في نهضتها وكثيرٍ من الأوربيّات ، وقد أورد قاموس Littre قوائمَ بما اقتبسته هذه اللغات من مفرداتٍ عربيةٍ ، وكانت أولها الإسبانية ثم الفرنسية والإيطالية واليونانية والمجرية وكذلك الأرمينية والروسية وغيرها ، ومجموعها ٢٧ لغة ، وتقدر المفردات بالآلاف **[أنور الجندي ١٧٨]**.

لذا يعبّر المحقق التركي الكبير فؤاد سزكين عن دهشته من جحد الحضارة الغربية لفضل الحضارة العربيّة الإسلاميّة ، وأنّ الحضارة الغربيّة (أشبه ما تكون بالولد الذي نُسب إلى غير أبيه الحقيقي) **[محمود الحاج قاسم محمد ص ٨٦]** .

وفي ترقي العربية من اللغة الأدبية إلى اللغة العلمية يقول د . حسين نصار : (إن أكبر تحدٍّ واجهته العربية كان عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنية كل الغنى في الإبداع الأدبي فقيرة كل الفقر إلى حد الإملاق في الإنتاج العلمي ، ثم ألقى بها في القرنين الثاني والثالث الهجريين في بحر زاخر من الحضارات والعلوم والفلسفات والفنون وكل صنوف المعرفة التي ابتكرتها الأمم المتاخمة للجزيرة العربية كالفرس والروم والسريان والمصريين ، والأمم البعيدة عنها كالهنود والصينيين والأتراك والبربر وشعوب أسبانية . ولكن العربية صمدت لهذا التحدي بفضل ما بثه الإسلام في العرب من رغبة في المعرفة وسعي في طلبها وطموح وعزم وتخطيط وتنفيذ وتعاون مع غير العرب من أبناء الشعوب العارفة باللغات الأجنبية واللغة العربية فلم يمض إلا وقت غير طويل حتى نقلت العربية كل ما وجدت عند هذه الأمم إليها ، فاستطاع أبناؤها بعدُ أن يتمثلوها فهماً ، ولم يمض كبير وقت حتى شاركوا في الإنتاج والابتكار . فصار ما كتبه هؤلاء المفكرون والعلماء منذ القرن الثالث نبراسا

استضاءت به شعوب العالم القديم . لا يستطيع أن ينكر ذلك إلا منكر لعقله ، منكر لشمس النهار الصحو ، منكر لتاريخ الإنسان وتطوره الحضاري) **[د حسين نصار]** .

وقال المستشرق الألماني نولدكه عن العربية وفضلها وقيمتها : (إن اللغة العربية لم تَصِرْ حقّاً عالميةً إلا بسبب القرآن والإسلام ، وقد وضع أمامنا علماءُ اللغة العرب باجتهادهم أبنيةَ اللغة الكلاسيكية ، وكذلك مفرداتها في حالة كمالٍ تامٍّ ، وأنه لا بدّ أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية ، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطةٌ جداً ، ولكنهم في داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمةٍ خاصّةٍ ، والعربية الكلاسيكية ليست غنيّةً فقط بالمفردات ولكنها غنيةٌ أيضاً بالصيغ النحوية ، وتهتمّ العربية بربط الجمل ببعضها ... وهكذا أصبحت اللغة . البدويّة . لغةً للدين والمنتديات وشؤون الحياة الرفيعة ، وفي شوارع المدينة ، ثم أصبحت لغةَ المعاملات والعلوم ، وإن كلَّ مؤمنٍ غالباً ... ما يتلو يومياً في الصلاة بعض أجزاء من القرآن ، ومعظم المسلمين يفهمون بالطبع بعض ما يتلون أو يسمعون ، وهكذا كان لا بُدّ أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المتّسعة ما لم يكن لأيّ كتابٍ سواه في العالم ، وكذلك يقابل لغة الدين ولغة العلماء) **[نذير حمدان ص ١٣٣]** .

وكانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم لغة المجتمع الإسلامي الجديد ، عنوان مرحلة النهوض ، يخدمها العلماء الأجلاء من العرب وغيرهم ، وكانت قد شهدت حركة دائبة لترجمة العلوم والآداب ، من لغات الأمم كالفارسية و الهندية و اليونانية والرومانية و النبطية وغيرها ، لتنقل علوم هذه الأمم إلى اللغة العربية ، لكن ربّما ادّعى المبهورون بحضارة الغربيين ، أنّ حضارتنا العلمية استندت إلى جهود غير العرب لكنهم كانوا عرب اللسان . من الذين دخلوا في دين الله ، من الفرس أو الروم أوالترك ، الذين كانوا ينتمون إلى أعراق مختلفة وألسنة شتى ، لكنهم كانوا حقًّا من عرب اللسان ، يفكرون باللغة العربية ، وقد أخلصوا إلى لغة القرآن الكريم وانقطعوا لها **[د.محمد حسان الطيان ٤٠]** .

حتى أنّ منهم من قدّمها على لغة قومه من الذين يتحدّثون بغير العربية ، فهذا مثلا الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) يقول في مقدمة كتابه فقه اللغة وسر العربية : (أمّا بعد حمد الله على آلائه ، والصلاة والسلام على محمد وآله ، فإنّ من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان ، وآتاه حسن

سريرة فيه اعتقد أن محمداً خير الرسل ، والإسلام خير الملل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ، ومفتاح التفقه في الدين) [٢ . ٣].

وهذا الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) الذي هو من قرى خوارزم يقول : (الله أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية ، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية لهم ، وأبَى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم ، وأمتاز ، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية ، وأنحاز ، وإلى أفضل السابقين ... محمد ... النازل من قريش في سُرّة بطحائها ، المبعوث إلى الأسود والأحمر بالكتاب العربي المنوّر ، ولآله الطيبين أدعو الله بالرضوان لهم ، وأدعوه عل أهل الشقاق ولهم العدوان ، ولعلّ الذين يغضّون من العربية ويضعون من مقدارها ، ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها ، حيث لم يجعل خيرة رسله ، وخير كتبه ، في عجم خلقه ، ولكن في عربه ، لا يبعدون عن الشعوبية ، منابذة للحق الأبلج ، وزيغاً عن سواء المنهج ؛ والذي يُقضى منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم ، وفرط جورهم واعتسافهم ، وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية ، فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها ، وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بيّن لا يدفع ، ومكشوف لا يتقنع . ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب ، والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه ، والأخفش ، والكسائي ، والفراء ، وغيرهم من النحويين ، البصريين والكوفيين ، والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم ، والتشبث بأهداب تفسيرهم وتأويلهم . وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم ، وتدريسهم ، ومناظرتهم . وبه تقطُر في القراطيس أقلامهم ، وبه تسطُر الصكوكَ والسجلات حكامُهم ، ويدّعون الاستغناء عنها وأنّهم ليسوا في شِقّ منها ...) **[الزمخشري ١/ ٤١ . ٥٦]** .

المبحث الثالث : الاختصاص ولغة العلم

تختلف الحقائق العلمية عن حقائق الأدب ، فالمنهج العلمي : (مجموعة من الإجراءات أو الأساليب التي يعتمد عليها أي باحث في دراسة ظاهرة من الظواهر ، وبعض الإجراءات والأساليب حسي وبعضها عقلي ... ويتمثل الجانب العقلي في عمليتي التجريد والتعميم ، وهاتان الكلمتان تشيران في الحقيقة إلى لبّ المنهج العلمي في دراسة ظاهرة ما ... فإذا قال شاعر مثل أبي العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) :

خفّف الوطءَ ما أظنّ أديمَ الأرضِ إلاّ من هذهِ الأجسادِ

فأبو العلاء يقدم لنا في هذا البيت تصورًا شعريًا لمكوناتِ الأرض ، يختلف تمامًا عن المعرفة العلمية للعناصر التي تتكون منها الأرض ، ومع ذلك فلا يجوز أن يتعرض له عالم الجيولوجيا قائلا لقد أخطأ أبو العلاء ، فسَطحُ الأرض [عند الجيولوجي] ليس مكونًا فقط من العناصر التي تكون أجساد البشر ، إنما يحتوي على عناصر أخرى كثيرة ... مثل هذا العالم الجيولوجي لم يفهم الحقيقة الشعرية لأنّ للشعر مقاييسَ أخرى مختلفة يقاس بها غير المقاييس التي يقاس بها الصواب والخطأ في العلوم ، ولأنّ الحقيقة العلمية عامة ومجردة ، أمّا الحقيقة الشعرية فهي خاصة وفرديّة ... تختلف من شاعر إلى آخر) **[د حلمي خليل ٤٩ . ٥٠]** .

ويتضح هذا عند فتجنشتاين بالاختلاف بين نظامين متباعدين ، وقضيّتين مختلفتين ، فـ (عندما نتحدّث عن أحاسيسنا ، مثلا ، نكون بصدد لعبة لغويّة معيّنة ، وعندما نتحدّث عن الأشياء نكون بصدد لعبة أخرى ، ومن يريد اختزال إحداهما إلى الأخرى ، يكون كمن انطلق على رسله يتحدّث عن كرة المضرب بحدود كرة القدم) **[مصطفى الحداد ٩٦]** .

(ويترتب على هذا أنّ فهم اللغة في نظر فتجنشتاين يستدعي مهارة التمكن من قواعد اللعب ، لذلك اقتضى فهم اللغة عنده معنى عمليّاً ، أي معنى تكون اللغة والفعل فيه منتميين إلى نموذج الألعاب اللغويّة . ويستلزم هذا النموذج أنّ المرء لا يفهم العبارات معزولا بعضها عن بعض في إطار الألعاب التي تنتمي إليها ... [في] الإطار المرجعي الذي يتعلم فيه المرء ... عندما يتدرب على لغة مجموعته) **[مصطفى الحداد ٩٦]** .

ولغة العلوم التطبيقية لغة منطقية خاصة ، لغة تعبر عن العلم المحض وقضاياه العمليّة من دون لبس أو غموض ، بدقة متناهية ، ووضوح مطلق يجعل الإجابة بمجرد طرح الأسئلة **[جمال محمود ٢٤٨]** ، ومباشرة تطابق الوقائع كما هي ، لا تخالف مضامينها ، يُفترض أن

يُبتنى في أذهان المتعلمين منذ خطوات التعليم الأولى ما يميّزها عن اللغة الأدبية ، ولاسيما ما يخص اللغة الوطنية عند المتعلم باللغة الأجنبية ، لأن أكثر ما تعلمه الطالب في مراحل التعليم العامة من لغته العربية اتجه اتجاهًا أدبيّاً وفنيّاً يظهر إعجاز القرآن الكريم ، وروعة تأليف آياته ، واكتناه أسرار نصه الشريف ، ومعرفة علوّ بيانه ، وكذلك جماليّات النصوص الشعريّة والنثريّة .

وإن تُركَ توضيح هذا الواقع ، وهذا التوجه نظريّاً وعمليّاً ، فسينصرف ذهن المتعلم المتخصص إلى التسليم بأنّ اللغة العلمية هي اللغة الأجنبية ، لا اللغة العربية التي رسخت عنده وجهتها الأدبيّة والجماليّة الإبداعيّة ، وسيشكك في قدرة اللغة العربية على تداول العلوم ، وسيتطرّق إليه الوهم بقصور هذه اللغة لما تحصّل عنده ممّا تعلّمه ، من أنّ العربيّة لغة قرآنيّة وأدبيّة خالصة ، ولا يمكن أن تكون علميّة تطبيقيّة ، فضلا عن وقوعه تحت تأثير انحياز أغلب أساتذة العلوم الصرفة الذين تعوّدوا اللغة الأجنبيّة ، لا اللغة العربيّة ، فصارت لغتهم العلميّة غير لغتهم الوطنيّة . فسرّب هؤلاء الأساتذة إلى تلامذتهم هذه الأوهام ، من دون تبيّن ، أو اطلاع كافٍ على تجربة العربية في ميدان التخصص العلمي في القديم ، أو في هذا العصر ، ولاسيّما التمييز بين خصائص اللغة العلمية وغيرها .

خصائص اللغة العلمية

١ . الموضوعية : التي تُعرَضُ فيها الحقيقة العلمية مستقلة عن رغبة منشئ النص العلمي أو مترجمه ، فيصف الحقائق كما هي ، بعيداً عن انطباعه الشخصي وإدراكه الخاص ، فلا أثر لخياله أو هواه أو انفعاله أو اعتقاده **[د علي القاسمي ٦٨ . ٦٩ ، و د سامي مهدي المظفر ص ٨٥]** .

٢ . الدقة : المستندة إلى المعيار العلمي الذي لايحتمل فيها النصّ ولا أجزائه إلا معنى واحداً وتفسيراً واحداً ، تلك الدقة الخالية من اللبس ، أو الاشتراك بين المعاني ، والتي لا يتطرق إليها الوهم أو الاحتمال ، أو التعابير غير المباشرة ، كالاستعارة ، أو الكناية وغيرهما ، فلغة النصّ العلمي وسيلة لنقل مضمون ما ، وليست شكلاً ولا غاية في نفسها **[د سامي مهدي المظفر ص ٨٥]**.

٣ . الإيجاز : على قدر المفهوم ، وبما يطابقه ، وبأقل الألفاظ ، وبأقصر عبارة ممكنة ، ويمثل الدكتور علي القاسمي للقِصر بالمعادلات الرياضية وغيرها ، في قوله : (تعدّ الرياضيات اللغة العلمية المثالية ، لأنها تصف الظاهرة الطبيعية بمعادلة رياضية قصيرة ، محددة المعنى

، دقيقة الدلالة . ولقد قيل : إنّ العلم الذي يستخدم الوصف بدلاً من المعادلات الرياضية هو علم مازال في مرحلة الطفولة) **[د علي القاسمي ٧٠]**.

وعلى الرغم من تميّز اللغة الخاصة بهذه الخصائص لكنّها تظل جزءاً من اللغة العامة لا تنفصل منها ، بل هي الجزء المتميّز منها ، ووجودها بوجودها ، فهي مرجعها ونوع مقنن من أنواعها ، وموظف لشأن من شؤونها ، واستعمالها لتبادل المعلومات العلمية أوالتقنية أو المهنية ، والأهم هو تفاعل اللغة الخاصة مع اللغة العامة ، في الأخذ والعطاء ، فقد يتحوّل من اللغة ما هو عام إلى خاص ، وفي المقابل قد تجلب اللغة الخاصة إلى اللغة العامة مفردات جديدة تلبية لحاجات ضرورية تتطلبها الحياة اليومية في تطوّرها المتواصل .

و(اللغة العامة تعبّر عن ذات الإنسان وما يراه في الكون من حوله ... فإنّ وحدات اللغة العامة ... لا تخضع للتغير السريع ، وإنما تمتاز بنوع من الثبات النسبي ، بالمقارنة مع وحدات اللغة الخاصة ، التي تعبر عن مفاهيم وأدوات ومخترعات هي عرضة للتغيّر المستمر نتيجة لتطور المعرفة ، خاصة في عصر يكون التطور العلمي والتقني فيه متسارعاً ومتلاحقاً) **[د علي القاسمي ٦٥ . ٦٦]** .

لكن هل من فرق جوهري بين الكلمات والتراكيب في اللغة العامة واللغة الخاصة ولاسيّما المصطلحات ؟

يعرض الدكتور علي القاسمي الأمر استناداً إلى الخلاف بين اللغويين والمصطلحيين ، في قوله : (إنّ اللغويين يتعاملون مع الكلمات ومعانيها وحقولها الدلالية ، أمّا المصطلحيون فيتداولون المصطلحات ومفاهيمها ومجالاتها المفهومية ، بل أنظمتها المفهومية . وإذا كان معنى الكلمة يتحدّد من سياقها في الجملة ، فإنّ مفهوم المصطلح لايمكن ضبطه إلاّ من تحديد موقع المفهوم الذي يعبر عنه ، في المنظومة المفهومية ، ومن تخطيط شبكة علاقاته بالمفاهيم المجاورة له في تلك المنظومة . فالمصطلح يمتاز عن الكلمة بدقته وانتمائه إلى منظومة مصطلحية ... ولهذا فإن علم المصطلح ليس من علوم اللغة ، وإنّما هو مستقل عنها ، يستخدِم علوم اللغة فيما يستخدِم ، ولكنه يستوعب كذلك علم المنطق ... وعلم التصنيف ، وغيرها من العلوم الراقية المتصلة بالعقل وليس باللسان فقط ، فهو يبحث أساساً في طبيعة المفاهيم والعلاقات القائمة بينها وكيفية استخدام المصطلحات التي تعبر عنها بدقة ... في حين أنّ اللغوي يبدأ عمله بالصعود من الكلمة فالجملة [فالنصّ] وصولا إلى المعنى ، فإنّ المصطلحي ينطلق بالاتجاه المعاكس ، أي من دراسة المفهوم وخصائصه الجوهرية ليصل إلى المصطلح الدقيق الذي يعبر عنه) **[د علي القاسمي ٧٩]** .

وفي المقابل يرى اللغويون (أنّ المصطلحات ما هي إلاّ ألفاظ قطاعيّة ، أي يستعملها قطاع خاص من الناطقين باللغة من المهنيين والحرفيين ، لعلاقة تلك الألفاظ بعملهم ، ولهذا فهي ألفاظ تنتمي إلى اللغة الخاصة بذلك القطاع من الناس ، وما (المنظومة المفهومية) إلاّ تعبير آخر عن (الحقل الدلالي) للكلمات . ومهما يكن من أمر فإنّ اللغويين والمصطلحيين متفقون على أنّ الكلمات والمصطلحات هي ألفاظ ... وأنّ هذه الألفاظ انتقلت من القطاع الخاص إلى الاستعمال العام أو في طريقها إلى الانتقال) **[د علي القاسمي ٧٩]** .

وهذا الاختلاف أحوج المترجم أو معرّب النصوص العلمية إلى الجمع بين الاختصاص العلمي الدقيق والتمكن اللغوي العالي ، ليصل إلى الأنسب علميّاً ، والأدقّ والأوفق لغويّاً ، ممّا يوجب امتلاك ناصية اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها ، ذلك ما يسمى بالازدواج اللغوي ، فيكون من الذين يحسنون التعامل مع لغتين ويحيطون بمزيات كلّ منهما ، ويعتنون في مترجماتهم بالألفاظ الصحيحة ، والمعاني اللغوية المناسبة ، والمنسجمة أيضاً والمفاهيم المحددة علميّاً ، المعبّر عنها بالمصطلح العلمي الدقيق ضمن منظومته .

(أمّا التفرقة بين ترجمة النصّ العلمي والأدبي فتحدّد على العموم بموقف المترجم من كلّ منهما ، فمترجم النص العلمي لا بدّ أن يكون موضوعيّاً ، وينبغي أن يلتزم بالدقة وأن ينقل النص الذي يترجمه بأكبر قدر ممكن من الأمانة ، مع مراعاة ترتيب عناصر الجملة بنفس الطريقة التي رتبت بها في النص الأصلي ، ومن الجدير بالذكر أن تذكر الآثار التي قد تترتب على الترجمة الخاطئة بطريقة استعمال دواء ما أو تشغيل جهاز كهربائي . على عكس ذلك ، يتمتع مترجم النصّ الأدبي بقدر من الحريّة ، فمترجم النص الأدبي مبدع ، والإبداع يوجب إلى حدّ كبير القدرة على التخيّل) **[د سامي مهدي المظفر ص ٨٥]** .

(ذلك لاختلاف وجهة الأدب ووظيفته ، لأنّ المراد منه هو الإثارة الوجدانيّة والتعبير عن تجربة شعوريّة ، كأنّ يحثنا الأديب على الفضيلة وينهانا عن الرذيلة ، أو يحقق غرضاً حياتياً أو وطنيّاً أو اجتماعياً أو إنسانيّاً ، فالانفعال وحده هو غاية كلّ عمل أدبي ، ولا يُحضر على الأديب أن يقصد أي غرض من أغراض الحياة العملية ، أو أن يلم بأيّة حقيقة عقليّة ، لكنّ توظيفه لها يكون توظيفاً أدبيّا يثير في نفوسنا انفعالاً مستمداً من هذه الحقائق ، والعبرة هي بمدى الانفعال الوجداني بها ، فهو تعبير عن التجربة الشعوريّة التي لا يقصد بها مجرد التعبير ، بل رسم صورة لفظية موحية مثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين ، وهذا شرط العمل الأدبي وغايته ، وبه يتم وجوده ويستحق صفته) **[سيد قطب ص ٩]** .

وقد تكون الحقيقة العلميّة حقيقة تتصل بعلم النفس ، أو الاجتماع ، أو السياسة ، أو التاريخ ، أو غيرها من الحقائق ، فمثلا (صراع الطبقات في المجتمع الحديث حقيقة اجتماعيّة ، يحللها العالم الاجتماعي ، ويذكر أسبابها ويتتبع أطوارها ... فلا يكون هذا عملاً أدبيّاً ، ولكن قد يأتي أديب موهوب تنفعل نفسه بهذا الصراع ، ويعيش بإحساسه في غماره ، فيصوّره تصويراً إنسانيّاً ، أو يُنشئ حوله قصة أو تمثيلية يصوّر فيها هذا الصراع تصويراً حيًّا ، ينفعل له من يقرؤه ، ويعيش بشعوره مع أشخاصه وحوادثه . فهنا يصبح هذا التصوير عملاً أدبيًّا) **[سيد قطب ص ٩]**.

وقد يتعرّض الأدب إلى الانفعال بحقائق علميّة مادّيّة خالصة ، لا يبدو لها أيّة صلة بالأدب ، فيعبّر الأديب عنها من زاويته الأدبيّة الإبداعية الشعوريّة ؛ فـ (ليس هناك فواصل حاسمة بين المناطق الشعورية . فعملية تحطيم الذرة مثلاً حقيقة علمية ، يصفها عالم المعمل وصفاً دقيقاً ، فتظلّ العملية كما يظل وصفها بعيداً عن عالم الأدب ، ولكن قد يأتي شاعر ذو حس مرهف فينفعل بهذه الحقيقة العلمية انفعالاً خاصاً ، لأنّه يرى فيها مثلاً مولد عصر جديد ، أو لأنّه يلمح من ورائها وحدة الكون والكائنات ، فإذا هو تأثر تأثراً شعوريّاً بهذه الحقيقة ، وعبّر عن تأثّره هذا تعبيراً موحياً ، مثيراً للانفعال في نفوس الآخرين ، فذلك عمل أدبي بلا جدال ... ولا يفهم من هذا أنّ الأدب عدوّ الحقائق من أي لون كانت ، إنّما المهم أن تصبح هذه الحقائق شعورية ، وأن تتجاوز المنطقة العقلية الباردة إلى المنطقة الشعوريّة الحارة ...) **[سيد قطب ص ٩]**.

لكن قد نجد في الجانب الآخر نصّاً علميّاً رصيناً يحمل شحنة جماليّة ، غير أدبيّة انفعاليّة ، فيفوق هذا النص غيره من مثله ويبقى علميًّا ، وقد يتميّز نصّ من نصّ وتأليف من تأليف ومضمونهما واحد ، لكنّ المفروض أن تتراجع والحالة هذه الصفة الجمالية المحض عنه ، ولاسيّما أمام الرغبة في المزيد من الوضوح ، واعتماد الدقّة المتناهية في التعبير ؛ غير أنّ مترجم النص العلمي مبدع أيضًا وله شخصيّته الأسلوبيّة ، فقد يكيّف ما يريد وطبيعة الرسالة العلميّة التي يريد إيصالها ؛ فيوفق فيما يزيد أو يحذف أو يقدّم أو يؤخر والمضمون العلمي الرصين هو هو .

لهذا فالترجمة العلميّة قد تحمل رسالة ، ذات جمالية بالرغم من أنّ النصّ العلمي نفسه نصّ تعليميّ ، في المقام الأوّل ، **[د سامي مهدي المظفر ص ٨٥ . ٨٦]** .

وإنّ (المُخترَعَ يدخل على المجتمع ، والمصطلح يدخل على اللغة ؛ وهو ليس منها ... وكلّ لغة قادرة على صناعة مصطلحها) **[الساسي ١٠٥]** ، والتمكّن منه شرط إرادة علماء ذلك المجتمع ، بعد الاشتغال بما يتصل به ، وامتلاك ناصيته ، أو الإسهام في تطويره .

فالمصطلح منقول إلى غير البيئة اللغوية التي وُلِد فيها ، ومن خارج نظامها اللغوي ، ولا صلة له بها ، لا بأصواتها ، ولا بأبنية كلماتها ، وهذه الغرابة تؤثر في الفهم والإفهام ، وعندئذ يتوقف الاتصال الواضح بين المرسل والمستقبل ، ولا يفهم المخاطب المقصود من الكلام الذي يحتويه ، لأنّ الغرض من المصطلح أن يكون أداة التفاهم ووسيلة التواصل ، فلابدّ أن ينسجم ومفردات اللغة وتراكيبها ، ذلك لأنّ (الألسن كالمجتمعات ، وكما لكل مجتمع خصائصه ، فكذلك لكلّ لسان خصائصه المميّزة ... وخصوصيّة نزول القرآن باللسان العربي يترجم خصوصيّة اللسان العربي ، في توافره على جملة خصائص أساسية عدمت في اللسان الأعجمي ، ومنها الإبانة والإعراب والاشتقاق والاقتصاد ، وهي في جملتها تعكس عالميّة اللسان العربي التي تفيد حركيّته وبقاءه ونماءه مع الزمن . والقرآن الكريم معجزة بيانية خالدة محفوظة بيد الله لقوله : ﴿إنّ نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾[الحجر-٩] . الأمر الذي يقرّر حفظ اللسان العربي بالقرآن الكريم) **[الساسي ٢٥٥]** .

وضعف البحث العلمي يعني فيما يعنيه ضعف اللغة ، وتوقف التفكير في المصطلحات في تلك اللغة .

وكان لهذا الوضع أن تأخر مجتمعنا عن الركب العالمي ، وقد فقد أبناؤنا ثقتهم بلغتهم واستسلموا لغيرها من لغات الغرب ، وابتعدوا عن التفكير بها ، وتشاغلوا عنها بغيرها ، وقد قدّروا أنّ هذا من الاستجابة للعلم والحضارة ، والاقتراب من العلم والعالمية ، فأخذت الهوة تتسع بين أبناء العربية ومعطيات الحضارة المعاصرة ، وليس أدل على ذلك من أنّ أعداد الكتب الصادرة سنوياً في دولة صغيرة كالمجر هو (٧٥٦٢) كتاباً ، وهذا يفوق مجموع الإنتاج في كل الدول العربية مجتمعة والمقدر بألف كتاب ، و انتاجها من الكتب المترجمة ما بين (٣٠٠-٣٥٠) كتاباً سنوياً ، وهذا لا يتعدى عدد الكتب المترجمة في دولة صغيرة مثل بلغاريا حيث يبلغ (٧٢٠) كتاباً **[د. ناصر إبراهيم صالح النعيمي ٥]** .

ومما زاد الطين بِلة ، كثرة المصطلحات وتنوعها بين : انجليزية ، وألمانية ، وفرنسية ، وغيرها ، ثم ارتباك الوضع المفهومي وما ينشأ عنه من توليد للمصطلح الفني بحسب تعارض المدارس اللّسانية ، وتكاثر المناهج التي يتوصل بها لإنتاج المصطلح ، وهذا الاضطراب هو

الذي يؤثر في البناء العلمي ، وهذا ما أكده ابن خلدون ، في قوله : (اعلم : أنّه مما أضر بالناس في تحصيل العلم ، والوقوف على غاياته ، كثرة التآليف ، واختلاف الاصطلاحات في التعاليم ، وتعدد طرقها ، ثمّ مطالبة المتعلم ، و التلميذ باستحضار ذلك ، وحينئذ يُسلّمُ لهُ منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها ، أو أكثرها ، ومراعاة طرقها ، ولا يفي عُمْرهُ بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرّد لها فيقعُ القصورُ ولا بُدّ دونَ رتبةِ التحصيل) **[ابن خلدون ٥٧٨ . ٥٧٩]** .

زد على ما تقدم غياب التنسيق والتواصل بين العلماء ، وكذلك المجامع اللغوية بما يناسب وضع المصطلح ؛ فبعض العلماء وإن سلَّموا بضرورة التنسيق ، واقتنعوا بمصطلح من المصطلحات ، لكنهم لا يتنازلون عما تعودوا استعماله ، وتراهم لا يلتزمون حتى على ما اتفقوا عليه ، وأقروا به في مؤتمراتهم .

وأنّها لمسؤوليّة جسيمة ، تتعلّق بالأفراد والجماعات ، والمؤسسات العلميّة ، وأنّها ضرورة قصوى لانتقال مجتمعاتنا من مرحلة متدنّية إلى مرحلة مزدهرة ، وليست اختياراً نخبوياً وشأناً خاصّاً ، يعني فئة محدودة لها الحق في أن تختار الانعزال بلغة أخرى ، لغة خاصة بها ، منسجمة مع مصدر العلم ونصوصه ، وإن كانت هذه اللغة بعيدة كلّ البعد عن البيئة المحلّيّة ، أو أنها بضاعة غريبة ، بضاعة أمة أخرى ، أو أنّ هذه الفئة اختارت مضطرّة ما يناسبها لصعوبات تتحجّج بها كعجز اللغة العربية ، وتأخرها عن التصدّي العلم الحديث ، وجمودها على ألفاظ ميتة ، ومهجورة ، وغير سائغة ، تمجّها الأسماع ، وتكرهها النفوس ، ولا يتقبلها المتلقي بالقبول الحسن ، ولم تستعمل ولم يعتدها المتكلم ، ولا جرت على الألسنة ، ولا وجود لها إلاّ في الكتب العتيقة ، في زمن التغير السريع ، والانفجار المعرفي ، وزمن الوسائل التي تقدّم الجميل الجذّاب ، والسائغ الذي يستهوي النفوس والعقول ، وكلّ ما يمكن أن يكون مقبولاً مرغوباً به .

إنّ المبالغة في الاقتصار على تعليم العلوم والتقنيات باللغات الأجنبية سيؤدي حتماً إلى انغلاق الجامعة ، وفقدانها التأثير في المجتمع ، وإلغاء ريادتها الاجتماعيّة في التغيير والتنمية البشرية ، وانعزالها عن المجتمع ووسائله الإعلامية ومؤسساته العامة بسبب حاجز اللغة ، فتنزوي البحوث العلمية ، ويتقلص أثرها في أجواء العلم والثقافة عامة ، لضعف التواصل وندرة القراء .

ويشترط بعضهم لأجل الالتفات إلى العلوم الصرفة بالعربية ، أن تستكمل هذه اللغة ما يسمونه بمستلزمات الصلاحية ، ومنها توافر الكتب المناسبة ، والمصطلحات الدقيقة ... إلخ ،

وإلاّ فهم سيواصلون استعمال اللغة الأجنبيّة منفردة ، لعدم توافر المطلوب ، وهذا كلام منطقي ، لكنه لن يتحقّق ، من دون جهد أهل الاختصاص ، وقبل الجهد النيّة الصادقة ، والعزم الأكيد ، وإلا فتحقق شروطهم محال ، في الوقت الحاضر .

و(لعلّ سبب تقاعس الكثيرين من علمائنا العرب المعاصرين عن الترجمة ، في الحقول التي تخصصوا بها ، في جامعات أجنبية ، وكتبوا رسائلهم الجامعية بلغاتها ، هو خوفهم من التعامل مع اللغة العربية ، لعدم اهتمامهم بصرفها ونحوها وآلياتها في النحت والاشتقاق ، وجهلهم بالتراث المعجمي والاصطلاحي الذي خلفه الأجداد وظلّ دفين المخطوطات والكتب التي لا يريدون الرجوع إليها) **[د داخل حسن جريو ص ٥١]** .

ولا بدّ أن يميّز المختص بين خصوصيّة النصّ العلميّ ، المختلف عن النَّص الأدبي ، وأن يكون معلوماً عنده عدم الخلط بين مفردات اللغّة العامّة والمصطلحات العلميّة الخاصّة ، وكذلك معرفة مزيات اللغة العربية على مستوى الأصوات والكلمات والجمل والنصوص ، لأنّ الذين سلّموا للغة الأجنبية وأهملوا لغتهم سيزداد انبهارهم باللغة الأجنبية ، وصدّهم عن لغتهم الوطنية لجهلهم بها ، والإنسان عدوّ ما جهل كما يقولون .

ولو اعتُنِيَ بتعليم ما يخصّ لغة كلّ علم بالعربية ، وبحدود مناسبة لزالت هذه الغربة وهذا الجهل ، لأنّ الأساس اللغوي للملتحقين بكليات الطب والهندسة والعلوم كان جيداً ، عند التحاقهم بهذه الكليات ، استناداً إلى الدرجات التي حصلوا عليها في نهاية المرحلة الإعدادية ، ويشهد لمعظمهم أيضاً ما لمسناه من تمكن بعضهم من المهارات اللغوية الأساسية عامة ، نطقاً وكتابة وإنشاءً ، لكنّ تراجع أداء أكثرهم كان بسبب تركهم استعمال لغتهم ، استعمالا فصيحاً يناسب كل مقام ، وتركهم التفكير في المفردات والأبنية اللغوية العربية لما كرّرنا عرضه سابقاً ، ولا يحتاجون في مرحلتهم الجامعية الجديدة أكثر من تنشيط ما كان معهم من مراحل التعليم يزاد عليه التعرّف إلى لغة العلم التي تختلف عن لغة الأدب ، والمداومة على تعوّد لغة التخصص العلمي ، أي ممارسة النصوص العلمية السليمة باللغة العربية ، للعلوم التي صاروا يتخصصون بها ، وهذا ما سيرسخ الفهم عندهم بلغة قومهم لأنها الأقرب إلى نفوسهم لولا الحواجز التي زرعت ، ولو أزالوا الهالة السوداء التي رسمت ظلماً لهذه اللغة ولأهلها ، لتضاعفت الثقة عندهم بإمكان تداول العلوم بهذه اللغة الكريمة ، وسيفكرون حتماً بالكتابة بها ، لزوال تلك الغربة ، وذلك الجهل ، ولتأكدوا من حقيقة هذه اللغة التي تصلح للعلوم كغيرها من لغات البشر .

لذلك فالتفكير في جعل المختص يقتنع باستعمال لغته الأم ، في بناء الجمل السليمة وتداول المصطلحات العلمية الصحيحة ضرورة علميّة واجتماعيّة وثقافية وحياتية مباشرة ، لا الانتصار لطرف من أطراف الصراع المنقسم على طرفين طرف التعلّم باللغة الوطنيّة والآخر باللغة الغربية ، والإصرار على أنّ المسألة مقصورة على التعليم ومستواه ، وأنّها محسومة عند الذين تعلّموا على الغربيين ، ولا التفات لمصلحة المجتمع وحاجاته ، ومن دون ملاحظة جميع جوانب هذه القضيّة ، وتفرّعاتها .

وإهمال المصطلح العلمي العربي عند الدارسين ، ولاسيما في مراحل الدراسات العليا ، كأن لا يفكر كاتب الرسالة أو الأطروحة بترجمة رسالته ، ولا يعتني بتعريب مصطلحاته ، أو يبحث فيما يحقق له ذلك ، ولا ينهج المنهج العلمي الذي يجعل ترجمته ترجمة علمية دقيقة تناسب لغته الأم باعتماد المصادر العلمية الوثيقة ، أساسها الحرص والمناقشة استناداً إلى المصادر المعتمدة علمياً ، وبما تستحقه هذه الترجمة من عناية لأنها الثمرة الطيبة التي يجنيها المجتمع من باحثيه الذين انتدبهم له لا لغيره .

لكنّنا نلحظ إهمالاً متعمّداً ، حتى في الملخص الذي يلحق بالرسائل والأطاريح ، والذي لا يُفهمُ منه ما يريده واضعه ، عند قراءته ولا يتمكن الباحث نفسه من توضيح ما يتضمنه ، وقد كُتِب بعيداً الفهم والإفهام ، وبلا مبالاة ، أو أنّ المختص حاول ، لكن استعصت الكتابة عليه ، ولم تستقم له العبارات ، على الرغم من اجتيازه مراحل التعليم العام (الابتدائية والمتوسطة والإعدادية) بتفوّق ، فأين ذهبت هذه الدراسة يا ترى ؟ نجيب أنّها لم تذهب ، لكنها لم توجّه بما يناسب العلم والاختصاص ، ولم يُلتفت إلى بناء النصوص العلميّة بلغة عربيّة سليمة ، وتُرِكَ هذا الأمر للجهد الشخصي والعناية الفرديّة ، وفي المقابل كانت العناية كلّها للنص العلمي الأجنبي .

ولعلّ السبب المباشر هو الانصراف القسري الذي منع المتعلم من ممارسة لغته ، وابتعد عن تعوّد صيغها وتراكيبها العلمية ، فيكون مضطرًا إلى الاستعانة بغيره على كتابة هذا الملخص ، وربما من لا صلة له باختصاصه العلمي ، وليس هناك من يحاسب على هذا التقصير محاسبة جدّية ، وصار من الطبيعي أن يترك المختص الملخص العربي إلى مترجم أو مصحح لغوي ، وهو الذي لا دراية له بالمضمون العلمي ، فكلّ الاهتمام للغة الأخرى ، على حساب اللغة الوطنية ، ولاسيّما عند أهل العلوم والطب والهندسة وغيرهم .

فالمصطلح العلمي العربي مهمل على الرفوف العالية ، وبعيد عن أهل الاختصاص وكلياتهم ومعاهدهم ، ولا مراجعة دورية تفصيليّة منظمة له ، سنوية أو غير سنوية ، لما وجد

منه ، ناهيك عن اتخاذ الأسس الصحيحة في الاختيار والتجديد والتوليد والابتداع ... إلخ ، هذا يحصل . مع الأسف الشديد . في أرقى معاهدنا وكلياتنا ، وفي الأجواء الجامعية الرصينة ، التي من المفترض أن تستعين بها المجامع اللغوية في إقرار المصطلحات الجديدة ، لأن الجامعة ميدان الريادة والإبداع ومصدر المجتمع في العلم ومصطلحاته .

ولمّا كان ميل جلّ الدارسين للمصطلح المجتلب ، لمسوّغات كثيرة : منها الكسل والتسليم والتعوّد والألفة ، أو ظنّ الكثير من الأساتذة في التخصصات العلمية والتكنولوجية المختلفة أنّ الاهتمام بالعربية يؤدي حتماً إلى تدني المستوى العلمي ، ويُضعِف مواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية ، وهذا ما يحبط توجهات أهل التعريب ، ويبقي المقابل العربي للأجنبي ثقيلاً ، وربما ممجوجاً ومهجوراً وبعيداً عن الاعتياد والتداول ، أو قصيًّا عن النظر العلمي الصحيح ، لا لأسس علمية أو قصور إمكانية لغوية ، بل لجفاء أهل هذه اللغة ، ومن جامعيّيها ولأجيال متعاقبة ، وهذا هو الضرر الأكيد على المجتمع ولغته ومستقبله .

والسؤال هل ينتقل المجتمع إلى لغة العلم التي اتخذها المختصون ؟

أم يُنقل العلم إلى لغة المجتمع ؟

وهل على أهل هذا العصر أن يعيدوا تجربة نقل اللغة العربية إلى لغة علميّة عالمية بفضل القرآن الكريم ؟

ألم يمنحها الباري عز وجل أسباب الاستمرار ؟

بلى ، تحوّلت هذه اللغة بحسب هذه التجربة العظيمة ، من كونها لغة أدب محدودة في مكان ضيّق ، ولقوم معيّنين من أقوام الدنيا ، إلى لغة أمم وشعوب واسعة ، تجمعهم قوّة عقيدة دينيّة سمحة واحدة ، فـ (إذا لم تكن هذه اللغة في غابر أيامها لا تصلح إلا للشعر و الأدب ، وكانت مزويّة في بداوتها وجزيرتها ، فلمّا جاء الإسلام ، وقامت حضارته ، أصبحت العربية لغة العلم والمعرفة ، وخرجت من حدودها الضيقة لتعمّ الدنيا بأسرها ، وأصبح العلم لا ينال إلا بها ، وغدت المعرفة لا تحصل إلا بإتقانها ، بل غدا تعلمها في نظر الشرع واجباً من واجبات المسلم لأن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب ، وتعلم القرآن وحفظه وفهمه ، وفهم كثير من أبواب هذا الدين مرهون بإتقان هذه اللغة ، فلا مندوحة إذن عن إتقانها) **[د.محمد حسان الطيان ٥٥]** .

وفي ضرورة نقل العلم إلى اللغة العربية استنادًا إلى نجاح تجربة العربية الكبيرة السابقة ، وغاية هذا النقل هي عين غاية النقل السابقة ، يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات : (هذا العلم الذي يسخّر السماوات والأرض لهذا الإنسان الضعيف ، و يذلّل القطعان الملايين للراعي الفرد ، سيبقى غريباً عنا ما لم ننقله إلى مِلْكنا بالتعريب ، و نعمّمه في شعبنا بالنشر ، و لا يمكن أن يصلنا به أو يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب ، فإن من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة ، و لكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة) **[د.محمد حسان الطيان ٦٠]** .

وللتنبيه على خطر تأخير تجربة تعريب العلوم نذكر هنا ما نقلته (جريدة الشرق الأوسط في عددها (٨٢١٥) خبرًا يفيد أن . نصف لغات العالم مهددة بالانقراض . وهذا هو العنوان الذي أعطته لخبرها ، لكن اللغة العربية ليست ضمن هذه اللغات المهددة بالزوال ، لأنها تعد من اللغات الأكثر انتشاراً في العالم ، ويرى التقرير الذي تستند إليه الجريدة المذكورة أن ٦٠٠ لغة من لغات العالم فقط ستتمكن من النجاة من الاندثار ، لأنها لا تزال تدرس للصغار ، وأول هذه اللغات : اللغة الصينية التي يتواصل بواسطتها ٨٨٥ مليون شخص ، تليها اللغة الإسبانية ، ثم اللغة الإنجليزية ، واللغة العربية تقع بعدها في المرتبة الرابعة ، ويشير التقرير إلى أن عدد اللغات حالياً يبلغ ٦٨٠٠ لغة وذلك بعد أن اختفت عن الوجود ما ينيف عن ٩ آلاف لغة كانت مستعملة في خمسة قرون ماضية ، ويعلل التقرير سبب اختفائها بسبب الحروب والهيمنة على متكلميها أو اندماجهم كأقليات في غيرهم . أما اللغة الإنجليزية فيرجع ما وصلت إليه من مكانة في العصر الحديث إلى كونها لغة التجارة والتكنولوجيا ، هذا فضلاً على أن الذين يتكلمون من دون أهلها (أي الذين يعتبرونها لغة الأم) يفوق ٣٥٠ مليوناً . وهكذا ، فإن مصير لغتنا العربية لا يتوقف على عدد متعلميها ومتكلميها بقدر ما يجب أن تصبح لغة الحياة الاقتصادية والعلمية ، لأن ذلك هو الضامن لها أن تبقى في مركزها إن لم يؤهلها أن تتقدم عنه إلى الأمام **[إلياس عطا الله ٦٦]**.

وفي الكشف عن الخلل في جانبه العملي وجدت لجنتنا ، لجنة اختبار المهارات الأساسية للغة العربية . المنوّه عنها في المقدمة . التي أجرتها لأساتذة المستقبل ضعفهم اللغوي ، وعدم تمكنهم من الضبط الصحيح لما يكتبون أو يقرؤون ، فضلا عن أنّ كثيرًا منهم ، لا يتقن أيسر آليات الصرف و الضبط ، التي يُفترض أن يكونوا قد تعلموها في أوائل مراحل التعليم العام ، وقد حصلوا على الدرجات العالية في مادّة اللغة العربية ، حينما كانوا قد أنهوا المرحلة الدراسية العامة ، والفرق كبير بين صعوبة ما واجهوه في تلك الامتحانات ، ويُسر ما

عرضنا من أسئلة في هذا الاختبار ، والسبب فيما يبدو تركهم تداول لغتهم ، ونسيانهم ما كانوا قد تعلموه ، فضلا عن تركهم التفكير في تكييفه إلى ما صاروا إليه ليناسب لغة الاختصاص ، وإهمالهم استعمال هذه اللغة في سنوات دراستهم لمرحلة البكالوريس ، وكذلك في سنوات الدراسات العليا ، ومثل هذا الترك والإهمال أدّيا إلى الضعف في مستوى الأداء اللغوي العام ، ذلك الذي لابُدّ أن يُنبّه عليه ، ويجب أن لا يُسكت على حصوله ، لأنّه ينذر بالخطر الأكيد على مستقبل نهضة الأمة العلميّة ، وعلى ابتعادها عن إرثها الحضاري ، وفي ذلك شهادة على انفصال أعزّ أبناء الأمة منها والتحاقهم بغيرها !

فالمؤمل من المتخصص الذي هو طليعة المجتمع أن يتقن لغته ، ولاسيّما فيما يناسب تخصصه العلمي ، والمعوّل عليه في صنع مستقبل بلده ، ولذا لابُدّ أن يَتدارك هذا الضعف ، وأن يعرف المتخصص خصائص لغته ، ويدرك ضرر هذا الضعف وأثره البليغ ، ويترسخ عنده أنّ اللغة العربية تعتمد التغيّر الصرفي والإعرابي على وفق المقتضيات الدلالية ، وأنْ يميّز أنّ الكلمة الأعجمية ذات الشكل الثابت الذي لا يقبل التغيير ، مثلما نجد في الفرنسية و الإنكليزية وغيرهما ، عن التغيّر الذي يحصل لقاطع الكلمات العربية ، منفردة أو في الكلام المتصل .

لأنّ الكلمة العربية تمتاز بصفة (المرونة) التي تجعلها قابلة للتكيف تبعاً لمقتضيات التركيب وبناء الجمل المختلفة ، فكلمة (الرجل) ، مثلاً ، ذات أشكال ثلاثة (الرجلَ و الرجلُ و الرجلِ) ، استعمل العرب شكلها الخفيف (الرجلَ) ، في محل (المفعول به وأشباهه) كما في نحو (رأيتُ الرجلَ) ، وأما شكلها الأقّل خفّة بين أشكالها الثلاثة ، فقد استعملوه في محل (الفاعل و أشباهه) ، كما في نحو (جاءَالرجلُ) ، واستعملوا شكلها الذي هو وسط في الخفّة ، في محل (المضاف إليه و أشباهه) (مررتُ بهذا الرجلِ) . كلّ ذلك انسجاماً مع ما يقتضيه المعنى والتركيب ، إذ يتغيّر اللفظ لمناسبة موقعه من الكلام ، وأكثر ما يكون ملاءمة للمعنى المراد .

ويطلب من المتخصص أن يعرف القواعد اليسيرة التي تجري على وفقها لغته الوطنية في النحو والصرف ، ولاسيما سلامة المفردات ، والتراكيب ، والنصوص ، التي تحقق له التواصل بلغة علميّة مفهمَة ، مترابطة ، خالية من الأغلاط ، لما تحصّل عليه من معلومات نظرية أو تطبيقيّة ، ترتبط بإنجازه العلمي ، وتترجم ما تحقق له ، وتوصل إليه ، يفخر به بين أهله ، ويدافع عنه ، ويظهر موقعه من اختصاصه.

لكن الضعف والتردد سيَحُولُ بين المتخصص وما يريد نقله مما تعلم باللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ، لأنه سيتردّد في اختيار المفردات ، ويتوهّم في بناء الجمل لما يريد نقله إلى اللغة العربية ، لأنه ببساطة لا يحسن التوليف بين أجزاء جمل لغته ، ولا يختار ألفاظها الصحيحة ، ولا يميز لغة العلم ، من لغة الأدب ، من لغة الحياة اليومية ، ولا يميّز المصطلح فيها من غيره من مفرداتها ، لذلك نجد أنّ بعضهم لا يريد أن يفكر في هذا الأمر لصعوبته عليه ، وقد سلم أمره للغة الأجنبيّة وحدها ، مع أنّه لا يتقنها مثل أهلها ، فيكون قد ضيّع المِشيتين ، أو ربما يرمي هذا الهمّ على غيره ، فيرى أنّ القضيّة قضيّة ترجمة ونقل نصوص ومصطلحات ، فتكون على عاتق غيره من المترجمين أو اللغويين ، بعيدًا عنه ، وعن خبرته واختصاصه ، ويتوهّم أنّ باب الترجمة فيما إذا فكر بتجشمه هو مجرّد الاستعانة بأيّ معجم من المعجمات العامة ، التي تُظهِر المقابل لمعنى ما يتصور ، أو ربما الإفادة من أيّ موقع من مواقع الانترنت ، حتى إنْ كان ذلك الموقع من جهة مجهولة أو غير مؤهلة ، ولا معتمدة من المؤسسات العلمية .

والدليل على ما تقدم أننا في لجنة الاختبار . المنوه عنها في المقدمة . لا نسمع عرضًا لغويًّا صحيحًا لخلاصة الرسائل أو الأطاريح ، ولا عناية معقولة بالنصوص والمصطلحات العلمية باللغة العربية ، ولا تفرقة عند المتقدمين بين اللغة العامة ولغة العلم ، ولا بين اللفظ اللغوي والمصطلح العلمي ، ذلك المصطلح الذي يجب أن يشترك في تحديده أهل الاختصاص ويسعون في تطويره وإشاعته ، وأكثر ما يعتذر المتخصص عن عدم وضوح خلاصة ما يعرض من إنجاز علمي في رسالته أو أطروحته ، بالمترجم الذي ترجم له ، أو المصحح اللغوي الذي استعان به .

لكنْ كيف يُتجاهل هذا الأمر المهم يا ترى ؟

أو يُتساهل فيه ؟ أو يُسكت عنه ؟ !

والمتخصص مثلما نعرف له الشأن الكبير في بلده ومجتمعه ، لأنه باحث وأستاذ جامعيّ يُنتظر منه الكثير في أمّته ، التي منحته الفرص الكبيرة ، أن ينقل العلوم إليها ، لا أن ينتقل هو نفسه عنها ، ويلتحق بغيرها ؟ !

إنّ الأَولى بالتفكير في إنجاز مهمة تعريب النص العلمي إلى اللغة الوطنيّة الآن وفي المستقبل هو صاحب الإنجاز ، المتخصص نفسه ، يعاونه مجتمع اختصاصه ولاسيّما أساتذته الأجلاء ، ولا نجدُ صلة دقيقة لمن لا خبرة له في معرفة تخصصه العلمي غير دائرة المتخصص

ومجتمعه العلمي ، فهم المعنيّون بترجمة نصوصهم العلمية إلى العربية وتطويرها ، ولا بُدّ لهم أنْ يسعوا في هذا المسعى ، وبذل الجهد والمعاناة في النقل إلى لغتهم ، لكن قد يستعينون بنظرائهم من الاختصاصات الأخرى ومن ضمن هؤلاء أهل اللغة والترجمة .

على وفق ما تقدم ليس أمام المخلصين المتخصصين في زمن التحدّيات الكبرى إلاّ أن يدفعوا عن لغتهم أخطار تهديدات العولمة ، وجعل هذه اللغة تستوعب علوم هذا العصر وتستجيب لمطالبه ، وإلا فإنّ الأضرار المحدقة بنا كبيرة ، وسريان تأثيرها قوي ومباشر ، وأدواتها فتاكة ، وتسللها إلى كلّ مناحي الحياة مؤكّد ، بالمعلومة السريعة ، والمنتوج الصناعي والزراعي والطبي والتقني ، فضلا عن الحضاري والفكري والإعلامي ، وقد قدّمت بوسائل مغرية ، غاية في الإتقان والجمال والجاذبية .

ونقول : إنّ من وسائل الدفع المهمة وردّ هذه الأخطار والتحدّيات تفعيل تداول اللغة الوطنية واستعمالها ، والتنبيه الشديد على أخطار ترك هذا الأمر لغير المتخصصين ، ولا بدّ من سدّ الثغرات التي يتسلّل منها ما يضرّ هذه اللغة الكريمة ، وأوّلها تهاون أهل الاختصاصات العلمية بعدم التفكير بلغتهم ، ولا اشتراكهم بوضع المصطلحات العلمية باللغة العربية ، وترك النقل إليها من اللغات الأخرى ، وإهمال جعل المفردات والجمل والنصوص التي توافق نظام اللغة العربية ؛ والاعتناء بالمصطلحات العلمية وإشاعتها بين من يحتاجون إليها من أهل العلم ، وصناعة ما لم يصنع منها ، والتبصير بكيفيّة ابتكارها ، وبالوسائل القريبة والمناسبة ، واتخاذ الطرائق الصحيحة لمراجعتها ، والسعي في تطويرها ، وجعلها صالحة لهذا الزمان باتباع القواعد العلميّة واللغويّة الرصينة والمُحكمَة ، وجعل مثل هذا الجهد جزءاً أساسيّاً من البحث وكمال مستلزماته ، لا جهداً ثانويّاً زائداً يمكن أن يُترك أو يُتنازل عنه ، أو يكون عمل من لا شأن له .

ولابُدّ من الوقوف طويلاً إزاء ما تقدّم وتجاوزه ، والتفكير الجدّي في سبيل النهضة العلميّة ، والسير الحثيث في تحقيقها ، وفي هذا يقول أحد الفضلاء : (فلتكن لنا إسهاماتنا العلمية بلغتنا ، ولنتبادل مع غيرنا ما يسهمون به أيضاً بلغاتهم ، فالفكر شركة بين الناس من مختلف الأجناس ، أمّا اللغات فإنها تحدّد شخصية الأمم ، كما تحدّد شخصية الأفراد ، والتنازل عن لغتنا في العلم جزء من البلاء العام الذي ابتليت به اللغة العربية ، فتنازلت عن كثير من مقوماتها الأساسية) **[د محمد عيد ١٣٦] .**

ويمكن لأهل الاختصاص الذين يفكرون في مباشرة تداول المصطلحات العلمية بلغتهم الوطنية أن يرفعوا من كفاءتهم اللغويّة ، وهم أهل لأن يقترحوا الصحيح والمناسب ، وأن يتفاعلوا مع الصيغ التي يُطلب منهم التعرف إليها ، ولاسيّما التي بها حاجة إلى مراجعة ، وليطوّروا الموجود منها ليلائم ما يراد تجديده ، مميّزين أنواع الاشتقاق اللغوية ودلالاتها الصحيحة بالتعاون مع اللغويين ، فضلاً عن التواصل بها فيما بينهم ، والترغيب باستعمال الصحيح الفصيح والملائم من المصطلح اللغوي العربي الجديد ، وإشاعته بين الجمهور ، ومنحه شرعيّة الوجود وأسباب البقاء والاستمرار .

ولا نزعم أنّ هذا سهل أو ميسور ، في ظل ما زُرِع من جفوة بين المختصين واستعمال لغتهم الوطنيّة ، حتى ظنّوا أنّهم غير معنيين بأمرها ، ولا شأن لهم بها ، وأنه شأن لغويّ محض ، أو أنهم يشترطون أن تبلغ المصطلحات العربية ما بلغه المصطلح العالمي شيوعاً واستعمالاً ، وأن يكون بمستواه من دون جهد منهم ، أو متابعة تحقق ما يريدون أو يشترطون ، والواقع أن لا جهود لجلّهم يبذلونها في هذا السبيل ، كالمتابعة والبحث عن المنجز من المصطلحات العلميّة العربيّة واستعمالها إلى جانب المصطلح الأجنبي ، وفي هذا الاستعمال لو حصل لخطوا الخطوة الصحيحة الأولى في المضمار المناسب ، ولأسّسوا للتعامل الصحيح لما يذلل الصعاب العلمية واللغوية ، التي تعترض طريق إشاعة النصوص العلمية وكذلك المصطلح اللغوي العربي .

ولا يكون كلّ ذلك كذلك إلاّ إذا فُهمت مشكلة التعريب على حقيقتها عند المعنيين ، وهي أنها قضيّة فكريّة كبرى ترتبط بترسيخ انتماء أبناء الأمّة لأنفسهم ، ولحضارتهم ومستقبلهم ، فيكونون عند اختيارهم اللغة الأجنبية كالمفارقين للغتهم والمتعمّدين السير بالالتحاق بالأمم الأخرى ، والمتنكّرين لمجتمعهم ، والمتكبرين على أبناء جلدتهم ، والتاركين لبناء العلوم بها ، فلا هُم في الواقع يطورون لغتهم باستعمالها في تداول العلوم ، ولا هم يسعون في الإسهام في تعريب المصطلحات أو استعمالها وتطويرها .

يقول الدكتور محمد عيد : (إنّ قضية تعريب العلوم ليست مسألة لغويّة فقط ، بل هي في المقام الأوّل مشكلة فكريّة ، فالعلوم التي يصرّ القائمون على بقاء تدريسها باللغات الأجنبيّة هي الطب والهندسة ... وينبع هذا الإصرار من الدعوى بأنّ تدريس هذه المواد باللغة العربية سيؤدّي إلى التخلف عن مسايرة التقدم العلمي العالمي فيها ، وهذا كلام صحيح من وجهة نظرهم ، إذ يعبّرون به عن واقعهم الذي درجوا عليه ، لأنّ المنبع الذي يستقون منه غير عربي ، فهم تابعون

لغيرهم من الأجانب فيما يقدمه هؤلاء من نظريات واكتشافات ، فكروا فيها بعقولهم وكتبوها بلغاتهم ، فإذا أراد علماؤنا اكتساب شيء من ذلك ، كان ممّا يجود عليهم هؤلاء الأجانب ، فيترتب على ذلك أن يتابعوا أصحاب الحقوق في كلّ شيء ، في التفكير واللغة وفي الفهم والتعبير .

والغريب أنّ الأجانب . الذين يتابعهم المختصون . مختلفون في لغاتهم ، وكلّ منهم يؤلف في لغته ، ويعتز بها ، فالألماني يؤلف بالألمانية ، والروسي بالروسية ، والصيني بالصينية ، والفرنسي بالفرنسية ، والإنكليزي بالإنكليزية ... فإذا انتقلت القضية إلى العرب وجدنا من يصر على التدريس والتأليف بإحدى اللغتين الإنكليزية أو الفرنسية ، حيث استقوا تعليمهم غالباً بهاتين اللغتين ... فلم يستطيعوا التخلص من قبضتهم والسير بجوارهم في الدرس والبحث والتأليف ... إنّ حلّ هذه القضيّة ينبغي أن يبدأ من علمائنا أنفسهم ، بأن يمتلكوا إرادتهم ، ويستعيدوا الثقة بأنفسهم ، ويبذلوا جهوداً مستقلة للوصول إلى آراء وأفكار ونظريات خاصة بهم ، نابعة من متطلبات حياتهم ، وما يواجهونه من مشاكل بيئاتهم ... لا تصلح لها حلول ... تستورد من هنا وهناك ، فإنّهم ـ إن فعلوا ـ انقادت لهم اللغة العربية ، واستقامت ألسنتهم وأقلامهم في التعبير بها) **[د محمد عيد ١٣٥ ـ ١٣٦]** .

ويقول أيضاً : (ما أيسر أن يقال : إنّ اللغة العربية غير علمية ؛ وما أصعب أن يقال : ليس لنا رصيد علمي يفرض علينا تأليفه بالعربية ... وليس لدينا الاستعداد الحقيقي للصبر عليه وتحمل مشاقه ، وليس لدينا أيضاً القدرة على الاعتراف بذلك ، وتحمل نتائجه) **[د محمد عيد ١٣٥ ـ ١٣٧]** .

ويقول المتخصصون في المصطلح العلمي العربي : (إنّ المصطلح في اللسان العربي يقف على جملة خصائص مميّزة ، وإنّ لصناعته فقهاً عميقاً أساسه ـ الفهم ـ بالمعنى الواسع ؛ وإنّ مفاتيح صناعته أدوات أصيلة في الفصيح الصحيح ، وإنّ إنتاجية المصطلح ليست مطروحة البتة ، ولم تكن مطروحة في القديم ولا في الحديث ، بيد أنّ غياب الفهم واختفاء أدوات الصناعة فيه ، هي التي أثارت هذه الزوبعة العابرة ، المسماة اليوم بأزمة المصطلح ، ومرة بلغة أخرى : عجز العربية عن إنتاجه ، ومرّة ثالثة بعبارة : عدم قدرة العربية عن مواكبة روح العصر الجديد) **[الساسي ١٧٤]** .

ونذكّرُ المختصين الأفاضل بأنّ الاعتناء بلغة اليوم اعتناء بالصلة الممتدة بين الماضي المشرِّف ، والمستقبل الزاهر الذي نتطلع إليه ، وبهذا التواصل تترسخ ملامح شخصية الأمة لأنّ (روح الشعب لغته) كما قال همبلت (Humboldt) **[د. مازن المبارك ٦٢]** .

المبحث الرابع : اللغة والاشتقاق

الألفاظ العلمية المترجمة ألفاظ لها ارتباط باللغة التي صدرت عنها ، وبنظامها الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي ، فلابُدّ من لحظ كلّ ذلك عند تعريبها واستعمالها في اللغة المنقولة إليها ، وجعلها مناسبة ومنسجمة وليست نافرة من حيث هي ألفاظ مستقلة أو تراكيب منتظمة تؤدّي وظائفها اللفظية الدقيقة والدلالية الصحيحة ، فلابدّ من مطابقة النص والجملة والعبارة والمصطلح لمقتضى ما يراد وضعه لما يقابله ، وكذلك في استعماله في تراكيب العبارات والجمل وانسجامها الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي .

وليست الترجمة ترجمة كلمات مستقلة مباشرة من دون النظر إلى كامل المحتوى ، ونقله من لغة لها نظامها ، إلى لغة أخرى مختلفة النظام ، ولهذا المحتوى أبنية وتراكيب تنسجم وتتنافر ، بحسب طبيعة كلّ من اللغتين ، المنقول منها ، والمنقول لها ، فـ (الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة ، وإنّما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك ، مما له تعلق بصريح اللفظ ، وعلى الباحث في لغة الاختصاص معرفة أحوال الفصل والوصل بين الجمل ... وارتباط السؤال بالجواب ... ومعرفة أنّ الكلام خبر وأمر ونهي واستفهام وتعجب ... واستيعاب قواعد اللسان في التركيب مع تصحيح الذي كان خطأً وتوسيع الذي كان ضيّقاً ... واصطياد الفروق في التراكيب التي تبدو متماثلة ... وامتلاك ناصية باب التقديم والتأخير في اللغة ... لغة الاختصاص ليست بترجمة ولا تعريب ، بل هي لغة تخاطب في أمر علمي خاص بين مختصين . ولما كان لكل لسان خصائص تركيبية مميزة في الإبانة عن المعاني ، اقتضى الأمر أولاً فقهاً مركزاً لخصائص التركيب في اللسان أصولا وفروعاً ، نقلاً وعقلاً ، نظرية وممارسة ، فلغة الاختصاص ليست مصطلحاً علميّا وكفى ، بل هي مصطلح علميّ مركز في تركيب لغوي يراعي سَنن العرب في تخاطبها . والتزام المصطلح العلمي في لغة الاختصاص ، في مقابل عدم التزام سنن العرب في كلامها ، يجعل اللغة الواحدة لغات متباينة في الإبانة عن المعاني الخاصة ...) **[ينظر : المصطلح في اللسان العربي ، الساسي ٧٥ ـ ٨٠]** .

وقدعرف العرب ارتباط الأسماء بالاشتقاقات التي اشتقت منها ، أي الربط بين أصوات الكلمات ودلالاتها ، أو أخذها من مناسبة معيّنة ارتبطت بها ، حتى قالوا عن سبب التسمية (ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا ، فلم نلزم العرب جهله ... الأسماء كلها لعلة خصت

العرب ما خصت منها ؛ ومن العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله ... مكة سميت مكة لجذب الناس لها ، والبصرة سميت بصرة للحجارة البيضاء الرخوة بها ، والكوفة سميت الكوفة لازدحام الناس بها ، من قولهم قد تكوف الرمل تكوفاً : إذا ركب بعضه بعضاً ، والإنسان سمي إنساناً لنسيانه ، والبهيمة سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز ، من قولهم أمر مبهم إذا كان لا يعرف بابه ...) **[د صبحي الصالح ٣٠٦]** .

و إنّ علم المصطلح يتحدد بالمفاهيم التي يعبّر عنها ، وبتسمية هذه المفاهيم ، أي كيف نسمّي المفهوم بتسمية تناسبه ؟ أو كيف ننقل مفهومه أو تسميته إلى لغتنا العربية التي هي غير اللغة التي سمّي بها ، حتى يجري جريان ما يناسب لغة القرآن الكريم .

على أن تراعى دقة المصطلح وتفرّده بما يراد به عن المرادفات والمعاني يمكن أن تعبر عنها الكلمات الأخرى ، و (يجب التمييز بين دراسة الكلمة التي هي من اختصاص علم اللغة لأنّها لا تتوافر على عدة معان حسب سياق النص ؛ وبين المصطلح العلمي الذي يتوقف في غالب الأحيان على معنى واحد ودقيق في شيء معين) **[الساسي ٩٥]** .

لكن للغويّ وجهته واهتمامه وطريقته ، ولأهل الاختصاص وجهة وحاجة أخرى ، فمعنى الكلمة عند اللغوي يتحدّد بسياقها والقرائن المحيطة بها وترتيبها في معجم اللغة بحسب جذرها وحروفها ، ومستعمل المصطلح المختص يربط بين المفهوم الذي يعبر عنه المصطلح ومجموعة المفاهيم أو الحقول التي تتصل به في ذلك الاختصاص ، فمعنى المصطلح يرتبط بمنظومة للحقل العلمي الذي ينتمي إليه لا بحروفه وجذره ، على وفق المفاهيم والحقول العلميّة ، من العام إلى الخاص ... **[د علي القاسمي ٣٢٤]** .

لذلك فـ (إنّ وضع المصطلحات العلميّة أو تحقيقها من أشق الأمور وأدعاها إلى الجَلَدِ والصبر والأناة ، والتخصص الواسع بعلم واحد ، حتى بفرع من علم واحد ، وربّ كلمة أعجمية تحتاج أحياناً في وضع مقابل عربي لها إلى الدرس والبحث ساعات من الزمن ، أو أيّاماً تمرّ في التفتيش عن معناها الأصلي في اليونانية أو اللاتينية ، وعن واضعها وماذا أراد من وضعها ، أما الكلمة العربية التي ستوضع أمام الأعجمية فليس من السهل إيجادها أو اختيارها ، فهناك تراث علمي قديم لنا يجب مراجعته بغية العثور على لفظ سائغ له معنى اللفظ الأعجمي ، أو له معنى مقارب لمعناه) **[الزركان ٥٥]** أو مشتق من مقاربه .

الاشتقاق : القدرة على توليد فرع من أصل ، وجعل الكلمة على صيغ مختلفة بعضها من بعض ، لضروب من المعاني ، اعتماداً على عدد محدود من الجذور ، تتفرع عنها الصيغ المختلفة ، بزيادة أو حذف أو إبدال أو قلب ... إلخ ، مثل : قال ، وقالة ، واستقال ، وإقالة ، وقول ، وقائلون ، وقل ، وقلت ، ومقال ، وقوّل ... إلخ ، فالصيغ متعددة وحروف الأصل الأساسية واحدة ، واجتماع الحروف على صيغة من الصيغ لها دلالة مختلفة عن بقية الصيغ ، ولاجتماع الحروف في بناء الصيغ نظام وقواعد ، لابد من معرفتها للتمييز بين المعاني التي تدل عليها ، وهذه المعرفة هي الأساس في النظام الصرفي العربي ، فما يتفرع عن مواد ثلاثية ورباعية ، وما يتولد عن كل منهما ، الأصل المجرد أو المزيد ، وهو الأساس في اشتقاق الكلمات العربية انطلاقا من مادتها أو جذرها .

ويمكن أن نشبّه الأصلَ الذي يُشتقّ منه ، بالمادّة التي يتفرعُ منها الفرع من الفروع ، أوزانٌ تؤخذ مادتها من هذا الأصل ، وتلتقي معه في المعنى العام ، وتختلف في المعنى الفرعي ، فالجذر المادة التي يمكن أن يتلوّن بها المعنى ، ويرى الأستاذ إدريس العلمي أنّ : (هذه الأوزان أشبه ما تكون بقوالب المصانع التي تصبّ فيها مادّة الإنتاج ، فتصوغ لك منتجات على أشكالها وحجومها) **[إدريس العلمي ١٧]** .

ويمكن للباحث أن يعود إلى كتب الصرف ليتعرّف على أسس الاشتقاق ، ودلالات المشتقات ، ويمكنه كذلك الإفادة من مثل معجم ديوان الأدب للفارابي الذي رُتّب بحسب الأبنية وأوزان الكلمات ، وقد جمع في الموضع الواحد الكلمات التي على شاكلة واحدة في صعيد واحد ، إذ يعرض الأوزان وما يفيده كلّ بناء من الأبنية ، كوزن (فُعّال) وما يندرج تحته من كلمات على وزنه ، وكصيغة (فعيل) وهكذا **[الفارابي ٤١/١ وما بعدها]** .

قال المستشرق ألفريد غيوم الذي ترجم معجم (تاج العروس) بعد أن حققه إلى الإنكليزية عن مزية الاشتقاق في العربية : (ويسهل على المرء أن يدركَ مدى استيعابِ اللغةِ العربيةِ واتساعها للتعبير عن جميع المصطلحات العلمية للعالِم القديم بكل يسرٍ وسهولة ، بوجود التعدد في تغيير دلالة استعمال الفعل والاسم ... ويضرب لذلك مثلاً واضحاً يشرح به وجهة نظره حيث يقول : إن الجذر الثلاثي باشتقاقاته البالغة الألفَ عَدّاً ، وكلٌ منها متّسق اتساقاً صوتياً مع شبيهه ، مشكّلاً من أيّ جذر آخر ، يصدر إيقاعاً طبيعياً لا سبيل إلى أن تخطئه الأذن ، فنحن

(الإنكليز) عندما ننطق بفكرة مجرّدة ، لا نفكر بالمعنى الأصلي للكلمة التي استخدمناها ، فكلمة (Association)[اتحاد أو جمعية] مثلاً تبدو منقطعة الصلة بـ (Socins) [اجتماعي] وهي الأصل ، ولا بلفظة [السابقة لها :] (Ad) ، ومن اجتماعهما تتألف لفظة (Association) كما هو واضح وتختفي الدال مدغمة لسهولة النطق ، ولكن أصل الكلمة بالعربية لا يمكن أن يَسْتَسِرّ ويَسْتَدِقّ على المرء عند تجريد الكلمة المزيدة حتى يضيع تماماً ، فوجود الأصل يظلّ بَيّناً محسوساً على الدوام ، وما يعدّ في الإنجليزية محسّناتٍ بديعيةً لا طائل تحتها ، هو بلاغةٌ غريزيةٌ عند العربي ، الذي يدرك ... جمال [الربط و] التفسير ... والسحر الذي لم تتلكأ لغة العرب وآدابهم عن إشاعته في أنفس المنقطعين إليها ، يكمن في وضوحها ، وبيانها الساحر ، وفي حبها الكلام المباشر المستقيم) **[أدور لين ص ٤٣]** .

ويسند الاشتقاق التمييز الصوتي والكتابي لفروع الكلمات ذات الجذر الواحد ، وموافقة المنطوق المكتوب في العربية من المزيات الواضحة لهذه اللغة ، وبعبارة أخرى فإن العربية تكتب كما تلفظ ، وتلفظ مثلما تكتب ، على وفق قواعد صوتية معروفة لا يستثنى من ذلك سوى ألفاظ معروفة محدودة يخالف فيها اللفظ الكتابة ، مثل : (لكن ، وأولئك ، وعمرو ، وهذا.... إلخ) ولذلك لم نحتج في نظام تحويل الكلام المكتوب إلى منطوق إلّا إلى قائمة واحدة شذت فيها الألفاظ من قواعد النطق العربية ، وأما قوام النظام فكان تلك القواعد الصوتية لنطق ألفاظ العربية من مثل (اللام القمرية واللام الشمسية ، والتفخيم ، والألف الفارقة ..... إلخ) في حين احتاج الأمر في نظام اللغة الإنجليزية إلى مئات القوائم التي يخالف فيها المكتوب المنطوق ويخالف فيها النطق عن الكتابة ، وكأن الأصل في النطق الشذوذ . آية ذلك أنك تحتاج إلى معرفة تهجئة الكلمة في كثير من كلمات الإنجليزية ، فإما أن تتلقاها من أستاذ خبير ، وإما أن تعود إلى المعجم الذي يرسم لك رموز التهجئة قبل أن يشرع ببيان معنى الكلمة ، في حين لا يحتاج الأمر في العربية إلا إلى كتابة الكلمة مضبوطة بالشكل .

ويُطلبُ من مستعملي اللغتين أن يعرفوا الفروق العامة بين لغتهم واللغة الأجنبية ، ومعرفة النظام الذي تجري على وفقه اللغتان معًا ، ولاسيّما الاشتقاق حتى لايتعجلوا إصدار الأحكام الظالمة بحق لغتهم ، من مثل القول بقصور اللغة العربية ، وضعفها عن إمكان تداول العلوم في هذا العصر ، فليست اللغة قاصرة مثلما يدّعي المدّعون ، لكننا المقصرون عن فهم هذه الفروق ،

وليست اللغة ضعيفة ، ولكننا الضعاف ، ولا تموت اللغة إلا بترك أهلها التفكير الجدّي في ضبط نظام لغتهم الاشتقاقي ، وإهمالهم استعمالها لغة لما يختصون به من العلوم .

لذلك فعلى واضع المصطلح العلمي العربي من المختصين في أيّ علم من العلوم ، أن يكون على معرفة بنظام اشتقاق مفردات اللغة العربية ، ودلالات هذه المفردات وأوزانها ، فضلاً عن معرفة ما يتصل بالكلمة العربية من سوابق أو لواحق .

لأنّ بالاشتقاق : تتغيّر الكلمة نفسها ، بجعلها على صيغ مختلفة ، والاشتقاق : اتخاذ فرع من أصل يدلّ عليه مثلما عرضنا .

وبالإلصاق : ما يلحق الكلمات من أوّلها ، وما يلحقها من آخرها **[أبو حيان ٢٢/١]**. فالإلصاق بزيادة من أول الكلمة أو آخرها ، مثل : انفتح ، ومفتاح من فتح ، وكتبا وكتبنا وكتبوا وكتبن من كتب .

فالاشتقاق أخذ بعض الكلمات من بعض ، بشرط التناسب اللفظي والمعنوي ، وهي وسيلة تنمية وتوالد الألفاظ والمعاني ، فيشتق من أصل الكلمة الواحدة ألفاظ ومعاني فرعية ، يجمعها المعنى والأصل اللفظي العام ، ويكون الاشتقاق بحسب الأوزان الصرفية بزيادة أو حذف أو تغيير **[ينظر : ارتشاف الضرب ١/ ٢٢ وما بعدها]** ، مثل : كتَبَ : فَعَلَ ، وكاتب بزيادة على وزن ومعنى : فاعل ، ومكتوب بزيادة : على وزن ومعنى : مفعول ... ومكتب : مفعل ... ومكاتبة ، وكاتبنا ، واستكتاب ، كِتبَة ، كِتاب ... إلخ . ومثل : وَعَدَ : فَعَلَ ، يَعِدُ بحذف الواو ، عِدْ ، موعد ، عِدَة بحذف وزيادة ... إلخ . ومثل : وعى ، يعي ، عِ ... إلخ .

مثل : وزن (فَعَل) ، ما دلّ على ألم أو علّة ، ومنه : (الأرَقُ) من أرق يأرقُ تأريقاً وأرقان و(اليرقان) داء يصيب الناس .

و(الألم) الوجع والتألم التوجع والأليم المؤلم .

و(البرص) . ومن فَعَل للدلالة على المرض أيضاً .

و(الحَبَط) وهو انتفاخ البطن .

و(الحَوَلُ) وأحْوَلُ بَيّنُ الحَوَلِ وحَوِلت عينُهُ .

و(السَّلسُ) سلسُ البول إذا كان لا يستمسكه .

و(الشلل) .

و(الصَرَعُ) علّة معروفة من صرع يصرع .

و(العرج) من إصابة في الرجل أو من خِلقة فهو أعرج وهم عرج وعُرجان .

و(الطحل) .

و(القحلُ) اليبس وجفاف الجلد الجلد من أعراض الكبر والشيخوخة . و(القلق) . و(الكدر) .

و(الكَمَهُ) الأكمه الذي يولدُ أعمى ، وكمِه بصره كمْهًا إذا اعترته ظلمة تطمسُ عليه . و(المثن) .

و(الوَجَعُ) من وجع يَوْجَعُ وأوجاع وموجع وتوجّع وَجاعى .

(الوَرَمُ) من وَرَمَ يَوْرَمُ وأورام و تورّم ... إلخ [الرازي ، وابن منظور : المواد المذكورة]... إلخ .

ومثل : وزن (مِفْعَل) ما دلّ على آلة : (مِبْضَع) ما يُبضعُ به العرق والجلد ، وبَضع الجرح شقه . (مِثْقَب) ما يُثقبُ به وهو من الثّقْبِ والثقوب . (مِجْهَر) من جهر يجهر وأجهر. (مِسعر) من سعّر النار ألهبها وسُعّرت . (مِشرَط) كالمِبضع وشرَط وأشرط **[الرازي ، المواد المذكورة]** .

ومثل : وزن (فِعالة) : (الجِبارة) إصلاح العظم من جبر وانجبر واجتبر والمُجبّر الذي يجبر العظام والجبيرة العيدان التي تجبر بها العظام .

و(الجِراحة) من جرح يجرح وجراح وجروح وجريح وجرحى .

و(الضِمادة) العصابة التي يشدّ بها الجرح من ضمد الجرح وضمّد تضميدًا.

و(العِصابة) من عصّب رأسه بالعصابة تعصيبًا ... **[الرازي ، المواد المذكورة]** .

ومثل : وزن (مفعول) دال على فعل الألم من علّة أو مرض : (متخوم) من تُخِم تخمة الطعام أتخمه تخمة .

و(مجذوم) من جُذِم وجُذام .

و(مجنون) من جُنّ وأجنّ وجنون الجِنّ والجنون .

و(مخروت) (مشقوق الشفة) الخرت الثقب في الأذن والجمع أخرات .

و(مَخنُوق) من خنِق واختنق وانخنق والخناق والمخنقة .

و(مربُوّ) من ربا الرّبو : النفس العالي .

و(مسبوت) (المغشيّ عليه أو الميّت) من سبت وأسبت والسبات في الأصل النوم .

و(مسلول) من سُلّ وسُلال .

و(مفصوم) من فُصِم وانفصم وانفصام .

و(الممثون) الذي يشتكي مثانته .

و(ممغوص) من مُغِص والمغص وجع وتقطيع في المِعى .

و(منهوم) من نُهِم من الإفراط ونهيم .

و(مهووس) من الجنون والهوس **[الفارابي ١/٣٠١ ، و الرازي : المواد المذكورة]** .

ومن الاشتقاق على وزن (فَعّلَ) ، مثل : (شخّصَ) المرض ، و(حلّلَ) الدم ، و(خدّرَ) المريض ، و(جبّسَ) العظم ، و(قيّحَ) الجرح صار ذا قيح : على وزن (فَعّلَ) [الخصائص

١٥٧/٢] . و(فعّل) بالتشديد أيضاً دليل أيضًا على قوّة المعنى لقوّة اللفظ ، فكَسَّرَ أقوى من كَسَرَ ، وقطّع أقوى من قطع ، وكذا فتّح وفتح ، وغلّق وغلق **[ابن جني ١٥٧/٢]** .

و(مِفعال) للآلة أو المقياس ، مثل : محرار ، ومفراس ، ومخطاط القلب ، ومخطاط الدماغ ، ومخطاط العضلات ، ومخطاط السمع ، ومضغاط الدم ، كلّ ذلك على ما جرى في العربية ، مثل : محراث ، ومهراس ، وميزان **[د راجي التكريتي ٦٤]** .

ولمّا أرادوا المبالغة كرروا أيضاً بوزن آخر ، اخلولق ، واعشوشب ، واخشوشن ... إلخ **[ابن جني ١٥٧/٢]** .

ومثل : (استشار) و(استرخى) و(استمهل) و(استجوب) بمعنى طلب وسأل : بوزن استفعل .

ومثل : (اصفرّ) و(احمرّ) و(ابيَض) : افعَلّ .

ومثل : (اصفارّ) و(احمارّ) و(اسوادّ) : افعالّ .

ومثل ما دلّ على آلة أوحرفة من الأسماء : مِبْضَع على وزن مِفْعَل ، جِراحة (للجراح) وحِجامة (للحجام) والعِرافة (للعراف) : على وزن فِعالة .

(فُعال) للدلالة على المرض ، مثل : الخُناق ، والدُوار (كأنّه يدار به) ، والذهان ، والرّعاف ، والزُحار ، الزُكام ، والسُعال ، والسُلال ، والصُداع ، والصُفار ، والعُصاب ، والفُواق ، والقلاب ، والكُباد ، والكُزاز ، والكُساح ، والهُزال ، والهُيام ، ... أو الدلالة على الأصوات : و(ثُغاء) ، و(خُوار) ، و(رُغاء) ، و(صُراخ) ، و(مُكاء) ... إلخ **[الثعالبي ١٠٨ ـ ١٠٩ ، و د علي القاسمي٣٨٣ ـ ٣٨٤]** .

ويقترح الدكتور أمل العلمي مقابلة ما انتهى بلاحقة (algia...) ، بوزن (فُعال) ، مثل :

فُصال مقابلاً لـ (arthralgia)

صُداع مقابلاً لـ (cephalgia)

دُماغ مقابلاً لـ (encephalalgia)

رُقاب مقابلاً لـ (cervicodalgia)

قلاع اللسان مقابلاً لـ (glossalgia)

عُضال مقابلاً لـ (myalgia)

كُباد مقابلاً لـ (hepalalgia)

مُثان عصبي مقابلاً لـ (cystoneuralgia)

وُراك مقابلاً لـ (coxalgia)

عُضال مقابلاً لـ (myalalgia)

لُيال وهو ألم ليلي مقابلاً لـ (nyctalalgia)

عُصاب مقابلاً لـ (neuralalgia) **[ادريس العلمي ٦٠]** .

ويقترح مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة ما يقابل الجذر اللاتيني للأمراض (itis ...) الوزن العربي (إفتعال) للالتهاب من العضو صيغة قياسية ، بمعنى المطاوعة ، مثل : اكتباد ، وامتعاد ، واقتلاب ، واغتداد ، واجتلاد ، والتسان ، واجتفان ، واهتبال ، التهاب ... إلخ **[إدريس العلمي ٦٥]** .

وللمبالغة والتكثير ما يُقابل السابقة (Htper...) : وزن (تفعال) ، مثل : تحماض فرط الحموضة (Htperacidite) ، وتنشاط فرط النشاط (Htperactivite) ، وتألام ، تدهان الدم ، تنساج ، وتصباغ ، تضغاط ، وتهواء ، وتحساس ...إلخ **[إدريس العلمي ١١٤]** .

وقرّر مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة للسببيّة ما يُقابل اللاحقة (gene...) : وزن (مفعلة) ، مثل : مَشحَمة بدلا من مكوّن الشحم (adiogene) .

معظمة بدلا من مكوّن العظم (osteogene) .

معصبة بدلا من مكوّن العصب (neurogene) .

محمرة بدلا من مكوّن الحمرة (acidogene) .

وهكذا مسمّة مولّد السم ، ومربوة مولد الربو ، مكلوة مولد الكلوة ، محرّة مولّد الحرارة ، ومورمة ، ومكتنة ... إلخ **[إدريس العلمي ١١١. ١١٣]** .

وأكثر أسماء الأدوية على وزن فَعُول : كالوَجور ، واللّدود ، والسَعوط ، واللّعوق ، والبرود ، والذرور ، والسَّفوف ، والغَسول ، والسّنون ... إلخ **[د علي القاسمي ١٩٢ . ١٩٣]** .

وفي خلو الأعضاء من الشعر أوقلّته ، ما جاءعلى وزن (أفعل) : رأسٌ أصلع ، حاجبٌ أمرط ، وجَفْنٌ أمْعَط ، وخدٌّ أمرد ، وجناحٌ أحَصّ ، وذَ نَبٌ أجْرَد ، وبَدَنٌ أملط **[الثعالبي ١٠٨ . ١٠٩]** .

وفي تفصيل الصلع ودرجاته على وزن (أفعل) : (إذا انحسر الشعر عن جانبي جبهة الرجل فهو (أنزعُ) ، فإذا ازداد قليلاً فهو (أجْلَحُ) ، فإذا بلغ الانحسار نصف رأسه فهو (أجلى) و(أجله) ، فإذا زاد فهو (أصلع) ، فإذا ذهب الشعر كلّه فهو (أحصُّ) ، والفرق بين القرَع والصّلع أنّ القرَع ذهاب البشرة والصلع ذهاب الشعر...) **[الثعالبي ١١٢]** .

وفي إشباع صفة الألوان : (أسودُ حالكٌ ، وأبيضُ يَقَقٌ ، وأصفرُ فاقعٌ ، وأخضرُ ناضرٌ ، وأحمرُ قانئٌ) **[الثعالبي ١٣٥]** .

وفي تنقّلِ أحوال الوليد وتتابع نموّه ، ما جاء على وزن (فعيل) : (مادام في الرحم فهو (جَنِين) ، فإذا وُلِد فهو (وَلِيد) ، ومادام لم يستتم سبعة أيام فهو (صَدِيغ) لأنّه لا يشتد صَدْغه إلى تمام السبعة ، ثمّ مادام يرضع فهو (رَضيع) ، فإذا قطع عنه اللبن فهو (فطِيم) ...) **[الثعالبي ١٤١]** .

ولاحظ الدقة والتفصيل والفرق في الدلالة والأصوات ووزن الكلمات ، في ألفاظ معايب العينين قولهم : الحوَصُ ضيقهما ، والخوَص غؤورهما ، والشّتَرُ انقلاب الجفن ، والعَمَشُ ، والعشى ، والكمشُ ، والغضَنُ ، والغطَشُ شبه العمش ، والوَجَهُ الذي لا يبصر نهاراً ، والخزَرُ أن ينظر بمؤخر عينيه ، والخفشُ صِغر العينين وضعفهما ... إلخ **[الثعالبي ١٦٣ . ١٦٤]** .

ولاختلاف نظر العينين ألفاظ أيضًا : فإذا نظر الإنسان بمجامع عينيه قيل : رَمَقه ، ومن جانب : لحظه ، وبعجلة : لَمَحه ، وبحدّة : حَدَجه وحدّق فيه ، ونظر في كتاب : تصفّحه ، وإن

انقلب : حملق ، ومن الفزع : بَرِقَ بصره ، وإن كسر عينه في النظر قيل : دَنْقَسَ [ومن إبدال القاف كافاً في العاميّة العراقية : دنكس] ... إلخ **[الثعالبي ١٦٠ . ١٦١]** .

ولتفصيل أوجاع الأعضاء ألفاظ منها : وجع في الرأس فهو (صُداع) ، فإذا كان في شِقٍّ الرأس فهو (شقيقة) ، فإذا كان في العين فهو عائر (رَمد) ، فإذا كان في اللسان فهو (قَلاع) ، فإذا كان في الحلق فهو (ذُبْحة) ، فإذا كان في الكبد فهو (كُباد) ، فإذا كان في المفاصل واليدين والرجلين فهو (رَثْيَة) ، فإذا كان في المثانة فهو (حصاة) **[الثعالبي ١٩٣ . ١٩٤]**.

وحركات أعضاء الإنسان من دون إرادته : خفقان القلب ، نبض العِرق ، اختلاج العين ، ارتعاد الفريصة ، ارتعاش اليد ، رمَعان الأنف [إذا تحرك من غضب] **[الثعالبي ٢٧٤]** .

ومن الأمراض : الكابوس ، والتشنج ، والاختلاج ، والخانوق ، واللقوة ، والذبحة ، وذات الجنب ، والخفقان ، والغثيان ، واليرقان ، والزحير ، والهيضة ، والبواسير ، والفالج ذهاب الحس والحركة ، عن بعض أجزاء الجسم ، والسّكتة أن يكون الإنسان ، كأنّه ملقًى كالنائم ، يغط من غير نوم ، ولا يحسّ إذا جُسّ ، والنقرس وجع في المفاصل ، والدُمَّلُ خُرّاج دموي ، والحَصَفُ بثور تثور من كثرة العرق ، والسرطان ورمٌ صُلبٌ ، القُلاع بثور في اللسان **[الثعالبي ١٩٨ . ٢٠٠]**.

ومنها وصف الحميّات : المزمنة ، والحادة ، والمختلطة ، والغِبّ ، والرِبعُ ، والدق ، والمطبقة ، وغيرها **[جرجي زيدان ٥٢]** .

ومن الألفاظ الجراحية : الفسخ ، والهتك ، والوثي ، والرض ، والخلع ، والفتق ، والجبار ، وتفرق الاتصال ، ومفارقة الوضع ... إلخ **[جرجي زيدان ٥٢]** .

الخزعةُ القطعة المقتطعة من لحم وغيره ، إذ إنّ الخزع هوالقطع ، وخزع منه شيئاً خزعًا اقتطع **[ابن منظور م / خزع]** .

وقد استعملوا ألفاظاً تخالف ما تدلّ عليها الأفعال ، فتكون في إثباتها نفياً للمعنى ، إذ تدلّ على سلب المعاني لا إثباته للكلمات ، ومنها : عجمت الكتاب أزلتُ عجمته ، أشكيت الرجل إذا زُلت شكواه ، ومرّضت الرجل إذا داويته من مرضه حتى أزلته عنه ، فالتمريض إزالة المرض ، وقذَّيتُ عينه إذا أزلت قذاها **[ابن جني ٣/٧٧ . ٧٩]** .

ومنه أيضاً ما تخالف الألفاظ معانيها ، مثل : يتنجّس إذا فعل فعلاً يخرجه من النجاسة ، وكذا يتحرّج ، ويتحوّب إذا فعل فعلا يخرجه من الحرج والحوب ، ويتحنّث أي يتعبّد **[الثعالبي ٤٧٢]** .

واشتقوا أفعالا من أسماء الأعيان تشاكلها في الأحرف ، كقولهم : رَأسَه إذا ضرب رأسه ، وكبده ، ودمغه ، وأذنه ، ونابه ، ومَعده ، ، إذا أصاب ما سُمّي بهذه الأحرف من الأعضاء ، وقالوا : حصاه إذا ضربه بالحصى ، وتأرّضَ إذا التصق بالأرض ، وتخشب إذا صار كالخشب ، واستأسد كالأسد ، وأصحر دخل الصحراء ، وأبحر ، وأهضب ... **[الزعبلاوي ٤٣ . ٤٤]** .

وربما توسعوا فادّعَوا أنّ بعض الكلام من بعض ، فقالوا : إنّ اسم الجن مشتق من الاجتنان ، لأن الجيم والنون تدلان على الستر ، وهذا جنين أي مستور ، والأنس من الظهور ، وغراب من الاغتراب ، وجراد من الجرد ، والخيل من الخيلاء ، والرحل من الرحيل ، والثور لأنه يثير الأرض بحراثتها ، والمجرّة لأنّ الله جرّها في السماء ، وهكذا **[ابن فارس ٦٢ ، السيوطي ١/ ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤]** .

وقالوا : إنّ المعاني لا تتناهى ، فاللغة العربية كغيرها من اللغات تملك من الوسائل اللامتناهية ، ومنها توليد الألفاظ لأجل المعاني اللامتناهية بتنويع المعنى الأصلي ، ويمكن إجراء الاشتقاق على الكلمات المعرّبة المحوّلة إلى العربية ، ف (كلّ ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، والناطق على قياس لغة [لهجة] من لغات العرب مصيب غير مخطئ ، وكل ما كان لغة [لهجة] لقبيلة قِيسَ عليها) **[د علي القاسمي ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ، وابن جني ٣٥٨/١]** ؛ وبهذا يتاح أمام المصطلحيين الاشتقاق والقياس ومجاراة العرب ، لمناسبة ما يريدون ، مثل : بستر الحليب من باستور ، أجراء الكلمة الأجنبيّة مجرى العربية في الاشتقاق .

ويمكن لهؤلاء المصطلحيين أن يفيدوا من منهاج ما تقدم في التمييز بين لغة العلم ، التي هي لغة الدقة والمباشرة ، والحقيقة والخلوّ من الخيال والمشاعر ، والمجاز ، كالكناية ، والسجع ... إلخ من غيرها ، وينبغي للمتصدّين التنبه إلى هذه الأمور ، وخلق بيئة لغوية قادرة على تنمية المهارات اللغوية ، كالنطق الصحيح لمخارج الأصوات والنبر فيما يستحقه ، ومعرفة الوصل والفصل ، والكتابة الصحيحة ، والتعبير الخالي من الأخطاء ، وتجنب العامّيّة ، لتصفو لغة العلم ، لغة علميّة فصيحة واحدة ، لا لغات متعدّدة ، مستقلة بالمواصفات التي تستحق عن لغة الأدب

، وبعيدة عن العامّيّات أيضاً ، وتبصير أهل الاختصاص إلى الفوارق بين خصوصيّة اللغتين لغة العلم ، ولغة الأدب ، واختلاف هذه عن تلك ، وعرض الأمثلة الواسعة التي تميّز بين الاثنين ، حتى تتحوّل المهارات اللغوية إلى سلوك ثابت يرفع من شأن هذه اللغة ويسمو بها إلى مراتب ما تستحق ، بالتدريب على الجمل المناسبة والنصوص الصحيحة ، في مجال اختصاص المتدرب ، ليتمكن من إنتاج الأمثلة المناسبة ، ولتترسخ في تداوله لاختصاصه ، وهذه أمثلة تخلط بين لغة الأدب ولغة العلم ، ومن غير المناسب من الاستعمال الأدبي ، في المجال العلمي في المرحلة الأولى من مراحل التعريب ، أي من التي كانت تخلط بين الأسلوبين : العلمي والأدبي ، في تسمية الكتب العلميّة ، أو قل من الفضول الذي لا موجب له ، من التي عُرّبت في القرن التاسع عشر ، مثل :

الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية ، لمحمد بن عمر التونسي ، ١٨٥٧م .

روضة النجاح الكبرى في العمليات الجراحية الصغرى، محمد علي البقلي ، ١٨٤٣م مصر.

السراج الوهاج في التشخيص والعلاج ، محمد الشافعي ، ١٨٦٤م ، مصر.

التنقيح الوحيد في التشخيص الخاص الجديد ، محمد الشباسي ، ١٨٤٥م ، مصر.

تحفة الحبيب في العمليات الجراحية والأربطة والتعصيب،أحمد حمدي الجراح،١٢٩٦هـ، مصر.

الفصل الثاني

المصطلح العلمي

المبحث الأول : مفهوم المصلح وأهميته

الاصطلاح : الاتفاق على وضع الاسم على المسمى والتعارف باستعماله ، و(المصطلح) هو المصدر المبدوء بميم ، والمسمى بالمصطلح الميمي من (اصطلح) بوزن (افتعل) من الصّلْحُ والاتفاق على الشيء الذي يراد تسميته [ينظر : ديوان الأدب ٣٩٨/٢] ، ولعلّ أوّل الإشارات في التراث العربي إلى الاصطلاح ، ما ورد في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، عند عرضه لكلام بشر بن المعتمر ، وإبرازه لمكانة المتكلمين في أنّهم : (تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم) **[الجاحظ ١٣٩/١]** ؛ وفي كتاب التعريفات للشريف الجرجاني : (الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول) **[الشريف الجرجاني ٢٢]** . أو (إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما ، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى . وقيل : الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى لغوي آخر لبيان المراد ، وقيل : الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين) **[الجرجاني ٢٢ ـ ٢٣]** .

(وكلام اصطلاحيّ : كلمة خاصة بفن أو علم أو صناعة) **[دوزي ٦/ ٤٦٣]** .

و(المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو تقنية يوجد موروثاً أو مقترضاً للتعبير عن المفاهيم ، وليدلّ على أشياء مادية محددة) [د ممدوح خسارة ١٤] . فالمصطلح رمز لغوي يدل على تصور ذهني ، أكثر ما يكون متفقًا عليه ، وهذا التصور يربط بين المصطلح والمفهوم .

وعرّف القاسمي المصطلح : بأنه (العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغويّة) **[د علي القاسمي ٢٦٩]** .

وربما كان تشبيه المسدّي للمصطلحات بوظيفة الرموز في المعادلات الرياضيّة ، وإهمال المصطلح من الضرر بمكان ، (فمن ظنّ أنّ العالم قادر على أن يتحدّث في العلم بغير جهازه المصطلحيّ فقد ظلمه بما لا طاقة له به إلا أن يتواطأ على امتصاص روح العلم وإذابة رحيقه ، وهذا لمّا يصدق على كلّ معرفة تحتكم على أواصر العقل ؛ ولو أخذت أبعد العلوم تجريدًا وأوغلها في صياغة الرمز (شأن الرياضيّات) لتبيّنت حقيقة قيام المصطلح من العلم مقام الرمز من المعادلة) **[د المسدّي ١٥ ـ ١٧]** .

فالاصطلاح أو المصطلح : هو التعارف المخصوص ، أو الاتفاق بين مجموعة متخصصة على وضع ألفاظ تدل على مسميات مباشرة لما يتداولون ، أو هو التعبير عن معنى من المعاني العلمية ، يتفق عليه علماء ذلك العلم ؛ فالاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها الأصلية أو اللغوية ؛ فهو علم يبحث في أسس وضع المصطلحات عامة ، وخصائصها وطرائق بنائها .

ويعدُّ علم المصطلح أحد أفرع علم اللغة التطبيقي ، وهو من أظهر العلوم اللسانية ، وأكثرها أهمية ؛ لارتباطه بالعلوم كلها ، لأنّه يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها ، ولكون التقدم العلمي ، قد أحوج إلى قدر كبير من المصطلحات التي لا بدّ منها ؛ لتظهر تلك العلوم إلى حيز الوجود . وكان (فوستر) قد حدّد في القرن العشرين موضع علم المصطلح بين فروع المعرفة ، بأنه مجال يربط علم اللغة بالمنطق وبعلم الوجود ، وبعلم المعلومات ، وبفروع العِلم المختلفة **[ممدوح خسارة ١٥]** .

ولذلك فكل علم به حاجة إلى المصطلحات ، وكل تصوّر جديد يدعو إلى خلق مصطلح جديد يناسبه ، وعلم المصطلح مثله مثل فروع العلوم الأخرى ، (يُدرّس في الجامعات بوصفه علماً مستقلا ، ويمنح دارسوه الشهادات الجامعية على اختلاف درجاتها ، كما أنشئت معاهد متخصصة لتدريب المترجمين وتأهيلهم . ومن ناحية أخرى ، فإن علم المصطلح والترجمة يُدرسان بوصفهما مادتين مساعدتين في كثير من الأقسام والشعب الجامعية ...) **[د علي القاسمي ٣٠٢]**.

قال الدكتور عبد السلام المسدي : (ليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية ، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ، ليست مدلولاته إلاّ محاور العلم ذاته ، ومضامين قدره) **[د المسدي ٣٠]**.

ويميّز الأستاذ الدكتور محمود الجليلي ، التسميات المعروفة المتداولة من المصطلحات ، مثل : استعمال كلمات أعضاء الإنسان كالقلب والكبد والمعدة والدماغ والشريان لا تدخل ضمن المصطلحات إذ إنّ تسميتها معروفة ، والمصطلحات العلمية غيرها **[د الجليلي ص١٦٣]** .

(واختيار المصطلحات يعتمد على التعريب ... وإنّ اختيار المصطلحات يُعرّف بأنّه : صيغة أو فن يعتمد على علوم) **[د الجليلي ص١٦٣]** .

لكن لا ترتجلُ المصطلحات المعربة ارتجالا ، من دون أسس وقواعد ومراجع تبيح وضعها ، وتسوّغ وجودها ، وتكون السبب المباشر أو غير المباشر في ظهورها .

الحقيقة أنّها ألفاظ لغوية ، ذات معاني تناسب ما اصطُلِحَ عليه مباشرة ، أو من دلالة المشابهة ، أو من الدلالة على مشاركة لفظ لغيره في المعنى قبل الاصطلاح ، أمّا الذي يضع المصطلح فمن له صلة به ، أو حاجة باستعماله ، مستعيناً بالوسائل اللغويّة ليتحقق له ما يريد .

وإنّ ما يدعو الى وضع المصطلحات باللغة العربية وتوليدها من اللغات الأجنبية هو تطور البحث العلمي ، وحلّ أزمة المصطلحات بالتعرف إلى قابلية اللغة العربية على توليد الألفاظ الجديدة ولاسيما الاشتقاق ، أمّا التخبط والفوضى في وضع المصطلحات الحديثة في اللغة العربية ، أو تركها فتعبير عن تهاون المختصين في الوصول إلى فهم عربي صحيح للمفهوم الدقيق للمصطلح الوافد ، ولا علاقة للغة العربية من حيث هي لغة بهذا العجز ، وإلا فإنّ اللغة العربية كانت قد نجحت فيما قدّمته من تجربة مصطلحية ، في تراثها من معارف للبشرية ، أتاحت للغربيين في العصور الحديثة أن يفيدوا منها في انطلاق نهضتهم وهذا ما سنعرض شيئًا منه في الفصل الثالث .

مكانة المصطلح

المصطلحات : (مفاتيح العلوم ، على حدّ تعبير الخوارزمي ، وقد قيل : إنّ فهم المصطلحات نصف العلم ، لأنّ المصطلح هو لفظ يعبّر عن مفهوم ... ومعرفة المصطلح ضرورة لازمة للمنهج العلميّ ، إذ لا يستقيم منهج إلاّ إذا بُنِيَ على مصطلحات دقيقة ... حتى أنّ الشبكة العالميّة للمصطلحات في فيينا بالنمسا اتخذت شعاراً : (لا معرفة بلا مصطلح) ... ونتيجة للثورة التكنولوجية المعاصرة ، حصل اندماج وترابط بين أنواع المعارف والتكنولوجيّات المختلفة أدّى إلى توليد علوم جديدة) **[د علي القاسمي ٢٦٥]** ، أفضت إلى التفكير في وضع المصطلحات الدقيقة أمام المفاهيم العلمية الجديدة .

فمداخل العلوم من أبوابها والمصطلحات مفاتيح هذه الأبواب ؛ يقول المسدّي : (إنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها ، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى ، فهي مجمع حقائقها المعرفيّة وعنوان ما به يتميز كلّ واحد منها عما سواه ، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير

ألفاظه الاصطلاحية ... فإذا استبان خطر المصطلح في كلّ فن توضح أنّ السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي ، الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المنيع ، فهو كالسياج العقلي ، الذي يرسي حرماته رادًّا إيّاه أن يلابس غيره ، وحاصراً غيره أن يلتبس به فالوزن المعرفي في كل علم رهينُ مصطلحه) **[د عبد السلام المسدي ص١]** .

وقد اهتم العرب القدماء بالمصطلح وبأثره في تحصيل العلوم ، ولاسيّما بعد أنْ ترجموا العلوم عمّن سبقهم من البيزنطيين والفرس واليونان والسريان ، وأحوجهم التوسّع إلى توليد المصطلحات لما يناسب المترجمات والمبتكرات ، وأهم ما ألِّف في هذا المجال على رأي الدكتور أحمد مطلوب أربعة كتب على الرغم من كثرتها :

(الأوّل : مفاتيح العلوم لمحمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي (ت٣٨٧هـ /٩٩٧م) ، وقد قرّر فيه أنّ المصطلحات العلميّة غير الألفاظ اللغويّة ... [و] قدّم أهمّ المصطلحات وأدقّها في عصره ... [و] أوضح استفادة العرب من اللغات الأجنبيّة في وضع المصطلحات ... [و] نسب الألفاظ إلى اللغات التي أخذت منها ... [و] أثبت قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم .

الثاني : التعريفات للسيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ/١٤١٣م) ... قدرته على على تحديد المصطلح وتعريفه بدقة ووضوح ...

الثالث : الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ/١٦٨٣م) ، وهو معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة ... يذكر فيه المعنى اللغوي ثمّ المعنى الاصطلاحي ... يبيّن معنى المصطلح عند أهل علم أو فن بعينه ...

الرابع : كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفارقي التهانوي (ت١١٥٨هـ/١٧٤٥م) وهو معجم في اصطلاحات العلوم المختلفة ...) **[أحمد مطلوب ، التعريفات ص ٥-٦]** .

قال التهانوي : (إنّ لكلّ علمٍ اصطلاحاً يعرف به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسّر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلاً ولا إلى فهمه دليلاً) **[كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ص ٢٨ ، وينظر : علم المصطلح ٢٦٦]** .

واستقرّ عند العرب القدامى (المصطلح بأنّه لفظ يتواضع عليه القوم لأداء مدلول معيّن ، أو أنّه لفظ نقل من اللغة العامة إلى الخاصة للتعبير عن معنى جديد ... [أو] عبارة عن اتفاق قوم

على تسمية الشيء باسمٍ ما ... [أو] إخراج اللفظ من معنى إلى آخر ، لمناسبة بينهما ... [أو] إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد ... [أو] اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص) **[دعلي القاسني ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، والشريف الجرجاني ٢٨ ، وأبو البقاء الكفوي ص ١٢٩]** .

أمّا الاستقرار العلمي للمصطلح في العصر الحديث فيبدأ بالسعي الأوربي في توحيد قواعد وضع المصطلحات على النطاق العالمي منذ القرن التاسع عشر ، وقد صدر معجم مصوّر للمصطلحات التقنيّة بست لغات أوائل القرن العشرين ، على يد فريق دولي من الخبراء ، ثمّ أصدر الأستاذ فيستر (ت١٩٧٧م) رائد علم المصطلح الحديث ، الأستاذ المهندس بجامعة فيينا عام ١٩٣١م ، معجمه الخاص بالهندسة الكهربائية الموسوم بـ (التقييس الدولي للغة التقنية) ، بعد أن أرسى كثيراً من أصول هذا العلم الجديد ومنها أنّ المصطلح وسيلة اتصال لصيقة بطبيعة المفاهيم ، وتعدّ جهوده ضمن جهود مدرسة فيينا ، وإلى جانبها مدرسة براغ اللسانية الوظيفية ورائدها سوسير ، وعندها أنّ المصطلحات جزء أو قطاع من ألفاظ اللغة . ويتطور التعاون الدولي في علم المصطلحات لتظهر (المنظمة العالمية للتوحيد المعياري ISO) في جنيف السويسرية ، وقد قدّمت جهودًا ملموسة في مجال توحيد مبادئ وضع المصطلحات ، ثم كان تأسيس (مركز المعلومات الدولي للمصطلحات INFOTERM) في فيينا ، ومن المؤتمرات المؤسسة في علم المصطلح (الندوة العالمية حول مشكلات الترادف والتعريف في علم المصطلح ١٩٨٢م في كوبيك بكندا ... إلخ) **[دعلي القاسني ٢٦٧ . ٢٧١]** .

إنّ قرابة عشرين جامعة في العالم الغربي اليوم تُدرِّس علم المصطلح والمعجمية ؛ وفي العديد منها تقدم المعاجم المعدّة في موضوع الاختصاص أطروحة تؤهل صاحبها لدرجة الدكتوراه ، من ذلك يتضح أنّ توسيع تدريس علم المصطلح في الجامعات العربيّة ضروريّ لفتح آفاق التفكير في المفاهيم والتحديدات المعرفيّة ، والوقوف على أصل توزيع المصطلحات اللغويّة على المفاهيم العلميّة والتقنيّة ، وعلى المبادئ التي تحكم وضع المصطلحات وتوحيدها ، والنظر إلى التجارب العالميّة في هذا المضمار ، ممّا سينبّه على ضرورة توطين المصطلح محلّيّاً ، ويجرّ حتماً إلى التفكير الجدّي في تعريب العلوم ، ووضع المقابل الوطني المستقرّ في الاستعمال ثانياً أو ثالثاً ... إلخ **[دعلي القاسني ٢٦٦]** .

ولا بُدّ في هذا الصدد من الجهود الحثيثة التي تواكب هذا التطور ، في الأقل الاستجابة إلى قرار مجلس إدارة منظمة الإيزو (ISO) ودعمها في توجهها في إصدارها بعض مواصفاتها باللغة العربية ، بوصفها رابع لغة تستعملها المنظمة ، بعد الإنكليزية والفرنسيّة والإسبانيّة . إذ ألّفت المنظمة لجنة ترجمة عربيّة تابعة لها تضم أعضاء من الأردن ، وتونس ، والجزائر ، والسعودية ، والكويت ، وليبيا ، والمغرب ، وكذلك جهود المنظمة العربيّة للتنمية والصناعة والتعدين ، والتي شرعت بترجمة عشرة أدلّة في مجالات المعامل والمطابقة والاعتماد والتفتيش ، وخمس عشرة مواصفة قياسية للبيئة ، وخمس عشرة مواصفة قياسية للجودة ... وقررت المنظمة كذلك إنشاء موقع لها باللغة العربية على الشبكة الدولية(الانترنت) **[دعلي القاسني ٣١٥]** .

وهذا لعمري ما يدعو المخلصين إلى مضاعفة نشاطهم ، ولاسيّما المعنيين من أهل الاختصاصات العلميّة ، في الجامعات والمجامع العلميّة واللغوية ، إلى التفكير في اللحاق بالركب العالمي ، بعرض ما يناسب في تثبيت المقابل العربي الموحد ، لما تصدره هذه المنظمة وبالتعاون معها ، للخروج بما يفي بحاجة اللغة العلمية ، وما يناسب من المصطلحات باللغة العربية إلى جانب اللغات العالمية ، وتيسير الاستفادة من النمو المطّرد في المصطلحات الجديدة الموضوعة بتلك اللغات **[دعلي القاسني ٣١١]** .

فضلاً عن أنّ على الفضلاء المعنيين الالتفات إلى ما أُنجِز ، والعناية بتطبيق تعريب المصطلح لكل اختصاص ، تأليفاً وتداولاً وتطويراً للمعجم المصطلحي العلمي العربي ، وبرفد مراكز البحوث المشار إليها ، وكذلك المؤسسات ووسائل الإعلام والمجتمع عامة .

وفعّاليّة أبناء الأمة هي التي تخلق الإبداعات والاختراعات ، ومن مستلزماتها إيجاد المصطلحات التي تعبّر عنها ، وهذا هو مؤشر نماء المجتمع ، وثراء الحياة فيه ، والإخلاص للغته الأم ، بجهد أهلها ، وعزيمتهم التي عليها أن لا تعرف الكلل .

والعالم العربي في حاجة أشد من سواه إلى أجيال من المختصين المتحمسين إلى لغتهم والساعين إلى تنميتها وتطويرها ، وليسوا أقل غيرة من غيرهم عليها ولا سيما أعداءهم ؛ إذ يُنقل عن الذين كانوا يعدّون لظهور دولة إسرائيل ، أنهم رفضوا في أوائل العشرينيّات من القرن الماضي ، افتتاح الجمعيةُ اليهودية الألمانية (معهد التخنكو) التكنولوجي في حيفا ، الذي أنشأته ألمانيا بأموالها وجهود خبرائها ؛ وارتأت هذه الجمعية جعل الألمانية لغة التدريس فيه ، على

اعتبار أن العبرية ليست متطورة بالقدر الذي يسمح باستعمالها في حقل العلوم والتكنولوجيا ، فقامت الدنيا بموجات الاحتجاج وإضراب المعلمين والتلاميذ ، تلاها استقالة الكثيرين من العاملين في المدارس الألمانية ، عادّين ذلك إهانة قومية ، وتوجهوا إلى أنشاء مدارس عبرية ، فتراجعت الجمعية وكان للذين أصروا على إحياء لغتهم الميّتة ما أرادوا **[د الفرحان ٢٢]**.

لكن لابدّ من ملاحظة أنّ بناء المعجمات التخصصيّة عمل علمي كبير به حاجة إلى تعاون العلماء والمؤسسات ، وهو المنتظر من علماء هذه الأمّة ، على أن يُراعي فيه التجدّد وحركة التطوّر ، ويستجيب لسرعة متطلبات هذا العصر ، وقريب من تداول أهل الحاجة ، وبذل ما في الوسع لتحقيق الغاية المتوخاة ، وبأوسع ما تكون من المشاركة والتتبع والمراجعة والتدقيق .

لذلك يجب أن يُنبّه على جعل العمل في البحث في معجم المصطلح العلمي العربي الجديد عملا جماعيّا ، وأن يتسع لجميع المعنيين ، فيما يبحثون ويصفون ويقابلون ويوازنون ويرجحون ويجدّدون ويقترحون ، وفي جميع مراحل الدراسة الجامعية ، ولجميع الاختصاصات العلمية ، وبمشاركة من اللغويين ، والجدّ والاجتهاد في هذا الأمر ؛ وصولاً إلى الغاية في بناء معجمات علميّة عربية موحدة ، بجهود التقنيين واللغويين ، على وفق متطلبات العصر وحاجاته وأسسه العلمية ، وبما يحقق التطور التقني واللغوي ، ويتجدد بالجهود النقديّة المعجمية والعلمية ، متضمناً ما يزاد من المخترعات سنويّا ، وينشر في كتب تدعمه الجهات الرسمية والشعبية ، وعلى المواقع الألكترونيّة وجميع الوسائل التقليدية والجديدة .

وحياة المصطلح وحيويته لاتكون بمجرّد إيجاده بل بنشره واستعماله ، فالوضع الأول ممّن يخصّهم وضعه بمثابة الولادة الصحيحة له ، ومن ثمّ استمراره بتداوله بينهم في مواضع الحاجة إليه ، فيثبت بهذا التداول عند المختصين ، ومن ثمّ في الاستعمال العام بين الناس .

ولا يتوقف التفكير في المصطلح بعد استقرار استعماله ، إذ لا بُدّ من مراجعة مناسبته للاستعمال بين الحين والآخر ، لأنّ التطور العلمي والدلالي قد يأتي بجديد يوجب إبداله ، أو التفريع عليه ، وكذلك الرغبة في ابتداع الأقرب والأصح للمعنى ، ما يوجب التفكير بتغييره ، أو في التخلّص منه ، فقد تنتهي صلاحيته ، وتضعف دلالته بظهور دلالات جديدة ، تكون سبباً لهذا التفكير .

ويعزّز الاستعمال والتداول اتخاذ السبل التي تحقق التقدّم المادّيّ ، وهذا ما يرفع مكانة اللغة وشخصية أهلها معنويًا ، في إصرارهم على البقاء وحثّهم الخطى نحو التطوّر ، لأنّ (ما لا تقدر على إيجاده لا تقدر على تسميته . وقاعدة : انعدام الشيء في الوجود تتبعه اللغة في عدم الوجود ، أو انعدام المدلول في الوجود يتبعه الدال في عدم الوجود) **[الساسي ٢٤]** .

وليس أمام المعنيين إلاّ الصبر وبذل الجهد في تهيئة أجواء ظهور المصطلحات واستعمالها ، وتدارك ما فاتهم لأنّ مَن تعوّد استعمال مصطلحات معيّنة صارت جزءاً من تفكيره ، يعسر عليه الانتقال منها ومن لغتها إلى غيرها ، حتى وإن كان المنتقل إليه لغته الأم ، ذلك للمداومة والتعود ، فضلاً عن عدم اقتناع الكثيرين بالبديل وعدم التهيئة للقبول به ، إذ لا معرفة كافية للممتنع بنظام لغة البديل وإن كانت لغته في بناء المصطلحات ، تراثاً قديماً وواقعاً في الحاضر ، لكنّ ما يخفف هذه الصعوبات ويهوّن من وجودها ، أنّ الجهود العلمية التي تحققت في هذا الميدان كثيرة وواسعة ، وصار بين يدي من يتصدّى لهذا الموضوع بعد هذه العقود والمُدد تجارب واسعة وتراث غني .

وأضحى بالإمكان البدء من حيث انتهى الآخرون في القرن الماضي ، بمواصلة التجارب التي أنجزت وإتمام ما تحقق ، من مثل التوسع في إتمام تحديد المقابل الأدق للموجود فعلا ، لكنه مازال خارج دائرة الاستعمال ، الذي يكون مصطلحاً ، أو من التفكير في الموجود في التراث ، أو من المهمل الموجود في المعجمات ، الذي سيحيا بإعادة الاستعمال ، استنادًا إلى الحاجة التي توجب التفكير في إعادة وضعه مصطلحًا عربيًا (صيغة ومادة ومعنى ، وهو لا يخرج عن فصيح كلام العرب) **[الساسي ١٠٦]** .

ويُلحظ الفارق بين زاوية نظر اللغوي لدراسة المفردة ، وزاوية نظر المختص إلى المصطلح العلمي ، فـ (علم المصطلح هو بحث علمي وتقني يهتم بدراسة المصطلحات العلميّة والتقنيّة دراسة علميّة دقيقة ومعمّقة تضبط فيه المفاهيم وتسميتها وتقويمها ... [و]علم المصطلحات يهتم بدراسة مصطلح علمي تقني ما من المدلول نحو الدال ، فالمدلول يعرف بالمفهوم والدال يعرف بالتسمية ... لأنّ المخترع (المدلول) هو دوماً أسبق من المصطلح (الدال) ... [و]علم المصطلح يهتم فقط بالمفهوم وهو جوهر العلم) **[الساسي ١٠٦]** .

وليس كالتعامل اليومي بالمصطلح العلمي العربي الجديد واستعماله من وسيلة لإنمائه وإحيائه ورفع الغربة والغرابة عنه ، بل وتطوّره ، وترسيخ حقيقته ووجوده .

والمختصون أوّل المعنيين بالتعامل بهذه المصطلحات ، بدءاً من التنبيه على الحاجة إليها واقتراحها ، لمواجهتهم المبتكرات والمخترعات ، وتعيين ما يناسبها ، بله معرفتها واستعمالها ، وإدراك ضرر استمرار الاختلاف فيها من دون جدوى ، ومنع ما يؤدي إلى تركها ، أو إبعادها عن أن تعتمد في العلم والتعليم والحياة ، بحجة تقصيرها وعجزها ، أو تركها حبيسة الكتب التي أودعت فيها ، حتى وصل ببعض المختصين أن لا يميّز بين العربي من المعرب ، من المترجم ، من المصطلح ... إلخ ، ولا يعرف بعضهم مرجع إقرار المصطلحات العلمية العربية وتغييرها وتطويرها ، ذلك الذي يعد من مسالك الإضرار باللغة الوطنية لغة عامة المجتمع ، وتمسكاً بلغة التخصص الأجنبي ، لغياب أدوات التعرف على النهوض باللغة القومية والوطنية ، ولجعلها تفي بمتطلبات العلوم في هذا العصر .

ولا خلاص من هذا التمسك بما عند الغربيين إلا بالمراجعة المستمرّة والتبصير بأضرار هذا المسلك ، لأنّ انعدام الرغبة في تحفيز قدرات اللغة العربية ، وتجاوز الشعور بالعجز عن مواكبة حركة العلم وتطور التكنولوجيا ، ولاسيّما من الذين سلّموا لهؤلاء الغربيين ، منبهرين بعظمة ما عند أولئك لامتلاكهم ناصية العلم ، وهوان ما عندنا ، وقد تنازلوا عن لغتهم الوطنية لمصلحة التفوّق الفكري والحضاري لغيرهم ، متعالين على مجتمعهم ، و تاركين لغتهم ، أداة للتواصل العلمي **[هيثم مشكور ٦٦]** .

وعلى الرغم من (أنّ إتقان اللغات الأجنبيّة أمر ضروري ، إذا كان ناتجاً عن رغبة في الحصول على المعرفة من أصولها اللغوية ، وتفعيل الناتج مع الفكر العربي ، في حقول معرفية عربية ، ولكن قلما يكون الهدف ثقافياً إنتاجياً ، غايته تفعيل الموروث الثقافي بأدوات من التراث وبمواد مستوردة ، لا تتعارض وطبيعة مختبراتنا الاجتماعية والثقافية والمعرفية ، ولذلك لا تتحقق خصوصية تسجيل الفعل وردة الفعل بلغة عربية سليمة ، وانعدام الرغبة في تحفيز قدرات اللغة فقد فقدت لغتنا الكثير من خصائصها ، وأصيبت بالوهن والضعف) **[هيثم مشكور ٦٦]** .

وينبه الدكتور جلال أمين على خطر القبول باستهلاك الجاهز المعدّ سلفًا والشعور بدونيّة اللغة وعدم الوثوق بفاعليتها وطاقاتها الأدائية ، أمام اللغات الأخرى ، وصيرورة النطق باللغات

الأجنبيّة تعبيراً عن التفوّق ، وهروباً من الأصالة والهوية القومية والوطنية ، واقتلاعاً لجذور الاتصال بالماضي ، الذي صار يقرن بالتحجر والتعصب والأصوليّة والتخلف وغيرها ، على الرغم من حرص الآخرين على إحياء حتى اللغات الميّتة ، فهؤلاء اليهود الذين توزعوا العالم يحرصون على إتقان اللغة العبرية ، وإعادتها لغة للحياة والعلم والأدب والفكر والفلسفة في فلسطين المحتلة ، بجهود مثقفيهم ، في حين يخجل مثقفونا من إتقان لغتهم ، واستعمالها لغة للعلم ، فما أحوجنا اليوم إلى جيل عربي يؤمن بقدرة لغتنا على الاكتساب والتطويع والتطوير **[هيثم مشكور ٦٧ ـ ٦٨]** .

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : (لقد كان العرب أصل العلم الحديث ، وبخاصة علوم الطب ، والكيمياء ، والرياضيات ، والفلك ، وكانوا همزة الوصل مع الشرق ... وقد يُظنّ البعض أنّ اللغة الانكليزية كانت بعيدة عن تأثير العربية فيها لأن الجزر البريطانية كانت بمنأى عن موجة الفتح العربي لجنوب أوربا ، وحوض البحر المتوسط ، ولكن الغزو العلمي العربي لم يترك مكانا في أوربا دون أن يبلغه ، وهكذا وجدنا في الإنجليزية قدراً كبيراً من الكلمات ذات الأصول العربية ، يصل بها بعض الباحثين إلى بضع مئات ، دخلت الإنجليزية مباشرة ، أو بالواسطة ، لكن صلة العربية بالإنجليزية بدأت متأخرة ، في منتصف القرن الحادي عشر ، ولمدة خمسة قرون ... وفي بحث قدمه الأستاذ أنيس المقدسي إلى مجمع اللغة العربية تعرض لتحقيق مئة وأربعين لفظة عربية في معاجم اللغة الإنكليزية في العصر الوسيط ... تتجلى فيها ظاهرة ... إعادة الاقتراض ، حيث نجد أن اللفظ العربي الأصيل ، قد اقترضته الإنجليزية مثلا ، وصبغته بصبغتها النطقية ، ثمّ أعادت تصديره إلى العربيةعلى غلاف المنتجات الحضارية الجديدة ، فإذا بنا ننطقه بملامحه الأجنبية ...) **[د عبد الصبور شاهين ٢٨١ ـ ٢٨٢]**.

وقوله أيضاً : (فليس غريباً أن تتلقى لغتنا الفصحى ، ولهجاتها العامّيّة ، ألفاظاً دخيلة من لغات الحضارة ؛ لكن من الضروري أن يصاحب هذا التلقي جهد واع يصنف مجموعات هذا الدخيل إلى ألفاظ لها مقابل عربي ، لأنها من أسماء المعاني ، وألفاظ ليس لها مقابل عربي ، لأنها من أسماء الأشياء . ثم تبدأ عمليّة الصقل والتعريب ، بحيث يحمل اللفظ معناه الأجنبي ؛ وملمحه العربي ، وبحيث لا يكون الأمر على نحو ما نجد الآن من سلوك عامياتنا ، فوضى لا نظام لها ، فقد يحدث في الأجيال المقبلة ؛ إذا ما بلغت مرحلة التفوق الحضاري أن نعيد إلى لغات أوربا ما سبق أن اقترضناه منها ؛ ومعه بصمة اللسان العربي ، فيؤمن الناس آنئذٍ أنّ

اللغات الإنسانية يمدّ بعضها بعضاً بإكسير الحياة ، تقارضاً متبادلا ، وتراثاً متداولا) **[عبد الصبور شاهين ٢٨٦]** .

لكنّ إغفال الترجمة والتعريب وإلقاء الحبل على الغارب ، وتهاون المختصين من أهل العلوم الصرفة ، وشعورهم بالالتحاق بغير مجتمعهم ، ولاسيّما عند تركهم التعامل بلغتهم الأم ، وانقطاعهم إلى غيرها واشتغالهم الكامل باللغة الأخرى ، فلا صلة لهم بلغتهم ، ولا يفكرون في الترجمة أو التعريب إليها ـ بل لا يستطيع جلّهم ـ نقل إنجازهم العلمي إلى مجتمعهم ، كلّ ذلك بحجة أنّ حركة العلوم باللغات الأجنبية ، وأنّ العربية عاجزة عن اللحاق بسرعة التطور ، وليس لهذه اللغة أن تستوعب المصطلحات العلمية الحديثة ، وهذا هو مدخل الأزمة الثقافية ، ومبعث القلق من الانقطاع الحضاري ، ومؤشر تراجع مكانة اللغة العربية وتحديد أدائها ، في العصر الراهن ، وفيه الخطر الأكيد على مستقبلها ، ومستقبل أبنائها .

يقول د . القاسمي : (تصوّروا لو أنّ الخليفة المأمون قرر تدريس كتب الفلسفة اليونانية وعلوم الهند وآداب الفرس بدلاً من ترجمتها إلى العربية ، فهل كانت تلك المعارف ستنتشر وتتناسل ، وهل كان سينبغ في البلاد الإسلامية فلاسفة كابن سينا وابن رشد ، وعلماء كابن الهيثم والبيروني ، وأطباء كالزهراوي وابن الجزار ؟

ومن ناحية أخرى فإنّ الجامعي الذي يتلقى تعليمه العالي باللغة الأجنبية تنقطع عادة صلته بتراث أمته وآدابها ؛ وهكذا تغدو ثقافته أجنبيّة بالرغم منه) **[دعلي القاسني ١٢٥]** .

وقد يكون هذا الانقطاع مرحلة من مراحل الالتحاق بمجتمع اللغة الأجنبيّة ، والابتعاد عن بيئة مجتمع اللغة الأم ، فينتهي المنقطع بالانتقال الكامل إلى ذلك المجتمع وهذا هو مكمن الخسارة ، والخطر العلمي والاقتصادي والتقني والنفسي والاجتماعي .... إلخ ، وربما تتضح هذه الظاهرة أكثر من تحقيق إعلامي بُثّ من إحدى الفضائيّات أظهر أنّ إمكانات الأطباء العراقيين وتأثيرهم ، وخبراتهم ، وعددهم في بريطانيا وحدها يمكن لو قرروا العودة إلى العراق أن يسبب في انهيار النظام الصحي البريطاني ، وللقارئ أن يتصوّر المغزى الذي يعنيه هذا التقرير ، في ضوء حاجة العراق القصوى لهؤلاء الأطباء ، ومقدار ما قدمه ويقدمه من استنزاف لطاقاته المادية والمعنوية .

والخطر الآخر هو (أنّ تعليم العلوم والتقنيات باللغة الأجنبية يؤدّي حتماً إلى انغلاق الجامعة على نفسها ، وعدم انفتاحها على محيطها الاجتماعي والاقتصادي ، وإلغاء دورها القيادي في عملية التنمية البشرية الشاملة ، وتقليص العملية للبحوث العلمية التي تجريها . والسبب في ذلك واضح وبسيط وهو أنّ أغلبية أبناء الشعب لا تجيد اللغة الأجنبية ، فإتقان لغة أجنبية يحتاج إلى استعداد خاصّ وسنوات طويلة من التعلم والتدريب ، وهو ما لا يتوافر للأغلبية الساحقة من الشعب ، التي لا تواصل تعليمها حتى آخر الشوط . ومن ناحية أخرى فإنّ الجامعي الذي تلقى تعليمه باللغة الأجنبية يكون تأثيره في محيطه محدوداً ، وتفاعله مع العاملين معه قاصراً . فالطبيب لا يستطيع أن ينقل معلوماته الطبية [كما يجب] إلى العاملين معه من ممرضين ومساعدين وعمال ، ولا يستطيع أن يتواصل مع مرضاه ويشرح لهم أسباب مرضهم وأعراضه وعلاجه ، ووسائل الوقاية منه ، ولا يستطيع أن يكتب لهم تقريراً يفهمونه عن حالتهم الصحية ، ولا يتمكن من كسب ثقتهم لأنه لا يستطيع التواصل معهم بسهولة) **[دعلي القاسني ١٢٣ . ١٢٤]** .

يقول الأستاذ الدكتور علي محمد كامل : (أودّ أنْ أؤكد عن تجربة أنّي ما فهمت بعض ما درسته بالإنجليزية إلاّ عندما حاولت أن أعبر عنه بالعربية في محاضراتي وأنسق بينه وبين سائر المادة من مفاهيم) **[دعلي القاسني ١٢٢]** .

وتتعدّد مشكلات وضع المصطلح العلمي العربي لـ :

١. تعدد واضعي المصطلحات .

٢. إغفال التراث العلمي العربي .

٣. عدم الالتفات إلى حاجة الجمهور ومصلحته .

٤. الانقطاع بين الأقطار العربية ، وكذلك الجامعات في القطر الواحد ، فتتعدد التسميات للمسمى الواحد . فما يُعرّب هنا بلفظ قد يكون بلفظ آخر في المكان الآخر ، وربما لا يتميّز عند بعضهم المرجع الحقيقي ، أهي الجامعات أم المجامع اللغوية العربية ، أم أهل تصنيف المعجمات اللغوية العامة ، أم أهل الترجمة الذين ينشرون مترجماتهم في الاختصاصات المتنوعة

، فلا التفات إلى ما تنجزه الجهات المركزية المعنية ، فلا يُرجع إلى الجهة المسؤولة التي يجب أن يُرجع إليها **[دعلي القاسني ١٩٢ ، ١٩٨]** .

٥ . انعدام الاختراعات ، أو الاكتشافات ، أو الأبحاث العلمية الرصينة في الوطن العربي ، لكي تُسبغ مصطلحات عربية على المخترعات أو المكتشفات ، ونحن نعلم أنّ المصطلحات العامية التقنية يضعها عادة المخترعون والمكتشفون والعلماء الباحثون **[دعلي القاسني ١٩٢]** .

٦ . استعمال أكثر من لغة أجنبية في تعريب المصطلحات التقنيّة في الوطن العربي ، فيكون ذلك من أسباب ازدواج المصطلح وتعدّده ، فيدلّ على الشيء الواحد أكثر من مصطلح ، مثل : نتروجين بالإنكليزية ، وآزوت بالفرنسية ، وكذلك قد يستعمل الأمريكان مصطلحاً غير الذي يستعمله البريطانيون للدلالة على المفهوم الواحد **[دعلي القاسني ١٩٢]** وهكذا .

المبحث الثاني : الترجمة والاصطلاح

استقلّ علم المصطلح عن الترجمة ، وعن المعجم اللغوي العام ، وعن مباحث اللسانيات ، لكنّه مع ذلك يجمع بين المفهوم العلمي التخصصي المحض والتعارف اللغوي ، بملاحظة الأشياء والظواهر في الوجود وتصنيفها : محسوسة أو مجردة ، ومعرفة خصائصها وميدانها ، وما يجمعها إلى غيرها ، أو يفرقها عن غيرها ، قرباً أو بعداً ، في المنظومة المفهومية ، وذلك من تحديد الخصائص المعرّفة بالعلم ، الذي تنتمي إليه تلك المفاهيم وإدراك العلاقات المنطقية والوجودية بينها ، هذا من جهة المفهوم الذي ينتمي إليه التخصص ، والآخر اللفظي اللغوي وضعاً ودلالة واشتقاقاً ضمن النظام اللغوي ، وبالوسائل اللغوية المحددة التي تشترك فيها جميع اللغات على الرغم من تفاوتها في ترتيب هذه الوسائل ، من حيث أهميّتها وشيوعها فيها ، وفي اللغة العربية بالترتيب الآتي : الاشتقاق ، والمجاز ، والتراث ، والتعريب ، والنحت والتركيب **[د علي القاسمي ٢٦٩]** .

وليس من السهل وضع ما يقابل المصطلحات من مفاهيم ، وكثيراً ما تكون أشقّ ممّا يُتصوّر ويُتخيّل . ذلك لأنّ المصطلح يختلف عن عامة المفردات اللغوية ، فالمفردة اللغويّة واحدة والمعاني متعدّدة ، (والقاعدة في فقه اللغات بوجه عام ، أنّ الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات : لأنّ كثرة الاستعمال ، لابدّ أن تخلق كلمات جديدة ، تلبّى بها مطالب الحياة والأحياء) **[د صبحي الصالح ٢٩٢ ـ ٢٩٣]** .

إنّ المفردات اللغوية العامة غير المصطلحات العلمية ، والخلط بينهما من وهم بعض المتخصصين الذين سلّموا للغة الأجنبية ، أو من غير المتضلعين ، وعندهم فيما يبدو أن لا حاجة لمصطلح علمي عربي إذ يكتفون بترجمة المصطلح الأجنبي استناداً إلى أيّ معجم من المعجمات أو موقع من مواقع الانترنت يظهر معنى المصطلح الأجنبي ، حتى إنْ كان ذلك الموقع من جهة غير مؤهلة ولا معتمدة علمياً ، وسلّموا أنّ النقل إلى العربية محض ترجمة لإيجاد مقابل يدلّ على المعنى يناسب المصطلحات الأجنبية ، وقد يظنّ ظانٌّ أن لا شأن للمتخصص منهم بإيجاد المصطلح المقابل الذي يعنيه ، أو في الأقلّ معرفة المظان التي تحتويه ، بل ذلك عنده من شغل اللغويين ، ولا عناية لأهل الاختصاص بالمصطلحات العلمية بلغتهم الوطنية ، وعلى هذا يكون المتخصص مجرد متلقٍّ سلبي يتداول ما أنجزه غيره ، حتّى إن كان أستاذاً

جامعيّاً ؛ ولا تفرقة عند ذاك بين المعنى المتعدد بالترادف للمفردة الواحدة ، والمصطلح المحدّد المنحصر الذي لا يتعدّد .

ويذكر الأستاذ الدكتور محمود الجليلي في الجانب الآخر قصور المعجمات عن الإيفاء بما يراد من مصطلحات في اللغة العربية ، لأنّها لم تخرج عن الاتجاه العام ، في المحافظة على المدلول القديم ، واستبعاد استعمال سكان المدن وما يجري فيها من تطور ثقافي وحضاري وعمراني واقتصادي كبير ، ويمثّل لهذا القصور بمادة (جبر) في معجم تاج العروس للزُّبيدي ، إذ إنّ أكثر من خمس وعشرين صفحة من القطع الكبير على طبعة الكويت ، لم يُذكر فيها (الجبر) المصطلح الرياضي المعروف ، بالرغم من أصله العربي ، وشيوعه في الاستعمال ، وانتقاله من العربيّة إلى اللغات الأخرى **[الزبيدي ١٠/٣٤٧ .٣٥٢ ، ود الجليلي ص٢٤]** .

وليس لنا في مثل هذا البحث إلاّ أن نُنبّه على وجوب التمييز بين المعجم العام ، ومعجم المصطلحات العلمية ، والتفكير في إيجاد المصطلح العلمي العربي المقابل للأجنبي في هذا العصر ، لا القبول بالمعاني المتعدّدة للأجنبي في المعجمات العامة ، أي وضع المصطلح العربي الذي يناظر المصطلح الأجنبي ويقابله ، على وفق منهج علم المصطلح الذي يزدهر في العالم ، وهذا هو التوجّه السديد الذي سيحقق توطين العلوم واستقرارها ، واتساع قاعدتها .

وحياة المصطلح وحيويته تكون باستعماله بعد إيجاده ، فالوضع الأول بمثابة الولادة الأولى له ، واستمراره رهين بتداوله ، وتعدد المرادفات من المعجمات اللغوية الحالة محل المصطلح ، لا الدالة على معناه تضيّعه ، لأنّ تفرّد المصطلح بمفهوم واحد هو المناسب الذي يُتعارف عليه ، ويثبت عند المختصين ومن ثمّ في الاستعمال العام في المجتمع .

<u>ويُشترط لولادة المصطلح العلمي المناسب</u> :

١ ـ موافقة أهل الاختصاص ورضاهم عنه ، لأنهم المعنيون به ، الذين سيشيعون استعماله ، وسينبهون مستقبلا على الحاجة إلى تغييره أو تطويره .

٢ ـ الدلالة المناسبة المقبولة ، التي تُعيّن المفهوم الجديد المنفصل عن الدلالة اللغوية ، التي تنصرف إلى المصطلح الجديد .

٣ ـ وجود المناسبة القريبة أو البعيدة الرابطة بين المفهوم الجديد والأصل اللغوي لفظاً أو معني .

٤ ـ المصطلح الواحد للمفهوم الواحد ، من دون تكرار الاصطلاح بمفردات دالة على مفهوم واحد ، أو تعدّد دلالة المصطلح الواحد على أكثر من مفهوم محدّد .

لأنّ الغاية من التمييز بالمصطلح هي الدلالة الدقيقة والمباشرة على المفهوم ، دلالة تعيّن وجود مؤدّاه ، وتستند إلى المنطق في تمييزه من غيره ، فضلاً عن وضوح علاقته بغيره من الألفاظ كاشتقاقه واختلاف معناه ، وموضعه من المعجم ومن بناء اللغة العلمية للغةٍ من اللغات **[د علي القاسمي ٢٧٠]** .

وفي الربط بين المصطلح وغيره من العلوم يقول القاسمي : (يصبح عِلم المصطلح علماً مشتركاً بين علوم اللغة ، والمنطق ، والوجود ، والمعرفة ، والتصنيف ، والإعلاميّات ، والموضوعات المتخصصة ، فكلّ العلوم تتناول في جانب من جوانبها التنظيم الشكلي للعلاقة المعقدة بين المفهوم والمصطلح) **[دعلي القاسمي ٢٦٩]** .

و(إنّ المصطلح لفظ يدل على مفهوم محدّد ، أمّا اللغة فهي بنية لسانية فكرية نفسية اجتماعية ، وتعريب التعليم ضرورة وشرط لتعريب المصطلحات ، لأنّ الاستعمال الفعلي للمصطلح في السياقات اللغوية المختلفة هو الذي يرشحه ويوضح دلالته ويثبتها) [دعلي القاسمي ٣٣٣ . ٣٣٤] ، وأهميّة تعريب التعليم ، أو في الأقلّ مخرجاته مهمة ، لكونه مصدراً من مصادر الإشعاع في المجتمع ، ودافعاً للمختصين في التفكير الجدّي في لغتهم .

ولابُدّ من تفادي ترادف المفردات الدالة على المصطلح الواحد في اللغة الواحدة ، فالمفهوم الواحد بمصطلح واحد ، والتعبير بالمصطلح الواحد للمفهوم الواحد ، في الحقل العلميّ الواحد ، والتخلّص من هذا الترادف وكذلك من الاشتراك اللفظي **[دعلي القاسمي ٢٩٥]** .

ملاءمة المصطلح العلمي

لغة الاختصاص جزء من اللغة العامة ، عليها أن تحقق : (الانسجام الصوتي : [الذي] هو تواؤم وحدات صوتيّة بائتلاف وتكامل وظيفي في تشكيل المفردة للمعنى) **[الساسي ٦٦]** .

وظاهرة الانسجام الصوتي في لغة الاختصاص تحقق الإبانة على مستوى التخاطب ، والخفة في النطق ، والوضوح واليسر في الوصول السلس إلى المخاطب **[الساسي ٧٢]** .

ومن الإبانة والوضوح في لغة الاختصاص الدلالة المباشرة التي تؤديها الألفاظ ، ورفض تعدّد المعاني للفظ الاصطلاحي الواحد ، حتى يتحقق منع التداخل بين المعاني والمفاهيم ، وكذلك لا يجوز أن تترادف الألفاظ وتتعدد للمعنى أو المفهوم الواحد مثلما ذكرنا آنفاً **[الساسي ٧٢]**.

وقد أوجز الجرجاني مفهوم الإبانة بقوله : (توضع الأسماء على المسميات لتبيّن عن معانيها ولينماز بينها وبين غيرها ، وليضمّ بعضها إلى بعض فتشكل خطاباً يفيد السامع خبراً جديداً) **[الساسي ٧٣]** .

ولكلّ علم منظومة من المصطلحات تعبّر عن مفاهيمه لغويّاً ، فالمنظومة المصطلحيّة تقابل المنظومة المفهومية ، ومن مجموع منظومات مصطلحات العلوم يتألف النظام المصطلحي في لغة من اللغات .

والمصطلح عند الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري : لغة خاصة ومعجم لقطاع معيّن يسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل هذا القطاع المعرفي المعيّن . لذلك يستغلق فهمه واستعماله على من ليس له دراية به ، لعدم استعماله أو الحاجة إليه ؛ إلاّ أنّ هذه اللغة الخاصة تتصل باللغة العامة المشتركة ، وغير منفصلة منها ، ولا تكاد تخرج عن الأصول التي تتحكم فيها ؛ فالمصطلح وإن استقلّ نسبيّاً عن اللغة العامة إلاّ أنّه يغترف منها وينسحب عليه ما ينسحب عليها ، وألفاظه تكشف عن البعد الفكري والمعرفي لتلك اللغة **[ينظر : اللسانيّات واللغة العربية ٢٢٨]** في استمرارها وحياتها وحيويتها ، واستعارة المصطلح من لغة أخرى كما هو من دون جعله يناسب اللغة المنقول إليها ، والتسليم له بالمعنى الواسع يطرح عدة مشكلات نظريّة فضلاً عن المنهجيّة ، لأنه يقودنا إلى إسقاط محيط لغوي غريب عنّا وفرضه داخل محيطنا ، وألفاظ لغات أخرى بعيدة عن ألفاظ

لغتنا ، ممّا يجلب التنافر والصدام والصراع ، وفرض هيمنة ثقافة كلّيّة أو جزئيّة ، حَمَلها امتداد هذا المصطلح من جذوره الثقافية ، ومن المؤكد أنّ التصادم لن يمرّ من دون خلخلة النسق والنظام القائمين في اللغة ، وإعادة النظر في هندسة الحقول التي يمسها الصدم **[د الفاسي الفهري ٢٢٨]**.

وتتفق مدرسة براغ ، ومدرسة فيينا ، والمدرسة الروسية (على أنّ لعلم المصطلح جانبين : جانب نظريّ وجانب عمليّ . ويتمثّل الجانب الأوّل في البحث في النظريتين العامة والخاصة لعلم المصطلح ، أمّا الجانب العملي فيتجسد في وضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها) **[دعلي القاسمي ٣٢٣]**.

وتحدّد المنظمة العالمية للتقييس (ISO) [International Organiszation for Standardization] علم المصطلح بأنّه : (دراسة ميدانيّة لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصّة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية . ويشتمل علم المصطلح من جهة على وضع نظريّة ومنهجيّة لدراسة مجموعات المصطلحات وتطوّرها ، ويشتمل من جهة أخرى على جمع المعلومات المصطلحيّة ومعالجتها ، وكذلك على تقييسها عند الاقتضاء سواء كانت أحاديّة اللغة أو متعددتها) **[ISO ١٩٨٧ ، دعلي القاسمي ٣٢٤]**.

ويسود بين من لا صلة لهم بمعرفة المصطلح العلمي ، ولاسيّما المصطلح العلمي العربي ، أنّ القصور في تداول هذا المصطلح هو قصور لغويّ ، وأن أهل التخصص العلمي مجرّد متلقّين سلبيين مثلما عرضنا ، ومستهلكين متفرجين ، ينتظرون ما ينتجه اللغويّون .

فمنِ يا تُرى المختصّ والمعنيّ بوضع المصطلح العلمي العربي ؟

وما الاتجاهات التي يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار عند وضع هذا المصطلح ؟

يجيب الدكتور علي القاسمي : إنّ (لعلم المصطلح ثلاثة اتجاهات رئيسة : الاتجاهات الفلسفيّ ، والاتجاه الموضوعي ، والاتجاه اللساني . ويؤكد الاتجاه الموضوعي البحث في طبيعة المفاهيم ، وخصائصها ، وتكوينها ، وتعريفاتها ، والعلاقة القائمة فيما بينها وبين الأشياء ، والمطابقة بين المفهوم والمصطلح ، وكيفيّة تخصيص أحدهما بالآخر ... وأمّا الاتجاه اللغويّ فيبتعد عن البحث في المفاهيم ، ويرى السائرون في هذا الاتجاه أنّ المصطلحات جزء من ألفاظ

اللغة ، ولهذا فإن دراسة المصطلح تتطلب وسائل ، كالوسائل الصرفية واللفظية والمعجميّة) **[دعلي القاسمي ٣٢٣ ـ ٣٢٤].**

صحيحٌ أنّ المصطلح لفظ لغوي واختياره بحسب قواعد اللغة ، لكنّ المعبّر عنه مفهوم له موقع ضمن نظام وحقل معرفي وتخصص علمي ، وقواعد تصنيف محدّدة ، تكفل وضعه في موضعه ، وخصائص المفهوم تساعد على تحديد صفته واستقلاله ، وتمييزه من غيره ، في ضوء طبيعة الحقل العلمي الذي تنتمي إليه المفاهيم المراد تصنيفها ، و(التصنيف هو تقسيم الأشياء أو الصفات أو المعاني وترتيبها في نظام خاصّ يسهّل تمييز بعضها من بعض ، ويبيّن بعضها من بعض ، ويبيّن صلة بعضها ببعض ، وذلك بالاستناد إلى مميزاتها الذاتيّة والثابتة ، وهنا يسمّى التصنيف حقيقياً كتصنيف الحيوانات بحسب صفاتها الذاتيّة ، أو تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها ؛ أو بالاستناد إلى أمور اعتبارية وظاهريّة تتعلق بها ، وفي هذه الحالة يسمى التصنيف تحكميّاً ، كتصنيف الكتب بحسب أسماء مؤلفيها ، أو تصنيف الطلاب بحسب أعمارهم . ويشترط في التصنيف الجيد أن يكون الصنف الواحد جامعاً لكلّ ما يمكن أن يوضع فيه وأن لا يوضع الشيء الواحد في أكثر من صنف واحد) **[دعلي القاسمي ٣٣١].**

وكلّ حقل معرفي له مجموعة من المفاهيم ترتبط بعلاقات ناتجة من التشابه في الخصائص ، وتؤلف فيما بينها نسقاً أو منظومة مستقلّة ترتبط بدورها بعلاقات متشعبة مع منظومات أخرى ، كعدم تأليف الضوء الأحمر والأصفر والأخضر منظومة إن كانت منفردة ، لكنّ اشتغالها على وفق نظام محدد يؤلف منظومة معروفة ، واجتماعها مع غيرها يؤلف منظومة إشارات المرور ، ومثله اللاعبون المنفردون المستقلون المتباعدون قبل تأليفهم فريق كرة قدم ، يمكن أن يؤلفوا منظومة تدخل في علاقة مع منظومة مماثلة تتحرك في مباراة لكرة القدم ، وتدخل المنظومة الجديدة في علاقات مختلفة مع منظومات أخرى لتؤلف الحقل المفهومي للرياضة **[دعلي القاسمي ٣٣٣ . ٣٣٤].**

فلا ينقطع المفهوم عن غيره ، إنّما هو جزء من مكون أكبر منه ، يرتبط بما جاوره ويشترك معه في بعض عناصره ، وعزله عن منظومته يباين بينه وبين لفظه ومضمونه الحقيقي ، ولا يتضح ذلك إلاّ لمن يدرك العلاقات بين المصطلحات لفظاً ومضموناً ، ويميّز بين المفاهيم والعلاقات ، وتتضح عند هذا المدرك معايير التصنيف ، وتتجلّى بين يديه هذه المنظومة عن تلك ، وهذه الجزئيّة عن تلك الكلّيّة الكاملة .

وهنا لابدّ من اعتماد أهل التخصص والإدراك ، والتخطيط لبناء الهيئات العلمية التي تضطلع بتنظيم الوسائل الملائمة لتجاوز محنة التخبط اللغوي الذي يؤثر (في البِنيات الفكرية والأنظمة المفهومية والأنماط السلوكية ... لأن اللغة والفكر وجهان لقطعة نقد واحدة ، أو أنّ اللغة هي الفكر) **[دعلي القاسمي ٣٣٣ . ٣٣٤]**.

(ولمّا كانت اللغة هي أداة التواصل في جميع مجالات الحياة ، اقتصادية كانت أم علمية أم تقنية ، فقد أصبحت تنميتها من أولويّات التخطيط في الأمم المتقدمة . وفي البلاد العربية تكتسب اللغة أهميّة خاصة لأنها سجل عقيدتنا الإسلامية ، ومستودع تراثنا ، وأساس وحدتنا ، وعماد ثقافتنا ، وتسعى الشعوب الإسلامية دوماً لتعلم اللغة العربية بوصفها جزءاً من ثقافتها الدينية ، ويعدّ ذلك تكليفاً للعرب ، وليس تشريفاً فحسب) **[دعلي القاسمي ٣٣٣ . ٣٣٤]** .

ويُعدّ المجمع العلمي العراقي المؤسسة العلمية الثقافية التي من أهدافها المحافظة على اللغة العربية ، والاعتناء بالتراث العربي والإسلامي ، وتشجيع البحث الهادف إلى الترجمة والتعريب ، وإيجاد المصطلحات العلمية ، بتعاون علماء العراق ومفكريه ، استناداً إلى التشريعات والقوانين الخاصة التي تتيح للمجمع تحقيق أهدافه ولاسيما قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية رقم ٦٤ لسنة ١٩٧٧ المعدل ، والمؤكد مضمونه بكتاب الأمانة العامة لمجلس الوزراء ١٠٢٩٦ في ٨ / ٤ / ٢٠٠٩ ، الذي يمنع من استعمال المصطلحات الأجنبية ، في المكاتبات الرسمية ، وكذلك الجامعات والكليات ودوائر الدولة كافة ، وعلى هذه الجهات أن تيسّر التعاون مع المجمع العلمي العراقي في وضع المقابل العربي للفظ الأجنبي **[د أحمد ممطلوب ٥]** .

وقد نصّ قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية (على استعمال اللغة العربية في التعليم ، وتحرير الوثائق والمذكرات والسجلات والمحاضر والعقود واللافتات والعلامات والبيانات التجارية ، ونص في المادة السابعة على تجنب استعمال المصطلحات الأجنبية ، ونص في المادة التاسعة على أنّ المجمع العلمي العراقي هو المرجع الوحيد في وضع المسميات العلمية التقنية) **[د أحمد مطلوب ٥]** .

وفي حديث مبكر عن منهج المجمع العلمي العراقي في إقرار المصطلحات العلمية يقول عضو المجمع المرحوم الدكتور جواد علي في نهاية الأربعينيات : (وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات وإقرارها هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص ويتعرف

أصله ونشأته ، ثمّ يسمع رأي المتخصصين فيما اختاروه من كلمات عربية مناسبة ، ثمّ يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديمها وحديثها ، لغوية كانت أو اختصاصية ، من كلمات موافقة له مما قد يفي بالمراد ، فإذا وقف على كلمة صالحة مناسبة له مؤدية للمعنى الاصطلاحي ورأى فيها الرشاقة والسلامة ـ أعني أنها عربية يألفها الذوق ـ عقد رأيه وبتّ في الأمر . على أنّ من عادة المجمع ألاّ يرى رأياً في مصطلح ولا يبتّ فيه إلاّ بعد الوقوف على آراء البلاد العربية الأخرى فيه ، فلعلّ لها اجتهاداً فيه أصوب من اجتهاده وأقوم أو كلمة أصحّ وأحكم . ثمّ هو حريص كلّ الحرص على أن لا ينفرد برأي ولا يقرّ قراراً قد يخرجه عن الإجماع والوحدة وإصفاق العلماء من أبناء هذه الأمة ... لكي لا تتعدد القرارات فلا تبقى إذن فائدة من وضع المصطلحات . وللزيادة في الاحتياط والأخذ بالتأني قرّر أن لا يثبت مصطلحاً إلاّ بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشره ليتسنى له دراسة الآراء التي تُبدَى في شأنه ؛ وفي ضوئها يقرّر المجمع ما يراه صالحاً للاستعمال) **[د أحمد مطلوب ٥]** .

فقد كان سعي المجمع العلمي العراقي ومنذ وقت مبكر إلى التنسيق مع المجامع اللغوية العربية ، وإلى توحيد المصطلحات العلمية العربية ، وتطويرها ، وإشاعة استعمالها .

ولابد أن نشير هنا إلى النشاط العربي المشترك ولاسيّما نشاط (مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الذي أقام عمله على ما أنجزته المجامع اللغوية العلمية في دمشق والقاهرة وبغداد وعمان والمؤسسات العلمية والجامعية الأخرى في الوطن العربي . كما اهتمت بهذا المجال المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس التي كانت تتخذ من العاصمة الأردنية مقرّاً لها ثمّ أصبحت على شكل لجنة في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في القاهرة ... إلخ) **[دعلي القاسمي ٣٣٣ . ٣٣٤]** .

ونؤكد أنّ الذي يؤسس لتنامي النشاط العلمي في إيجاد المصطلحات العلمية وتطويرها قبل المجامع اللغوية العربية ، وقبل مكتب تنسيق التعريب هو اقتناع مؤسسات التعليم ولاسيّما في مراحل الدراسات العليا بالتعريب في الأقل لمصلحة تطوير المجتمعات العربية ، وإزالة العوائق في سبيل أن يكون المصطلح العلمي وتداوله سائغاً بلغة المجتمع لا غريباً عنه ، يتداوله العلماء بلغة قومهم ومجتمعهم ، لا باللغة الغريبة عنهم ، وبذل الجهود المناسبة لتهيئة المستلزمات التي تحقق النجاح .

لكنْ هل المصطلح العلمي الأجنبي العائق الوحيد أمام أهل الاختصاصات العلمية في التعريب ؟

يجيب الدكتور علي القاسمي : (إنّ تعريب التعليم يختلف عن تعريب المصطلحات ، وحتى إذا استخدم الأستاذ المصطلح العلمي بلفظه الأجنبي ، فإنّ هذا لا يمنعه من استخدام العربية في تعريف المفهوم الذي يعبر عنه ذلك المصطلح ، وضرْبِ الأمثلة بها على تطبيقاته ، وإجراء المناقشة بها مع طلابه ؛ ولا يشكل المصطلح إلاّ نسبة ضئيلة من المادة العلمية ، فنسبة المصطلحات العلمية في كتاب طبّي مثلا ، لا تمثل أكثر من ٢ % فقط من النص ... ولهذا فإنّ تعريب التعليم ينبغي أن يسبق تعريب المصطلحات ، إضافة إلى أنّ المصطلحات الجديدة تتوالد وتتناسل يوميّاً ؛ فإذا انتظرنا تعريبها أولاً قبل أن نعرّب التعليم ، فإننا سننتظر إلى ما لانهاية . وإنّ القول بعدم توافر المراجع العلمية المعرّبة التي يحتاجها التعليم العالي ، يُرَدّ عليه بالقول إنّ هذه المراجع العلمية العربية لن تتوافر ما دام تعلّم العلوم يتم باللغة الأجنبية لانتفاء الحاجة إليها ... فلكي تنشط حركة ترجمة المراجع العلمية والتقنية إلى اللغة العربية يتوجب علينا أولا تعريب التعليم العالي والتقني ؛ ولكي تتوافر المراجع العلمية العربية الأصلية لابُدّ من تعريب البحث العلمي) **[دعلي القاسمي ١٢٦ ، ٣٣٣ . ٣٣٤ ، وينظر : أحمد شحلان ص ٧٩ . ٨٠]** .

(ولابد من الإشارة كذلك ، إلى أن المصطلحات العلمية ليست شيئاً أساسيًا في التعليم أو البحث باللغة العربية ، أو بغيرها من اللغات ، لأن معظم المصطلحات العلمية الحديثة ليست بأي لغة من اللغات الأروبية الحية ، بل هي في الغالب منحوتة من اللاتينية واليونانية القديمة ، ومن الممكن أن تُعَرَّبَ كل هذه المصطلحات تعريبًا ، أي أن تبقى كما هي ، وتكتب بالحروف العربية .

وتلك لعمري ، كانت تجربتنا في العهد العباسي عند بدء تعريب المعارف ، والفلسفة ، والعلوم اليونانية ، وهذه ظاهرة صحية ، لا بأس من الأخذ بها ، ما دامت اللغة كالكائن الحي ، تتأثر بالمحيط الذي تعيش فيه ، فتأخذ منه ما يسهم في حيويتها وحركيتها) **[د حمزة الكتاني ٧٠]** .

فالمصطلح جزء من أجزاء المكوّن اللغوي ، في التفاهم والتأليف العلمي ، وهو المفهوم أو المدرك بالعقل أو المشاهدة الذي يقابل بمنطوق لغوي ، ويقابله النظام اللغوي ، الذي يتألف من العبارة ، والجملة التي تتضمن المصطلح الغريب على اللغة الوطنية ، وهذا النظام سيحتوي هذا

الغريب ، ولابدّ أن يتدبره بالوسائل التي تُعِين على إيضاحه وتقريب معناه بالممكن الذي تتيحه اللغة ، وهذه هي الخطوة المهمة في اعتماد اللغة الأم ، وفي التعاطي مع العلوم ، على الرغم من إبقاء هذا المصطلح بلغته الأجنبية ، وتأخير نقله إلى هذه اللغة ، لأنّ هذه الخطوة ستأتي حتماً بالتفكير بوضع المقابل أو المرادف العربي.

المبحث الثالث : المصطلح والتعليم

لابدّ للتعليم من أجواء مناسبة يؤدِي العالم فيها رسالته ، ولا ينمو العِلمُ في مناخ القهر والاستبداد ، ولابُدّ لهيئات التعليم ومراكز البحوث أن تكون متبوعة في مجتمعاتها ، لا تابعة ذليلة ، وأن تكون لها الحرّيّة الكاملة في التعبير عن الحقائق العلميّة كما هي ، لأنّ العالِمَ لن يبدع وهو يخشى على نفسه ، ولا ينتج وهو يلهث وراء تحقيق حاجاته الأساسيّة ، وحينما يكون يائسًا من تصرفات سلطات بلاده ، لذلك سيتهيّأ إلى الانتقال إلى المجتمعات التي تقدر العلم والعلماء ، والأقرب إليه أهل لغته العلميّة ، ويكون هذا مقدّمة للتمسك بهذه اللغة ، وسيتصرّف تأسيسًا على هذا ، وسينتابه الشعور المصطنع بالغربة في وطنه ، وليس لهذا المسلك أيّة صلة بقصور اللغة الوطنيّة ، بل هو خلل سياسي ، وبعيد البعد كله عن ضعف لغة القرآن الكريم ، لذلك نقول : إنّ أكثر مسوّغات دعاة تدريس العلوم باللغة الأجنبيّة غير لغويّة ، وإن حاولوا إيهامنا بأنها لغويّة ، لأنّهم يتمسكون بالأجنبيّة لأسباب أخرى ، يتذرعون بذريعة قصور اللغة العربية ، (ومن الواجب إهمال الحديث عنه ، لأنه وهم ، أو أشبه بالوهم ، وتوجيه الجهود نحو الخلل السياسي ، الذي يوهن الجهود اللغوية في الحقل العلمي العربي ، ويقودها بعيدًا عن التأثير في المستوى العلمي للمجتمع العربي) **[الرفاعي ٧٥]** .

ولم تكن مشكلة المصطلح العلمي باللغة العربية عائقاً يحول دون التعريب ، لكن المشكلة الأساسية في عزوف الجامعات ومراكز البحث العلمي عن اصطناع العربية لغة علم وتعليم **[شاكر الفحام١٧٠]** .

فعلى التعليم أن ينتصر للغة الوطنيّة ، وأن يمنع من التحوّل التدريجي إلى اللغة الأجنبيّة ، لأنّ هذا التحوّل سيؤدّي إلى الضعف والهزال ومن ثمّ الموت الطبيعي ، وفي الجانب الآخر أن يسعى في ترقية استعمال اللغة العلميّة ، بإيجاد ما ييسر هذا التوجه ، وأن يوفق بين الحاجة إلى التجديد من جهة وصون القيم والثوابت الأخلاقيّة والاجتماعيّة من جهة أخرى ، وتنمية الثقة بالنفس ، وتحفيز القدرات المبدعة ، ومواجهة تحدّيات الحاضر والمستقبل ، استنادًا إلى الموازنة بين التمسك بالأصالة ، والتطلع إلى التمكن من مستلزمات ترسيخ المنطق العلمي المعاصر ، في الآن نفسه ، وهذا ما جرت عليه الأمم الحيّة في الانتقال من مرحلة متخلفة إلى أمم متقدّمة ، (ولا يظنّ أحدٌ أنّ إمكانات التقدم من الطبائع الثابتة عند الشعوب بل إنّ النهضة هي نتاج ظروف

تاريخيّة ذات طبيعة ثقافيّة واجتماعيّة واقتصاديّة ، كما أنّ حركة التاريخ نحو المستقبل هي امتداد تلقائي للماضي تحت وطأة مشكلات الحاضر) **[الرفاعي ٥٩]** .

لكن هناك مسوّغات أخرى غير لغويّة ومنها انشغال المختصين بغير لغتهم لسنوات طويلة ، ممّا أفقد بعضهم استرجاع ما تعلموه أو تركوه من لغتهم الوطنيّة ، فسرى إليهم الضعف أو الخوف من الاستعمال الخاطئ للغة العربية ، فيؤلف هذا إحساسًا بالضعف في العربية ، وربما رغبة في المحافظة على مكانة اجتماعية وجامعيّة رفيعة ، شعر بعضهم بالحصول عليها ، من التدريس باللغة الأجنبية التي يدرّسون بها ، ممّا يتحوّل إلى موقف سياسي من مجتمعهم ولغتهم ، ذلك الذي يحول دون استعمال العلم الحديث باللغة العربية ، وإن لم يكن لهذا علاقة بالعربية من حيث هي لغة **[الرفاعي ٥٩]** .

والتحوّل إلى اللغة الوطنيّة يستوجب التخطيط العلمي ووضع التدابير التي تفرض استعمال المعجم المعرّب لكلّ اختصاص ، والترويج له وتطويره وتحقيق ما فيه ، ليكون أكثر ملاءمة ، لأنّ ما هذه المعجمات يخصّ حقائق علميّة متغيّرة ، دوّنت في زمن تتغيّر فيه الحقائق تغيرًا سريعًا ، وربما كانت التطورات قد تجاوزت ما كان قد ثُبّتَ ، وربما لم يستعمل بين علماء أهل الاختصاص ، ولا يعقل أن تستقرّ المصطلحات على ما هي عليه ، على الرغم من امتداد الزمن وتحديث الوسائل وتقدم الحياة في عصر التطوّر السريع .

فـ (إذا تلقى الطالب تعليمه العالي مصبوباً بألفاظ لغته وقوالبها ، فإنّه يسهل عليه استيعابه وإضافته إلى مخزونه المعرفي في منظومة مفهومية متكاملة) **[دعلي القاسمي ١٢٢]** ؛ في حين يواجه الطالب الذي يتعلم باللغة الإجنبية ، مشقة فهم هذه اللغة ، والسياق الذي ترد فيه المصطلحات العلمية ، ومن ثمّ فهم هذه المادة العلمية ، وليس من السهل التحول من منظومة لغوية فكرية إلى أخرى .

يقول الدكتور محمد توفيق الرخاوي ، أستاذ التشريح في كلية طب جامعة القاهرة : (إننا لا ندرّسُ بالعربية طبعاً ، كما أننا في الحقيقة لا ندرّس بالانجليزية ، كما هي الانجليزية أبداً ، لكننا ندرّس خليطاً شاذّاً من الانجليزية المتلعثمة والعربية المكسرة ، واللاتينية التي لا نعلم منها حتى ولو الشيء اليسير) **[دعلي القاسمي ١٢٣]** .

و(يقترح تدريس الطب بالعربية ، لأنّ الأستاذ يفكر ويتكلم بالعربية ، والطالب يسمع ويفهم بالعربية ، في يسر وبساطة وسهولة ، وهو الشيء الطبيعي ، ولأنه لا يصح إلاّ الصحيح ، والحق أحق أن يتبع ، وما انتفع قوم بعلم لم يزرعوه في لغتهم) **[دعلي القاسمي ١٢٣]** .

(ويروي الدكتور أحمد ذياب الذي دَرَسَ علم التشريح في جامعة باريس باللغة الفرنسية ... ثم عاد إلى تونس ليدرّسَ نفس المادة في جامعة صفاقس باللغة الفرنسية ؛ لكنه بعد مدّة تأكد له أنّ مستوى الطلاب باللغة الفرنسية لا يؤهلهم لفهم الدروس ، فأخذ يدرّس التشريح باللغة العربية مدة ثلاث سنوات (١٩٨٥ . ١٩٨٨) وكان إقبال الطلاب على الدروس وموافقتهم على استعمال العربية بنسبة ٩٧ % ، وقد كان ذلك أمراً بديهياً جدًا كما يقول ، ثم يتساءل : لكن هل نحن أمة تقبل بدهيات الأمور ؟ لأنّ تجربته الناجحة قد أجهضت) **[دعلي القاسمي ١٢٣ ، و د أحمد شحلان ٩٩٧ ص٩٢ . ٩٦]** .

نقول لن يبدع الإنسان بغير لغته ، لأن الطالب هنا لن يتمكن من استيعاب المادة العلميّة باللغة الأجنبية استيعاباً كاملاً ، ولا تتحقق له المعرفة الصحيحة بها ، كما هي في لغته ، التي اعتادها في الاستعمال والتفكير ، لأسباب لا حصر لها ، منها أنه غريب عنها ، عن نظامها وأساليبها ، وأجوائها وبيئتها ، وهو يواجهها بعد أن استقرت عنده لغة مجتمعه ، ولذاذة التواصل بها .

وإنّ استعمال اللغة الأجنبية في التعليم العالي والبحث العلمي ومنع الطلبة من تداول اللغة الوطنيّة يحرم اللغة الوطنية من مواكبة التطور العلمي ، ويعوق نشر العلم في المجتمع ، ويسبب الضعف في التحصيل العلمي عامّة ، والتراجع عن استيعاب مجمل حركة التطور في العالم ، في ضوء ثورة المعلومات والتقنيات الجديدة ، والسرعة فيما يستحدث في شتى مناحي الحياة .

فما أروع أن يستعمل الإنسان لغته بسلاستها وجمالها ، وأثرها وسحرها على نفسه ، مندمجًا في مجتمعه ، وصانعاً من هذا الاستعمال شخصيته العلمية الحقيقية ، وبانيًا ذهنيته العلمية الصافية المنسجمة مع نفسها ومع ما يحيط بها ، وهي التي ستهيئ للتمكن من الإبداع والإتقان ، وهذه هو ما يقرّره علماء اللغات والاجتماع والتربية ، لأن اللغة الوطنية هي الأقرب من تمكين الإنسان من العطاء .

ترتيب خطوات جعل المصطلح الأجنبي عربياً

كانت المؤسسات اللغويّة والعلميّة العربيّة قد انتهت ، إلى تيسير ترتيب الوصول إلى المصطلح العلمي العربي ، البديل للمصطلح الأجنبي ، ليكون بين يدي أهل الاختصاص ، وذلك بتقديم ما في اللغة العربية ، على غيرها ، وكالآتي :

١ ـ التفتيش عن العربي السائغ المناسب ، من المستعمل الذي لم يستقرّ بعدُ مصطلحاً علميّاً ثابتاً متعارفاً عليه ، فإن لم يكن موجوداً ، فالاستعانة بما في التراث العربي ، وذلك بإعادة ما كان قد استعمل قديماً إلى التداول في هذا العصر ، وبشرط المناسبة نفسه .

٢ ـ الاستعانة بالألفاظ ذات المعاني القريبة من معنى ما يراد وضعه ، لمناسبة تجمعه إليه ، أو قرينة تربطه به ، على سبيل المجاز والمشابهة ، وباب المجاز واسع في العربية ، وذلك بابتداع أسماء لم تكن موجودة بهذا الاستعمال ، لكن ألفاظها عربية ومعانيها قريبة ، ويمكن بها مواكبة الحياة وتطورها ، ولإثراء اللغة ، ونموها ، وتوسيع آفاقها **[د أحمد مطلوب ٢٠]** .

٣ ـ الاشتقاق من كلمة عربيّة من مفهوم ما يراد وضعه من مصطلح ، كأسماء الأعيان ، أو المعاني ، ومما يتصل بمعنى أو لفظ ما يراد الاشتقاق له ، ولهذا (اتخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة قراراً بجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان للضرورة في لغة العلوم واتخذ قراراً آخر أطلق به غير تقيد بالضرورة) **[د أحمد مطلوب ٢٠]** .

٤ ـ تعريب اللفظ الأجنبي ، ونقله من لغته الأجنبية إلى اللغة العربية ، بتغييره وتحويره ، حتى يصير أشبه ما يكون بأبنيتها ونسيج كلماتها ، أي جعل الألفاظ الأجنبية تناسب ما في العربية بإبدال أصواتها ومقاطع كلماتها صوتيّاً وصرفيّاً ، بإحدى الوسائل المعروفة عند اللغويين **[د أحمد مطلوب ١٤]** وسنعرض لهذا لاحقاً .

٥ ـ نحت ما يناسب مضمون المصطلح ، بأخذ كلمة تختصر من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ له والمأخوذ منه ، بمراعاة عدم الخلط أو اللبس ، وبلحظ قرار المجمع العلمي العراقي في (عدم جواز النحت إلاّ عند عدم العثور على لفظ عربي ... واستنفاذ وسائل تنمية اللغة من اشتقاق ومجاز واستعارة لغويّة وترجمة على أن تلجئ إليه ضرورة قصوى ، وأن يراعى في اللفظ المنحوت الذوق العربي وعدم اللبس) **[د أحمد مطلوب ٢٩ ـ ٣٠]** ، ومن أمثلة

المنحوت المصطلحي : كهرومغناطيسي نسبة إلى كهرباء ومغناطيس ، وكهروحراري نسبة إلى كهرباء وحرارة ، وحيمن للحيوان المنوي ، ولاسلكي ، ولا إرادي ، ولا محدود ... إلخ **[دعلي القاسمي ٤٣٠ ، ٤٤٤]** .

وهذا هو نصّ توصية ندوة توحيد منهجيّات وضع المصطلح العلمي العربي عام ١٩٨١م : بـ (استخدام الوسائل اللغويّة في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقاً للترتيب التالي : التراث فالتوليد بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت . والتعريب عند الحاجة وخاصة المصطلحات ذات الصيغة العالمية كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات ، أو العناصر والمركبات الكيمياوية) **[علم المصطلح ٤٢٠]** .

وتطبيقاً لما تقدّم فقد أقرّت الأسماء العالمية : مصطلح (هيدرولوجيا) و (مورفولوجيا) ، وقد أقرّهما مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالاقتراض والتعريب **[ينظر : علم المصطلح ٤٢٠]** .

ومن أمثلة أسماء الأعلام التي اشتقت منها المصطلحات : البلهارزيا ، والبسترة من باستور ، وفولط (فولت) ، وأمبير نسبة إلى العالم الفيزيائي الفرنسي ، وواط نسبة إلى العالم الفيزيائي الاسكتلندي ، وقد ورد المصطلحان في (المعجم الموحد لمصطلحات الفيزياء العامة والنوويّة) **[د الجليلي ص١٦٣ ، وعلم المصطلح ٤٢٠]** .

ومن الأمثلة على العناصر والمركبات الكيمياوية ، صوديوم ، وكربون ، وأوكسجين التي وردت في (المعجم الموحد لمصطلحات الكيمياء) **[دعلي القاسمي ٤٢٠]**.

التعليم وازدواج المصلح

نعرض على المختصين التساؤلات المشروعة الآتية :
من نحن ؟ وماذا نريد ؟
أنحن مجرد ناقلين لما عند الغربيين إلينا ؟
أم ننتقل نحن إلى الغربيين ؟
هذا هو السؤال المحوري ؟
الذي لابُد من مواجهته ، والتصدّي الجدّي للإجابة عنه :
أنريد أن نحافظ على شخصيتنا الحضارية ؟

أم نضيّعها بالالتحاق بالغربيين ؟

أ فنسلمُ إلى ما عندهم بلغتهم ؟

أم نحوّل ما عندهم من علم إلى لغتنا ؟

أنريد أن نتفاعل مع ما عندهم ؟

أم نلغي وجودنا وما يناسبنا لمصلحتهم ؟ !

أنعي أنّ الاستسلام سيمسخ وجودنا مستقبلاً ؟ !

وسيحولنا تحوّلا أعمى إلى كيان الغرب وشخصيته ، وإلى الابتعاد عن أهلنا ؟

لكلّ ما تقدم نقترح مراعاة المرور بمرحلة انتقال جدّية إلى استعمال اللغة العلمية ، والمصطلح العربي الخالص ، ونقصد بالجدّية أن يقترن التحوّل بحماس المختصّين ، وحرصهم على لغتهم ، ثمّ اقتناعهم بضرورة استعمال ما وُضِعَ من اللغة والمصطلح العربي ، أو اقتراح ما لم يوضع حتّى الآن ، إلى جانب المصطلح الأجنبي العالمي وبموازاته ، والالتزام بتداول المصطلح العربي في الشؤون الوظيفيّة والاجتماعيّة والتواصليّة الثقافيّة والإعلاميّة المحلّيّة والعربيّة ، والتزام المصطلح العالمي في التخصصات العلميّة والبحوث الأكاديميّة ، إلى جانب ما استقرّ عربيّاً .

هذا الازدواج ضروريّ ، لأنّه يلبي حاجة المجتمع ، والأخرى التخصص والتحصيل العالي ، ويراد من كليهما تحقيق النهضة العلمية ، والتواصل والتأصيل ، وحثّ الخطا في السير من المحلّي إلى الدولي ؛ لأنّ العالم في هذا العصر يمرّ بتحوّلات كبرى ، لا يرحم من يتماهل أو يتساهل في درء ما يهدّد مصيره ووجوده ، وحقّه الذي عليه أن يتمسك به ، لا أن يدعه لغيره ، في ظلّ الانفتاح والعولمة وسيادة القطب الواحد الذي اختار الاصطفاف إلى جانب عدوّنا ، وبيده الوسائل العلمية لإضعافنا ، وللفتك بنا ، مهما تنازلنا وأظهرنا من حسن النيّة ، ويريد محو حضارتنا ، ومحو ما يعترض عولمته من أيّ مخالف سواء أكان من الطيبين حسني النيّة أم من المعاندين المقاومين له ولهيمنته ، ذلك ما نلمسه في الفكر ، والاقتصاد ، والسياسة ، والقوة العسكرية ، بل كلّ شؤون الحياة ، بالترغيب والترهيب ، وباستعمال أبشع الأساليب المغلفة والصريحة ، التي تعتمد وسائل التطوّر التقنية العالية ، من التي لانمتلك أسرارها ولم نبلغ المستويات التي بلغوها .

وانفتاحنا الواعي على العالم المتقدم في هذا العصر يمنحنا الفرصة في تجاوز ما نحن عليه من تخلف عن ماضينا ، الذي تمكّن من تطويع اللغة وجَعلها قادرة على التعبير عن حاجات ذلك

العصر وقضاياه ، فلم يتردّد علماء العربية في حينها من اتخاذ الخطوات التي تجاوزوا بها ما نسميه بمشكلة مصطلحات العلوم وتعريبها ، أو ترجمة المفاهيم والكلمات الجديدة ، التي لم تتوافر على ما يقابلها في اللغة العربية ، بل إنهم كثيرًا ما اكتفوا بنقلها كما هي ، لتعرّب فيما بعد ، أو يتطوّر لفظها باستعمالها لتكون جزءًا من العربية ، واستقرّ عندهم أنّ تقدّم اللغة مرهون بتقدم أهلها **[د الفاسي الفهري ١٨١]** .

ويقرُّ الدكتور محمد الكتاني الازدواج اللغوي ، ويرى أنْ لا مفر منه ، وهو أداة من أدوات التعايش الحضاري والثقافي ؛ ويزيد أنّ ما ينبغي أن نقوم به إلى جانب هذا الازدواج هو الإيمان باللغة القومية ، باعتبارها النسق اللغوي الوحيد الذي يطابق ثقافتنا ويصلنا بتراثنا ، ويرمز إلى شخصيتنا بكل مكوناتها وتطلعاتها .

ونرى أنّ الازدواج اللغوي لابُدّ أن يكون موقفًا مرحليًّا ، ومستقبليًّا في ظل اتخاذ شروط النهضة العلميّة العربيّة ، واعتماد أساليب التعليم الحديثة ، بما فيها اختيار الأنسب للعلم في المستقبل القريب والبعيد ، بملاحظة مصلحة المجتمع وحاجاته وتطلعاته وما يحيط به ، وإعادة تقويم الجدارة والكفاءة ، بدل المحسوبية والمنسوبية ، والتزام مبدأ سيادة القانون ، واستخلاص العبر المفيدة من تجارب التراث الناجحة والفاشلة **[فاضل جتكر ١٩٦]** .

وفي إقرار الازدواجية حلٌّ مَرحليٌّ ، يفسح المجال أمام التنمية التدريجية للطاقة التعبيرية للغة العربية ، والتأهيل العلمي للدارسين من أهل الاختصاص ، ورسم الإجراءات الممهدة للإدارة العلمية والعملية والتفصيلية لهذه الازدواجية ، ومنها ترسيخ خصائص اللغة العلمية العربيّة ، اللغة الصحيحة الفصيحة التي تتحصل بيسر وسهولة ، والقريبة من استعمال الناس وأهل العلم ؛ وذلك بمراجعة ما يناسب كل اختصاص من مفردات وتراكيب ونصوص ، والإعداد لتنظيم المعجمات العصرية التي تيسر هذا الأمر ، ليدور مستقبل التعريب بمدار اللغة العربية لا بمدار التفكير باللغة الأجنبية ، والسعي الجدي في ردم الفجوة بين اللغة والثقافة الجديدة والمعلومات العصرية **[د الفاسي الفهري ١٨٦]** .

كلّ هذه ستمهد لمشروعية التغيير ومن ضمنها التعليم باللغة العربية ليكون التوجه علميًا وسديدًا وراكزًا ، وجاذبًا للكفاءات العلمية في الداخل والخارج ، يكسب حماسها ويطمئنها على مستقبلها ومستقبل أوطانها ، ويمنعها من الالتفات إلى غيرها ، ليأسها من حصول النهضة

الحقيقية في بلدانها ، في ظل الأوضاع السياسية الحالية ، ومهيعًا صحيحًا يعتمد تأهيل اللغة الوطنية نفسها علميًا ، ولاسيما تعوّد نظامها الصوتي والصرفي والتركيبي بين المختصين ، وفي ذلك اكتساب للعلم الحديث الذي سيمرّ بمراحل الهضم والتمثيل ، والاستيطان الطبيعي الذي سيفتح الأبواب واسعة أمام التعريب الشامل ، هذه المهمة ضرورة حيّة ، ستتعاظم فتأتي بتعريب ما يراد تعريبه ، عند الباحثين في الأقل بين الذين يستعملون العربية إلى جانب الأجنبية ، ونتخلص أيضًا من الانفتاح اللغوي الشكلي والسطحي على الغرب وحده ، الذي لن يأتي بما نأمل من نهضة علمية تناسب أجيالنا وطموحاتهم الكبيرة ، وعلى الرغم من مواقفه السلبية المتتابعة ، ووقوفه إلى جانب أعدائنا ، ووضوح المؤشرات بانتقال مركز الثقل الحضاري إلى غيره ، لأن الانفتاح على غير الغرب يتطلب ثقة عالية بالنفس ، وأنّ اللغة العربية هي المعبّرُ الأكيد عن هذه الثقة ، وهي الكيان الواضح لوطنيتنا وشخصيتنا الحضارية ورأينا المستقل في الحاضر والمستقبل.

المبحث الرابع : المصطلح وخصائص العربية

إنّ المصطلح لفظ من ألفاظ اللغة ، قد يشتق في العربية من جذر كلمة موجودة مثلما عرضنا سابقاً ، وكان من أمثلته الاشتقاقية أن يصاغ من وزن : (فُعال) للدلالة على مرض ، مثل : دُوار من دار يدور ، وفُواق من فاق يفوق ... إلخ ؛ أو قد يؤخذ من كلمة أخرى للمشابهة اللفظية او المعنوية ، كداء الثعلبة وداء الفيل ... إلخ ، وأوزان معينة تدل إن اشتق منها دلت على معاني محددة ، وغيرها مثلما عرضنا في المبحث الثالث من الفصل الأول ؛ ويمكن أن يعتمد الاشتقاق في باب توليد المصطلحات من غير ألفاظ العربية أيضاً ، ممّا يَصْلُحُ استعماله في اللفظ المعرّب ، مثل : الاشتقاق من المصطلح (باستور) : بستر ، يبستر ، بسترة ، من فعلل يفعلل فعللة ، ومثلها : مكننة ، ودبلجة ، وعلمنة ، وتلفزة ، وبرمجة ... إلخ ، أو مثل : تدويل من وزن (تفعيل) ، أو استعمال المصدر اليائي أو يسمونه المصدر الصناعي بإتباع الكلمة الأساسية باللاحقة (يّة) عند ترجمة ما يقابل : (isme) الفرنسية ، كقولهم : الرومانسية ، والآيديولوجية ، والفابية ، والبروتاليرية ... إلخ **[د عبد الصبور شاهين ٥٢ ـ ٥٨]** ، أو كالمجاز والمحوّل والنقل من معنى إلى آخر ، كاستعمال الكلمات القديمة بدلالات جديدة : البريد ، البرق ، الهاتف ، السيّارة ، القطار ، الطيّارة ، المدرّعة .. إلخ ، والنحت من كلمتين مثل : (ذات الرئة) .

وربما ألحقوا المعرّب بأوزان ما عندهم ، بتغيير يناسب كلماتهم ، وهذا التغيير على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ما غيّرته العرب من الحروف الأعجمية التي ليست من حروفهم ، لتلحقه ببناء كلامها فحكمه حكم أبنيتها في الوزن ، نحو : (دِرْهَم) الذي ألحقوه بـ (هِجْرَع) ، و (بَهْرَج) الذي ألحقوه بـ (سَلْهَب) ، و (دينار) و (ديباج) [بالفارسية ـ دِيوْ باف ـ أي نساجة الجن ، الجواليقي ٧٢] ، ألحقوهما بـ (دِيماس) ، وإسحاق) بـ (إعصار) ، و (يعقوب) بـ (يربوع) ، و (جَوْرَب) ب (فَوْعَل) ، و (رُسْتاق) بـ (قُرطاس) .

والقسمُ الثاني : ما غيّرتْه عن حالته الأعجمية ولم تُلحقه بأبنية كلامها ، ولا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله ، فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربيّاً غيره ، نحو : (آجُرّ) ، و(إبريسم) ، و (سراويل) ، و (فيروز) ، و (قَهرمان) .

والقسم الثالث : ما تركوه على حاله غير مغيّر ، فلم يلحقوه بأبنية كلامهم ، مثل : (خُراسان) كـ (فُعالان) ، و (خُرّم) ألحق بـ (سُلّم) ، و (كُرْكُم) أُلحق بـ (قُمْقُم) **[سيبويه ٣٠٣/٤ ـ ٣٠٤ ، والمنشي ٦٢ ـ٦٣ ، وأبو حيان ١٤٦/١]** .

إنّ سعة مدرج أصوات اللغة العربيّة وإيفائها بما يتطلبه متكلّمها ، واستقرارها على ما هي عليه ، عشرات القرون ، بسبب الثبات الذي جلبه النصّ القرآني الكريم لهذه اللغة ، جعل الأفق واسعاً أمام استعمال المفردات التي استقرّت من مئات السنين ، في حين تغيّرت أصوات اللغات الأخرى ومفرداتها ، وتبدّلت في الحقب المتتابعة ، وهذا التغيّر يتضح من مثل قول فندريس : (إنّ النظام الصوتي بعيد كلّ البعد من أن يكون ثابتاً طوال تطور لغة من اللغات) **[فندريس ٦٤]** .

ويؤكّد هذا الدكتور صبحي الصالح : (إنّ معجزة الكلمة العربية تتجلّى في ثبات أصواتها التي تومئ إلى مدلولاتها ، حتى لو أنّ عربياً جاهليّاً بُعث الآن وسمِعنا ننطق بلفظ فصيح لفهمه ، لأنّ أصوات لغتنا الفصحى لم يطرأ عليها تغيير ، فطريقة النطق بها اليوم لا تختلف في شيء عن طريقة النطق بها بالأمس البعيد ... والقرآن الكريم ... كان السبب الجوهري في احتفاظ لغتنا بأصواتها ثابتة ... وبحروفها واضحة) **[د صبحي الصالح ٢٩٢ ـ ٢٩٣]** .

لكنّ التغيّر يأتي من حركة المجتمع وتطوّر حياته واستجابة اللغة مطاوعتها لهذه الحركة وهذا التطوّر ، فـ (مفردات اللغة ... في حركة دائمة وتجدّد متواصل تبعاً لتجدد أحوال الناس وأنماط معاشهم وصور أفكارهم وأسماء أشخاصهم ، لأنّ المفردة في اللغة كالفرد في المجتمع . أمّا الصوت فلا مجال معه لخلق أو إبداع أصوات جديدة . وهذه العربية لم يزد فيها صوت منذ نشأتها . وهذا القرآن الكريم لم يبدع أصواتاً جديدة على أصوات العرب إنما احتفظ في البلاغ بها واحتفظ في البيان بتراكيبها ، قال تعالى : ﴿بلسان عربيّ مبين﴾[الشعراء-١٩٢] . لذلك تجلت مساحة الإبداع والمعجزة في ذلك النسق الكبير والعجيب بين المفردات في صياغة الخطاب) **[الساسي ١٠٣]** .

ومن الثروة اللغوية ترادف مفرداتها للدلالة على المسمى الواحد ، فقد تختلف الكلمات في المجتمعات الواسعة ، أو بسبب المعرب والدخيل الذي يأتي من الاقتباس من اللغات الأخرى ، وهي النتيجة الطبيعية لتباعد الأقطار العربية واختلاف لهجاتها وثقافاتها المحلية ، ويعدّ هذا في مصلحتها ودليل من أدلة ثرائها ، لكنّ الاختلاف يتسع في هذا العصر ولاسيما في الجديد من

الاستعمالات والمصطلحات ، العامة أو الخاصة كالطبّية أو التقنية ، مما يؤثر في الاتصال في المستقبل بين أبناء هذه اللغة ، ويحجّم أثر المتحدثين بها بل يهدّدهم باختفاء لغتهم ؛ لذلك يُطلب تضييق وجود هذه الفروق والسعي في توحيد معظم الجديد من المصطلحات ، ولا يكون هذا إلا بالوعي الكبير لهذه المشكلة ، والإفادة من أثر الإعلام الفائق في توجيه الرأي العام إذا ما بُني علميّاً ، وستكون له المكانة المهمة في تداول المستحدثات بالعربية الصحيحة ، وباستعمال اللغة العربية السليمة ، فيُنتظر من الإعلام الكثير في تخفيف هذه الفروق ، ولاسيما البث عبر القنوات الفضائية ، والانترنت ، التي تتجاوز المحلية ، والمحدود المكاني ، مباشرة إلى كل الآفاق ، ولها من الوسائل العظيمة في الإقناع ، والسعة في النشر . فالفرصة متاحة لرفع قدرات مستعملي اللغة لردم هذه الهوّة ، ولجعل العربية أكثر صلاحية للاتصال لأن اللغة العامل الأول في ترابط المتحدثين بها وتطوير ما عندهم ، ولن يحققوا النجاح في شتى المناحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلا بلسان يجمعهم ويمكنهم من توحيد مفاهيمهم نحو قضاياهم الرئيسة والفرعية ، أما الفروق اللغوية المحدودة فمقبولة ولا بأس بها ولن تعوق التعاون والتآزر ، وكذلك مفهوم الوحدة اللغوية .

وربما يلتبس على غير المتخصصين القول باللغة الخاصة ، والصالحة للعلوم والتكنولوجيا ، وعدم تمكن غيرها من أداء ما تؤديه في البحث في الميادين العلمية والتكنولوجية ، لأنها تمتلك الطابع العلمي والعالمي ، وقد تعودها علماء العالم على ما هي عليه ، حتى صار استيعاب العلوم والتكنولوجيا لا يمكن أن يكون إلا بها ، وهذا ما نفيناه سابقا ، لأنه باطل ولا أصل له ، ولا يمكن الأخذ به ، (لأننا عندما نصف لغة بأنها لغة العلم والتكنولوجيا ، فإن هذا يعني فقط أن ما يُنْشَرُ بهذه اللغة هو أهم وأكثر عددا ممَّا ينشر باللغات الأخرى . وهذا هو شأن اللغة الإنجليزية في عصرنا الحاضر ، هذه اللغة التي لم يطرأ عليها جديد ، لا في تكوينها اللساني ولا في كتابتها ، ولا في تعابيرها ، فأصبحت بقدرة قادر ، تصلح لما كانت عاجزة عنه قبل [أكثر من] خمسين سنة ... وفي الحقيقة ، واختصارًا لكل الأفكار التي ناقشت هذا الموضوع ، يمكننا القول بكل تجرّد أن اللغة هي أداة مطواعة بيد من يستعملها ، فتعكس بأمانة وصدق ، تطوره الفكري والعلمي والتكنولوجي والحضاري ، وهكذا يجب أن تكون ... وبطبيعة الحال فليست لنا معطيات علمية ، أو مواصفات خاصة ، اقتصادية أو تقنية ، تساعدنا على اعتماد لغة أمة من الأمم فنقرر أنها لغة تكنولوجيا هذا الزمان ، أو بأنها ستكون لغة تكنولوجيا العصر المقبل ،

أو بالأحرى سيقودنا التخمين – إن توفرت المعايير والمواصفات – للاعتقاد بأن العالم يسير نحو لغة طاغية مشتركة ، ستتلاشى أمامها اللغات الأخرى وتتدحر لتندثر مع مر الزمن) **[د حمزة الكتاني ٨٠]** .

فللسان العربي خصائصه الصوتيّة والإفراديّة والتركيبية المتميزة ، لكنّ عالمَ المصطلح عالم حركيّ ، وفي تطوّر مستمر ، وبما يناسب إيقاع تنامي الحياة ، وإبداع المخترعات ، وقوّة المجتمع ومكانته في كثرة مخترعاته ، فالمجتمع يخترع ، واللغة تصنع المصطلحات التي تناسب هذه المخترعات ، ووجود المخترع يسبق ظهور المصطلح ، والحاجة إلى المصطلح تتأتى من مفهوم لا بُدّ له من تسمية ، أي إلى كلمة تعيّنه وتدل عليه ، ولا تنصرف إلى غيره .

والمجتمع الذي يستورد مخترعاته ومصطلحاتها مجتمع خامل ، لايريد أن يدخل آفاق التطوّر ، ولا يعي ضرر الكسل والتسليم لغيره ، ذلك الذي سيبعد أمته ولغتها عن هذه الآفاق وتتراجع مكانتها وشأنها ، لمصلحة الأمم الأخرى ولغاتها .

و(النسبة الغالبة في المخترعات لا تخرج عن دائرة الحرفة والصناعة وهي في غالبها أجهزة للعمل . والحرفة والأداة لهما صيغتهما في اللسان العربي ؛ وهناك نسبة معتبرة من المصطلحات مبثوثة في التراث المعرفي العربي تجريبيّاً كان أم إنسانيّاً مهملة جهلاً أو تجاهلاً) **[الساسي ١٠٨]**.

ولهذا أضحى اختيار ما في التراث من جهة والتفاعل مع ما عند الغربيين من جهة أخرى ، هو الخيار المصيري ، من أجل ضمان حق الوجود على وجه هذه البسيطة ولاسيما أنّ المستقبل لن يرحم أمة ضعيفة علميًّا وتقنيّا . فعلى أهل العربية ، الاعتناء بلغتهم وتطويرها لتستجيب لمتطلبات العصر ، وأن تستوعب بكل وعي أعباء التجديد الملائمة لتنميتها ، وإلا فلتهيئ نفسها لتحمل العواقب الوخيمة المؤدية إلى النتائج المضادة لأهدافها التنموية ، ومنها فقدان السيادة والدخول تحت هيمنة القوى العالمية الجديدة ؛ التي ستدمر كيانها وطموحاتها من داخلها وبمحو أثر أدواتها الروحية ووعاء معلوماتها .

ولن تستسلم أمة تحترم نفسها ، تقبل بتدوين معلوماتها بغير لغتها القومية ، وإنّ أهل العربية لقادرون بإذن الله على مواجهة هذا التحدي ، إذا ما وعوا خطورة ما يواجههم ، وتحمّلوا المسؤوليةَ الكاملة ، ولاسيما العلماء الأجلاء من باحثينا وخبرائنا ، الذين بلغوا المراتب العالمية في التحصيل العلمي.

وحينذاك سيصير الكلام على استعمال اللغة العربية حقيقة واقعة في ميادين الأبحاث المتعلقة بكل فروع العلم والمعرفة ، ولاسيما الطبية والطبيعية والهندسية ، ويصير التغزل بمحاسن اللغة العربية ملموسًا ، ويعدو الحديث عن التمسك بالتراث ولغته من الوقائع الملموسة ، ولن تتعدّى تذكير الناسين والغافلين ، الذين بهم حاجة إلى الاقتناع بالتنفيذ ، وتجسيد إرادة المجتمع في إرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح وسيرها الطبيعي في تعريب التعليم العالي ؛ والدخول في توضيح تفصيل بعض المفاهيم المتعلقة بالشروط الأساسية الصحيحة المرتبطة بحسن استعمال اللغة العربية في مجال الأبحاث والتأليف ، ولاسيما في مجال تدارك أسباب تأجيل استعمال العربية في مرحلة التعليم العالي عامة ، من الذين كانوا يتحفظون ، متحججين بنقصان مقومات هذا التعريب ، ولا يباشرون إلا بتأمينها ، وليس هناك إشكالية حقيقية تمنع من التأليف والبحث باللغة العربية .

لكنْ هناك حاجة إلى مراجعة ما يعترض سبيل هذه الغاية ، وتبديد ما يُتخيّل من معوّقات، وهي تتعلق بالوسائل المادية الضرورية لمزاولة التأليف، أو الاطمئنان لما يجب أن يكتمل، وهي:

١ . الانتهاء من مراجعة أسس وضع المصطلحات العلمية ، بلغة عربية واضحة سلسة ، مقنعة لعامة المختصين .

٢ . إنجاز المراجع العلمية العربية الأساسية في العلوم الطبية ، والطبيعية ، والهندسية ، وتيسير عرضها ولاسيما على الشبكة العنكبوتيّة .

٣ . تيسير ظهور عدد مناسب من الدوريات العلمية بالعربية ، الطبية وغيرها ، لنشر البحوث العلمية العربية الأصيلة ، وعلى أوسع نطاق .

٤ . تأهيل الطلبة لإجادة لُغة حية أجنبية واحدة ، تمكنهم من متابعة التطور العلمي والبحثي الحديث في مظانه الأصلية .

ولابد لنا من تدارك ما فات من زمن ، وحرق المراحل ، وتخطي الصعاب ، لكسب رهان المستقبل ، واللحاق بركب الأمم المتقدمة ، وضغط القانون الطبيعي للتطور ، فلا فسحة للتأخير أو التهاون ، بعد ظهور بوادر مرحلة عالميّة جديدة ، ومحلّيّة كبرى ، ومنها تلك التي يعيشها عالمنا العربي اليوم ، ولاسيما التفكير بامتلاك زمام المبادرة ، والإفادة من سعة الاتصال بعوالم

الحضارة الغربية الحديثة ، وبدء تخطّي الظروف القاسية الناجمة عن آثار سيطرة القلة القويّة ، التي كان بإمكانها إخفاء جرائمها ، وفرضها على الأكثريّة البائسة الضعيفة ما تريد ، وقد استحوذت هذه القلة القوية على كل شيء ، مدعومة بالعسكر والإمكانات الاقتصادية ، وانتقلت إلى الدخول في معركة تحقيق الذات الحرّة المستقلة ، وتلك البوادر مقومات أساسية ، وشروط لابد من توافرها لشروط تحقيق النهوض الحضاري والتقني **[د حمزة الكتاني ٨٧]** .

ولأنّ التحديات الراهنة والمستقبلية تستدعي سرعة النهوض وتجاوز الركود في معالجة المشكلات الكبرى المتصلة بمخاطر الهيمنة والتبعية للعولمة ، فما لم تستنهض الهمم في التأسيس للمجتمع الجديد مجتمع سعة المعلومات ، والإسهام الأوفر ، وعبور مرحلة الضعف العربي ، وضرورة مشاركة الإفراد والجماعات في فرض التوجه الصحيح ، وتحرير سلطة المعرفة وبنائها على وفق متطلبات المفاهيم الجديدة ، التي تلبي حاجات المجتمع ، وتعبر عن أهدافه ، وإزالة ما يضر بمستقبله ، وربط المعلوماتية بالتنمية اللغوية لأن المشكلات اللغوية لا تتصل بهذا الجانب اللغوي وحده ، فثمة اندماج واسع وعميق للغة في مجتمع المعلومات المستقبلي إذا أردنا المشاركة الحقيقية والحيّة فيه ، والانضواء تحت لوائه ، وإذا كان مجتمع المعلومات ما يزال في مرحلة الطفولة كما أشارت القمة العالمية لمجتمع المعلومات (جنيف ١٧ كانون الأول ٢٠٠٣) ، فإن الإسهام في إنتاج المعلومات هو المنطلق الرئيس لمواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية ، وتستند هذه المواجهة إلى تكييف التنمية اللغوية ووضع الحلول الوطنية للبنية التحتية للمعلومات والتحصين الثقافي ، وتوطين التعليم المتخصص ، وأظهرت القمة المذكورة أن تحدي اللغة وثيق الصلة بتحدي التعليم والتدريب التقني على المعلوماتية ، لإدخال اللغة العربية في مجتمع المعلومات المقبل الذي بدأت علاماته وبشائره ، بالنسبة للكثيرين بالإشراق والفاعلية ، ولعل أهم مشكلة مستقبلية بالنسبة للغة العربية وتنميتها هي الإيفاء بمستلزمات تقليص الفجوة بين المجتمعات العربية ومجتمع تسارع المعلومات **[د.عبد الله أبو هيف ا]**.

الفصل الثالث

تعريب المصطلح العلميّ

المبحث الأول : مفهوم التعريب وأهميّته

التعريب لغة : التبيين والتوضيح ، وتهذيب الكلام من العجمة واللحن ، وتعريب الاسم الأعجميّ : أن يتفوّه به العرب على منهاجهم وطريقتهم **[الزبيدي ٣/٢٤٠ ـ ٢٤٢]** .

والتعريب : (هو ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ، ونطق به القرآن المجيد ، وورد في أخبار الرسول (ص) والصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وذكرَته العرب في أشعارها ... لفظت به العرب بألسنتها ، فعرّبته ، فصار عربيّاً بتعريبها إيّاه ، فهي [أي الألفاظ] عربية في هذه الحال ، أعجميّة الأصل) **[الجواليقي ٥ ـ ٦]** .

والتعريب بالترجمة ، قد يكون عامًّا ، فيدعى بالتعريب الشمولي ، أو قد يكون بالاقتباس من اللغة الأجنبيّة ، بالتغيير الصوتيّ أو الصياغيّ للمفردة الأعجميّة ، وقد يكون بوضع مقابل عربي يناسب ما يصطلح عليه [إدريس بن حسن العلمي] ، والاقتباس اقتراض لغوي واستعارة من لغات أخرى ، بنقل المفردة الأجنبية نفسها إلى اللغة العربية ، بتغيير أو من دون تغيير ؛ لحاجة ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية نظريّة أو تطبيقية ؛ تعبيراً عن التواصل وحيوية اللغة واستمرارها ، وتجدّدها ، واستجابتها للتطوّر والاستعمال في كلّ زمان ومكان .

والتعريب عند الأستاذ الدكتور محمود الجليلي : (استعمال اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة كلاماً وكتابة ، دراسة وتدريساً وبحثاً وترجمة وتأليفاً) **[د الجليلي ص٩]** .

(والمعرّب عند أهل العربية لفظٌ وَضَعَهُ غيرُ العرب ، لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع) **[محمد عيد ١١٦]** ، أو هو ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ، أو ما ألحقوه ببناء كلامهم مباشرة ، أو بتغييره ، ليناسب لغتهم .

و(إنّ العرب قد استعاروا من معظم الأمم ألفاظاً للتعبير عن أشياء دعت إليها الحاجة والضرورة ؛ وقد عمدوا إلى تلك الألفاظ فحوّروا في بنيتها ، وجعلوها على نسج الكلمات العربية وهي تسمى بالألفاظ المعربة ؛ وتركوا بعضاً آخر على صورته وهي التي تسمى بالدخيل) **[الساسي ٩٢]** .

نقل العلماء العرب العلوم إلى لغتهم ، بعد أن هذبوا ألفاظها وتراكيبها لتناسب لغتهم ، واضحة في استعمالهم ، جلية في تداولهم ، فتتابعت المحاولات الجادة ، وترسّخت التجارب ،

وتكاملت البحوث ، وقد حقق الحماس للتعريب التمكن من الفكر العلمي ، ومن إعادة استنبات العلوم باللسان العربي ، بعد أن جُعِلت النصوص عربية رائقة ، ويعبر البيروني عن هذا الحماس بقوله في مقدمة كتابه الصيدلة : (وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة ، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة ، وإن كانت كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع آلافها وأشكالها . وأقيس هذا بنفسي وهي مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استغراب البعير على الميزاب والزرافة في العراب ثم متنقلة إلى العربية والفارسية فأنا في كل واحدة دخل ولها متكلف . والهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية) **[د إلياس عطا الله ٣٠]** .

و(التعريب عند المحدثين ... إدخال اللفظ الأعجمي ضمن المعجم العربي ، فيصقل ويصاغ في قوالب الأوزان العربية ... على الطريقة التي بها يشتق من اللفظ العربي الصميم ... [أو] إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأعجميّة ، حتى تصير العربية الفصحى وحدها هي لغة الكتابة والتدريس والإعلام ، تستخدم في المدرسة والجامعة ، وتستعمل في الدار والسوق وفي الصحف والإذاعة) **[إدريس بن حسن العلمي]** .

وأفصحت تجربة اللغة العربيّة أنّها اللغة الحيّة المتجدّدة ، على الرغم من ثبات (القرآن الكريم) ، وقد كان هذا الثبات هو المزيّة التي قدّمت العربية على جميع اللغات كونها لغة هذا الذي حفظها وخلّدها ، وهو النصّ الديني المقدس ، نصّ التشريع ومرجع البناء الفكري والثقافي ، وقد كان هو نفسه الدافع الأكبر لفتح آفاق النهضة والتحوّل لاستقبال ما كان من علوم وفنون وآداب من الأمم الأخرى ، فقد قدّمت لغة القرأن الكريم للمتكلّمين بها ما يحتاجون إليه في حياتهم ، من التعبير عمّا يختلج في أذهانهم في التواصل والعلم والأدب ، والدليل ذلك النجاح في استقبال ما عند الآخر والتواصل معه ، ونقل ما في العالم ، ثمّ النقل إليه على جميع الصعد ، طيلة عشرة قرون من التلاقي والتلاقح والتفاعل والانفتاح ، فكانت لغة القرآن لغة العلم والحضارة ، فضلاً عن كونها لغة الحياة والأدب .

وإنّ البحث في صلة اللغة العربيّة بالثقافات والعلوم الإنسانيّة قديمة ، وأنّها ارتبطت بالتراث الإنساني ، ولاسيّما في عصور نهضتها من مراحل وازدهارها ، وقد انفتحت على هذا التراث

فأخذت وأعطت ، ولا بُدّ من زيادة تفعيل هذه الاتصال في العصر الراهن ، ولمصلحة المجتمع العربي في جميع العلوم والفنون والآداب .

ويعرض الدكتور أحمد زكي للبناء الإنساني للحضارة العربية الإسلامية ، بقوله : (الحق أنّ المَجْدَينِ [مجد العرب ومجد المسلمين] ... امتزجا فما كاد يُفرق بينهما فأنت تقول في جابر بن حيان الأزدي فتعلمُ أنه من خوارزم ... من الاتحاد السوفيتي جنوب بحر آرال ، وتقول في ابن سينا فتعلم أنه من بلخ فهو مسلم فارسي ، وأنت من ناحية أخرى تقول في ثابت بن قرّة عالم الهندسة الكبير فتعلم أنه صابئي ، وتقول في حنين بن إسحاق فتعلم أنه نصراني ، وتقول في الفلكي العربي ما شاء الله فتعلم أنه يهودي مصري) **[أدور وليم لين ١٢٧]**.

التمثيل للتعريب من التراث

أقرب مثال على التعريب عند القدماء ، قولهم : (إنّ طه ، واليمّ ، والطور ، والربانيون ، بالسريانيّة ؛ والقسطاس ، والصراط ، والفِردوس ، بالرومية ، ومشكاة ، وكِفلين ، بالحبشية ؛ وهَيت لك ، بالحورانية ، وبه قال فقهاء العلماء ، وزعم أهل العربيّة أنّ القرآن ليس فيه من الكلام العجمي شيء ، لقوله تعالى : ﴿بلسانٍ عربى مبين﴾ [الشعراء-١٩٥]، قال أبو عبيد : الصوابُ عندي : مذهب فيه تصديقٌ للفريقين ، وذلك أنّ هذه الحروف [أي الكلمات] أصولها أعجمية كما قاله الفقهاء ، إلاّ أنّ العرب حوّلتها عن العجمة [أي عربتها] إلى ألفاظهم ، ثمّ نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلامهم ، فمن قال إنّها عربية فهو صادقٌ ، ومن قال إنّها أعجميّة فهو صادقٌ) **[المنشي ص ٦٢ ـ ٦٣]** .

فالذي يُعرّبَ من الأسماء الأعجمية يكونُ بتغييرِ حروفِهِ لتناسب نطق الحروف العربية ، مثل : (إسماعيل) أصلها : (شمائيل) [المنشي ٦٩] ، (بُزُرج) : (بزُرك) أي : الكبير **[المنشي ٧٣]**، (الزئبق) : معرّب (زِيوَه) **[المنشي ٨٨]** ، و(الساذَجُ : معرّب (ساده) **[المنشي ٩١]** ، (الساباط) : من (شاه آباد) سقيفة بين دارين [رسالة التعريب ٩١] ، و (السّرادِقُ) : ستر الدار معرّب (سرابَرده) **[المنشي ٩٤]** ، (الطازج) : الطريّ ، معرب (تازه) **[المنشي ١٠٠]** ، (عيسى) : (إيشوع) **[المنشي ١٠٢]** ، (الفُرجار) : معَرّب(بركار) بالباء المثلثة آلة يهندس بها الأشكال **[المنشي ١٠٤]** ، (كِسرى) : لقب ملوك الفرس معرّب (خسرو) ، أي واسع الملك **[المنشي ١٠٩]** ،

(المالَج) : ما يُطيّن به معرّب (مالَهْ) **[المنشي ١١١]** ، (المهرجان) : هو فصل الخريف ، معرّب (مهركان) **[المنشي ١١٤]** ، (النموذج) : مثال الشيء ، معرّب (نموده) **[المنشي ١١٦]**.

ومن التمثيل للتعريب في هذا العصر بوضع مقابل عربي مستعمل بدلالة قديمة ، وضعًا دلاليًّا جديدًا يخالف القديم ، مثل : (السيّارة) التي تقابل (automobile) ، وهذا على سبيل المجاز ، ومن اختيار المجمع في التعريب ، لأنّ (السيّارة) في الأصل والمعجمات العربية : (القافلة) ، أو القوم الذين يسيرون ، قال تعالى : ﴿وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيّارة ... وجاءت سيّارة ...﴾ [يوسف ١٠، ١٩] ، فـ (سيّارة) كلمة عربيّة على وزن (فعّالة) لكثرة السير مثل : ثلّاجة ، وسمّاعة ... إلخ ، والتمثيل للاقتباس : التلفزة من (television) **[إدريس العلمي ٧٠]**.

ضرورة التعريب

التعريب ضرورة علميّة ، وضرورة حياتيّة ، وضرورة من حيث التوعية بالغزو الفكري ، ومنع التبعيّة والاختراق الثقافي ، والتعريب الخطوة المهمة من خطوات التقدم نحو الإبداع والابتكار ، والانتقال من استهلاك الأشياء إلى صنعها ، ومن ثمّ منحها الاسم العربي **[ينظر : اللغة العربية وتحديات العصر ٩٠]** .

إنّ إصرار المجتمع على استعمال لغته دليل على ثقته بنفسه ، واعتزازه بشخصيته ، أمّا تنازل الآخذين عن الغرب من دون حدود ، والترويج للغة أخرى والاستهانة باللغة الوطنية فهذا هو المنهج الفكري الذي حاول أن يفصل النهضة العلمية عن المجتمع وعن جذوره الممتدة ، وهو المسؤول عن كثير من الإحباطات ، التي وقع فيها الفكر العربي ، وإنّ القصور ليس في الاطلاع على النتاج الغربي ، بل في غياب الوعي بخطورة انتقال المفاهيم والمناهج وما تحمله من خطورة على مستقبل المجتمع ولغته ، عبر مراحل طويلة من التراكم المعرفي ؛ وقد وظف هذا الانفصال وهذه الغربة داخل سياق ابتعاد أهل التخصص عن مجتمعاتهم ، والإسهام في تعميق الهوة بينهم وبين أهلهم ، وذلك ما فصل بين الأجيال ، ولا سبيل إلى بناء النهضة الفكرية الحقيقية إلا متى اقتنعت مجتمعاتنا بأنها لا تتحقق التطور والتحديث إلا باعتماد تحديث المعرفة العربية والاستناد إلى إمكاناتها ومعطياتها ؛ وحينئذٍ تولد تجربتنا وطريقنا الخاص ، إذ لا يتحقق المستقبل الإيجابي من دون تفاعل الماضي مع الحاضر ، لأنّ الماضي يصنع الحاضر ويؤثر فيه ، وسيدور المستقبل بمداره .

(ومشكل الاستيراد [اللغوي] غير المشروط ، في مقابل غلق باب الصناعة [التعريب] ، والإنتاج والتصدير إلى الآخر ، ولعمري هي صورة أشبه عندي بغنيّ متسوّل ، من عائل متكبّر ، وليس عند الله صورة أقبح ولا أبغض منها) **[الساسي ٣]** .

والعودة إلى لغة المجتمع أساس النهضة الحقيقية ، ومرجع الثقافة الرصين وروحها الذي تتنفس في أجوائه الرحبة ، وإن لم تدرس لغة التخصص العلمية بلسان المجتمع ، فلا يمكنها من حمل رسالة المستقبل ، وتتنازل عما يجب أن تتحمله ، وعندذاك ستبتعد عن مقاربة الهموم والقضايا الراهنة ؛ لكن التراث العربي الإسلامي على الرغم من كلّ ذلك محفوظ بإرادة الله سبحانه وتعالى قارّ في لغته ، وثابت في عقول أبناء مجتمعه ، وليس مجرد كتب في مكتباته ، ونقوش على جدران متاحفه ، في وعيه ولا وعيه .

وليس هناك أمة تحترم نفسها تتنازل عن لغتها إلى أمة أخرى ، لكن لا بأس من التواصل باللغات الحيّة ، إلى جانب اللغة الوطنية في مراحل التعليم العالي ، أي هذه وهذه مثلما رجحنا . ولأجل تحقيق الموازنة بين اللغتين ، لابدّ من تأسيس التقاليد العلمية الصحيحة ، بالتعرّف إلى العربية العلمية ، استناداً إلى تداول المصطلح العلمي العربي عند أهل الاختصاص ، مقتنعين بأنّ هذا المسلك هو من صميم تخصصهم ، ويؤثر إيجاباً في فهم ما يتداولون ، وفكّ عقدة الانبهار بحضارات الأمم الأخرى ، والالتحاق بها ومن ثمّ التسليم لها وللغاتها .

غير أنّ هذه العقدة لم تتمكن من اليابانيين والصينيين والألمان والفرنسيين وغيرهم ، ولم يكن بهم حاجة إلى إهمال لغتهم ، لمصلحة الإنجليزية أو غيرها ، وكانوا إيجابيين ، وفي مقدمة القوى الصناعية والثقافية والاقتصادية ، ولم يتركوا لغتهم ويسلموا للغة الإنجليزية .

والدولة الصهيونية المحتلة التي أنشئت بإرادة حكومات الناطقين باللغة الإنجليزية بريطانيا وأمريكا ، لم تتنازل عن لغتها التي أحيتها ، ولم تنهزم أمامها ، بل جعلت لغتها الأساس في دولة الاحتلال ، على الرغم من كونها دويلة صغيرة ، والمتحدثون بها لا يتقنونها ومنحدرون من شتى بقاع العالم .

وينقل الأستاذ الدكتور إسحاق الفرحان عضو مجمع اللغة العربية الأردني وثيقة عبرية من الموسوعة اليهودية من النص العبري ٣٣٢ ومترجمة بالإنكليزية : (وثيقة وقعها موشيه شاريت ، ودون خوس ، وإلياهو كولومب ... في سنة ١٩١٣م عندما أسس معهد حيفا ، كان هناك حديث عن إمكانية التدريس بلغة أجنبية في العلوم ، لأنّ هذا المعهد تكنيكي ، فكيف

يدرسون باللغة العبرية ، وقد كانت في بداية إحيائها ، لأنها لغة ميّتة ؟ فضج هؤلاء ، وهم طلاب في الثانوية آنذاك ... وقد وقعها هؤلاء الثلاثة ، هؤلاء هم أعداؤنا ، وهذا هو تخطيطهم قبل أن يُنشئوا دولتهم على أنقاض شعبنا . بعد ذلك أسسوا الجامعة العبرية ودرّسوا بلغتهم) **[د الفرحان ٢١ . ٢٢]** .

ذلك ما يستحثنا إلى تيسير استعمال المصطلح العلمي العربي من جملة ما يجب أن تعنى به أيّة دراسة علمية ، وفي أيّ اختصاص ، وذلك بمراجعة المصطلح المقرّ من المجامع اللغوية العربية ، واقتراح تغييره إن لم يعد مناسباً ، أو تجديده وتوليد ما يتفرع عنه استناداً إلى التطوّر العلمي ، وجعل ذلك هدفاً من أهداف المعاهد والجامعات ومراكز البحوث ، لمصلحة العلم نفسه ، وكذلك المجتمع العربي الذي سيستفيد حتماً من مخرجات هذه الدراسات .

ولا بُدّ من العناية بالمصطلح العلمي العربي في الأجواء الجامعية وفي مراحل الدراسات العليا ، ذلك الذي سيحلّ مشكلة الفهم الحقيقي للمصطلح الأجنبي ، وكذلك الصراع مع اللغة الأجنبية ، التي لن يجيدها جلّ المتعلمين بها حالياً ، ولن يبدعوا بها ، لأنها غريبة عنهم ، في حين إنّ التأليف بالعربية سيثري المعجم العلمي العربي بالمفردات ، والمتضادات ، والفروقات ، وييسّر العلوم على المختصين والراغبين ، وسيرسخ أسس الجودة والوضوح والشمول ، كالذي يحصل عند الأمم الحية المتطوّرة .

وعلى الباحثين الفضلاء في هذا العصر ، من أبناء هذه الأمة ، تذكّر جهود أسلافهم الذين صيّروا علوم مشارق الأرض ومغاربها عربية في ذلك العصر ، ومن لغاتها إلى اللغة العربية ، وقد استوعبوا ما فيها في مختلف العلوم والفنون والآداب ، بعد أن طوّعوها وجعلوها على وفق ما في العربية ، ثمّ انتقلت هذه العلوم بلغتها العربية مرة أخرى لتترجم إلى اللغات الأوربية ، فكانت الأساس في بناء نهضتهم العلمية والمعرفية .

وعليه فإنّ جعل معرفة العربية العلمية والكتابة بها ثمرة من ثمار الدراسة باللغة الأجنبيّة ، ونتيجة طبيعية لها ، وإلاّ فلماذا تحفظ النصوص الغريبة والمصطلحات الأجنبية ، إذا لم يتمكن من تعلّمها من نقل محتواها إلى لغته ومجتمعه ؟

ثمّ إنّ التعرف إلى العربية العلمية بممارسة نصوصها الرصينة ، سيغيّر وجهة نظر كثرة كاثرة معروفة بهجرها في الأوساط الجامعية ، ويعدلون عن رأيهم ، حتى أنّ من لا يحسنون التأليف باللغتين ويتهيّبون النقل إلى لغتهم الوطنية لأنهم لم يمارسوها في اختصاصهم ولا تجربة

لهم معها ، يتصوّرون عسرها وصعوبتها ، فلا يتمكنون تمكناً كاملاً من اللغة الأجنبية من جهة ، ولا يستطيعون النقل إلى لغتهم الوطنية ممّا تعلموه بغير لغتهم ، والمنطق ينبئ أنّ التفكير في العلوم باللغة الأم وتعوّد نصوصها ، ومعاناة تحويل المنجز العلمي إليها ، وممارستها إلى جانب الأجنبيّة ، سيفكّ هذه العقدة ، وسينهي هذه الجفوة ، ويبعد الغربة المصطنعة .

لأنّ معرفة المصطلح العلمي المعرّب بين الدارسين العرب أساسيّة في تداول العلوم ، ولا غنى عنها في فهم المادة العلمية وإفهامها ، بل هي منطلق تأسيس العلوم وتوطينها وإيصالها إلى عامة المجتمع ، فضلاً عن أهل الاختصاص ، ومن لهم صلة بالنهضة والتطور العلمي .

ويجدُ المتتبع الجهود الكبيرة للمجامع اللغوية ، ومكاتب التعريب لوضع الأسس الملائمة لروح اللغة العربية وما يناسب أبنيتها ، بصدور مئات البحوث والمعجمات المصطلحيّة العلميّة ، ومئات الآلاف من المصطلحات ، في شتى الاختصاصات العلمية ، في الدول العربية **[د أحمد مطلوب ٣]** .

يقول الدكتور صبحي الصالح : (حين نصف العربية بسعة التعبير ، وكثرة المفردات ، وتنوع الدلالات ، وحين نتجرأ أكثر من هذا فنزعم أنّ لغتنا في هذا الباب أوسع اللغات ثروة ، وأغناها في أصول الكلمات الدوال على معان متشعبة ، قديمة وحديثة ، جدير بنا أن نذكر أنّ اللغات جميعاً ، من دون استثناء ، تزداد ثرواتها وتبلغ مفرداتها من الكثرة حداً لا نهاية له إذا كُتب لها من شروط النماء والحياة والخلود ما كُتب للعربية ، فقد أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسع من طرائق استعمالها ، وأساليب اشتقاقها ، وتنوع لهجاتها ، فانطوت من هذا كله على محصول لغوي ، لا نظير له في لغات العالم ... ولعل أبرز العوامل في اشتمال لغتنا على الثراء العظيم أنّ المهجور في الاستعمال من ألفاظها كُتِب له البقاء ، فإلى جانب الكلمات المستعملة كان مدونو المعجمات يسجلون الكلمات المهجورة . وما هُجر في زمان معيّن كان مستعملا في عصر من العصور ، أو كان لهجة لقبيلة خاصة انقرضت أو غلبتها لهجة أقوى منها ؛ وهجران اللفظ ليس كافياً لإماتته ، لأنّ من الممكن إحياءه بتجديد استعماله . فالاستعمال في العربية على نوعين : مهجور قد يستعمل ، ومستعمل قد يهجر) **[د صبحي الصالح ٢٩٢ - ٢٩٣]** .

ويقول الأستاذ إبراهيم بن مراد في الحديث عن مصادر كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار : (نجد ما يناهز الخمسين ومئة مصدر ، منها قرابة العشرين مصدراً إغريقيّاً ، أمّا البقيّة فأغلبها عربيّ إذ نجد كذلك المصادر الفارسية والسريانية والهنديّة والكلدانية) **[ابن مراد ٦٠]** .

ويقول أيضاً : (إنّ البيئات الثقافية التي عاش فيها ابن البيطار كانت كلها متفتحة على الثقافات الأعجميّة وخاصة اللاتينية والبربريّة واليونانيّة التي كان لها حظ كبير في كتابه (الجامع) **[ابن مراد ١٥٨]** .

وقد أخذ العرب (عن الأمم الأخرى عادات ومصطلحات ومسميّات جديدة في المأكل والمشرب والغرس والزينة والحلي والأواني والأدوات والأسلحة والأجهزة والطب والصيدلة . ولمّا لم يعهد العرب التعبير عن هذه المستخدمات في حياتهم الأولى فقد أخذوا في نقل قسم من ألفاظها الأعجميّة بعد تعريبها والتصرّف فيها ، كما لجأوا إلى الاشتقاق والتوسع في الكناية والمجاز أيضاً ؛ وهكذا تولدت ألفاظ جديدة كثيرة) **[الساسي ٩١]** .

ولزاماً على أهل هذا العصر أن يجدّدوا هذه التجربة ، أو يفيدوا منها ولاسيّما الاعتناء بما أفرزته من مصطلحات علميّة ، وأن يدركوا (أنّ اللغات يكتب لها أن تعيش حيناً من الدهر وبتفاوت ، فكذلك المصطلحات ، وإذا كان ما ينتج اللغة وينمّيها ويقوّيها هو بيئتها ومردود أهلها ، فكذلك الأمر في المصطلحات . وإذا كان الإستيراد أغلب على الإنتاج والصناعة في حياة مجتمع كان ذلك دليل ضعف ووهن ؛ وكذلك أمر الألسن إذا استوردت مصطلحاتها وأغلقت إنتاجها وأوقفت صناعتها ، وعطّلت مبدأ الاشتقاق فيها) **[الساسي ٢]** .

خطر التسليم للغة الأجنبيّة

العربي الذي لا يريد أن يفكر بلغة القرآن الكريم ، ويفضل غيرها عليها ، ولا يسعى إلى استيعابها ، ولا ينفعل بسحرها ، ولا يدرك بيانها ، ولا يتأمل آفاق إعجازها ، ولا يقرأ ما حفظته هذه اللغة من علم يعنيه ويدخل في اختصاصه بها ، إنسان عاجز عن تأسيس العلوم بها ، ويكون فاقدًا للإحساس بحاجات لسان أهلها في الحاضر والمستقبل ، فضلا عن كونه عاجزا عن الإضافة إليها وإثرائها بالجديد مما يناسبها ، لأنه قرّر الالتحاق بغيرها لسانيًا ، فهو لا ينتمي إليها إلا على سبيل التبعية الشكلية غير الفاعلة .

ولا بُد أن نذكّرَ المعنيين ، أن لا نهضة علمية حقيقية من غير جعل اللغة الوطنية أداة لها ، ولا لغة أنسب من العربية لغة للعلوم لمجتمع عربي ، ولا يمكن أن يُعبّر عن فعالية هذا المجتمع في هذا العصر إلا بالتجديد والتواصل الحي بتعريب العلوم والآداب والفنون .

لكننا نجد في الأوساط العلمية الترويج للغة الأجنبية ، على حساب اللغة العربية وبديلا عنها ، وقد حصر المروّجون صلاحية العلم في لغات معينة ، وحرموا لغتهم من هذه الصلاحيّة ، حرموها نظريّاً وقبل أن تكون لهم تجربة جدّيّة ، أو سعي يناسب الشروط المعروفة لنجاح التعريب.

والواقع ينبّه على بطلان مثل هذه القرارات الخطرة ، إذ إنّها مرفوضة من وجهة نظر علم اللغة الحديث ، فضلا عن حقائق التطور العالمي الملموسة التي تبعد هذا المُدّعَى بل تدحضه ، للإنجازات العلمية والصناعية الكبيرة التي حققتها أمم حيّة كثيرة كاليابان والصين وروسيا وغيرها ، بلغاتها الوطنية والقومية وهي تتقدم إلى أمام ، لتسبق من ينسب إليهم وإلى لغاتهم الانفراد بالتفوّق ، ولماذا نذهب بعيداً ، فجلّ دول الجوار سوى الدول العربية تدرّس العلوم والطب والهندسة وغيرها بلغاتها القومية ، وبعضها يغذّ السَير نحوَ العالمية بامتلاك أعلى التقنيّات ، التي لم تبلغها الدول العربية . فالأمر أبعد من نقل تقنيّات واجتلاب رفاهيّة واستيراد وسائل متطوّرة ، واكتساب رقيّ ، بل لابدّ للتحديث من استيعاب الحركة العلمية ، ونقلها إلينا باختيار ما يناسبنا ، حتى يتحوّل ما عندهم إلينا ، لا أن تأخذ هذه الوسائل أفضل أبنائنا ليلتحقوا بهم ، فيتحوّل الجزء المأخوذ أداة تغيّر قناعاتنا ، وتهدم ما عندنا ، وعلينا أن نعتبر بما حولنا ، مثلما ذكرنا ، فقد أحيا العبرانيون لغتهم الميّتة . مثلما كررنا القول . واستعملوها لغة للعلم والحضارة ، واستعمل الأتراك لغتهم الوطنيّة ، واتخذ الإيرانيّون المسلك نفسه ، ناهيك عن غيرهم من الأمم الأخرى ... إلخ .

وعلينا التنبّيه على خطورة الاستسلام لما يقرّره الذين يفكرون بغير لغتهم ، لأنّ استعمال اللغة الأجنبية ومصطلحاتها سيكون مدخلا إلى مفاهيمها ، بل إلى كلّ ما عند أهلها ، مهما كان الأثر المجتلب وضرره ، وكأنّ التابعين يرضخون لأمر محتوم ، قد قُدّر وكُتب ، ولا يحقّ لهم مراجعته ، بل ولا النظر إلى المستقبل من دونه ، مستقبل ما يفرض على المجتمع من لغة وحضارة ومفاهيم ، على الرغم من خطر ما يُفرض .

وعلى المخلصين أن يتذكّروا أنّ رحيل المحتل بمعدّاتِه وخبرائه ، ليس مفارقة لوجوده ، ونهاية لضرر آثار احتلاله ، ولا يعني أنّنا امتلكنا كامل سيادَتنا ، بل هو مجرد مظهر ، أو ادّعاء ، أو مصطلح من المصطلحات ، أو مفردة انزاحت لتحلّ محلها مفردات غيرها ، بعد أنْ فكر الراحلون ببدائل أخرى ، وما أغلقوا بابًا ، إلا ليفتّحوا أبوابًا أخرى . وليس غريبًا أن نربط الشأن السياسي بالواقع اللغوي ، لأنّ (سيادة الأمم تبدأ بسيادة لغاتها وبمؤسّساتها التي ترقى بهذه اللّغات ، وما صارتِ الإنجليزيّةُ لغةً دوليّةً لقدسيّةٍ فيها ، بل لخطإٍ في التّاريخ العسكريّ في الحرب الكونيّة الأولى ، في اللّعبة الدّمويّة لهيمنة القوّة ، جعلها لغةَ الولايات المتّحدة ، بعد أن كانت الألمانيّة اللّغةَ الرسميّة السّيّدة) **[د إلياس عطا الله]** .

ولماذا نذهب بعيدًا وفي جوارنا (استطاعتِ الدّولة العبريّة أن تبنيَ أمّةً عبر لغةٍ كانت طقسيّة [دينية] ، بنَتْ لغتَها وجامعتَها قبل بناء دولتها ، ووعتْ أنّ تشكُّلَ الأمّة لا يتأتّى إلا في بوتقة الصّهر ؛ سنواتٌ قليلة ، وسبعون لغةً ولُغَيَّةً تذوب وتمّحي في العبريّة الجديدة ، باللّغة تصهينوا ، وباللّغة تهوّدوا وتسيّدوا ؛ والبداية بسيطة جدّا ؛ لغةُ التّدريس هي العبريّةُ ، من الحضانة حتى الجامعة ؛ [أمّا نحن . فيا ضيعتي . منفتحون على الآخر ، مبهورون بما عنده ، راضون بانتهاك مؤسساتنا] ؛ وفي المدرسة الواحدة . من مدارسنا . مساقاتُ تدريس تتسع لمصلحة لغات من يتهددنا بقوته وقوّة حلفائه ، والعربيّةُ تعاني منزوية مقصيّة ، حتى أنّ صفوة طلّبتنا ، بل صفوة الصّفوةِ ، يتعلّمون بالإنجليزيّة أو بغيرها ! ...

أرأيتم أسودًا هجرتْ زئيرها؟

أسمعتم عنادلَ صدحت بهديل الحمائم ؟) **[د إلياس عطا الله٦٠]** .

ف (ليست اللغة مجرد أداة تعبير عن الثقافة ، وإنما هي كذلك الوعاء الذي تنصبُّ فيه تلك الثقافة ، وتتأثر بأبعاده وتكوينه ، ولا تستطيع الأمة أن تكون لها شخصية مستقلة وكياناً متميزاً عن غيرها من الأمم ما لم تكن لها ثقافة متميزة تطبعها بطابعها) **[د علي القاسمي١٢٥]** .

ويَضعُ الدكتور المناوي المختصين بين اختيارين ، أمّا الضياع والانتهاء والاحتراق ، أو الثبات والاختراق وإعادة البناء ، في قوله : (إننا إن استطعنا أن نصل إلى درجة التعريب الكامل ، فسوف نخترق الثقافات الأجنبية السريعة التطوّر يوماً بعد يوم ، وإمّا إذا لم نستطع أن نبلغ هذه

الدرجة فإننا . لا مناص . سوف نحترق بتفوق الأجانب علينا علمياً ، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى تفوقهم الاقتصادي والعسكري والتكنولوجي بدرجة تجعلنا في عداد الدول المتخلفة ، بحيث إننا لن نستطيع اللحاق بهم بعد ذلك) **[د المناوي٥٩]** .

حتى أن المناوي نفسه يعدّ نهوض العرب علميّاً مسألة لغويّة ، ويرى أنّ التمزق الفكري العربي في جانب ، ومكانة الغرب في عقول المثقفين في الجانب الآخر ، وقد أضاعوا الثقة بالنفس وباللغة العربية ، وأنّ الثقة بالنفس ، هي من أهم عوامل الإبداع **[٥٩]** .

أمّا صلاحيّة اللغة فتظهر في دقة مفرداتها ومصطلحاتها ، في التعبير عن إبداع أهلها ، وفي انسجام أصواتها ، وخفّة نطقها ، واعتدال اشتقاقها ، وانتظام أوزانها **[الساسي ٤]** .

ولغتنا لغة الجمال ، مثلما هي لغة الدقة والإبانة ، لغة الإعجاز القرآني الكريم ، وقد حملت آخر الرسالات السماويّة ، وعبّرت عن مجتمعات بشريّة مختلفة ، وفي أزمان متباينة ، وحضارات عظيمة ، وعلوم تقنيّة وإنسانيّة واسعة ، وقد خدمها آلاف العلماء الأجلاّء ، بل انقطعت لأجلها أرقى العقول البشريّة من شتّى أمم هذه المعمورة وشعوبها ، منذ بزوغ عصر النهضة الإسلاميّة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وبمناسبة الحديث عن إمكانات لغتنا وإنجازاتها في شتى المجالات ، يقرّر علماء اللغة المحدثون أنْ ليس هناك لغة قاصرة ولغة مقتدرة ، وأنّ اللسان أيّ لسان يملك القدرة على التواصل والاستمرار والتعبير الذي يناسب كلّ عصر ، لكن إعادة الفعالية للغتنا العربيّة أو غيرها من اللغات هو قرار أهلها ، في تداول مصطلحات الحضارة بها في هذا العصر ، والقدرة على إحيائها علميّاً ، فالإنجاز العلمي والتداول اللغوي في أيّ لسان هما البذرة الأولى التي تفرض عالميّة المجتمع ولغته ، وتظهر أثر القوم في الإبداع والصناعة ، ذلك بامتلاك وسائل العصر وتوظيفها ، والتصرّف بها ، والصيانة لها ، والرعاية لما يناسبها ، والعمل المتواصل في خدمتها ، والفاصل هو الإنتاج النظري والتطبيقي في شتى المجالات للوصول والتأهّل إلى سُدّة العالميّة **[ينظر : الساسي ٢٣]**.

ولابُدّ من رفع هذا القصور ، واستحثاث الأجيال لأجل أن لا ترضى بأن تكون مستهلِكة ، ولا تابعة مُسَخّرة ، ولا تتخلّى عن لغتها ، ولا عن حضارتها ، لأنّ بإمكانها أن ترفع مقامها في

هذا العصر شأنها شأن الأمم الحيّة المحيطة بها ، بإرادتها وقدراتها ، فأبناؤنا ليسوا بأقلّ من غيرهم ، ولا بأدنى منهم .

(وما اللغة إلاّ قيمة جوهريّة من القيم التي يُبنى عليها المجتمع وينهض ويسود ، وصورة العربيّة ـ لغة القرآن ـ ما كان لها أن تحضى بهذا الفضل إلاّ لتوافرها على جملة من الخصائص ، منها المشتركة بينها وبين اللغات الإنسانية على الأرض ، ومنها ما تفردت بها عن غيرها ، وما كان لأحد بعد هذا أن يجد جواباً عدلاً لسؤال : لماذا أنزل الله القرآن الكريم عربي اللسان ؟ لخصائصه المميزة) **[الساسي ٤٣]** .

لكن يَشترطُ أن تستكمل هذه اللغة ما يسمونه بمستلزمات الصلاحية ، حتى تكون كاللغة التي ارتضوها بديلة للغتهم ، ومنها توافر المصادر المناسبة المستوفية للشروط العلمية ، والمصطلحات الدقيقة المتكاملة ... إلخ، ولن يتحقق ما يريدون إلاّ بعد أن يواصلوا استعمال اللغة العربيّة إلى جانب الأجنبيّة مزدوجة معها ، وبتدرّج لمصلحة اللغة الوطنية إلى أن يتوافر المطلوب ، ولن نظفر بما نريد ، من دون جهد كبير من أجيالنا المخلصين المجدّين ، من أهل الاختصاص العلمي ، وقبل الجهد النيّة الصادقة ، والعزم الأكيد ، وإلا فلن تتحقق تلك الشروط ، لا في الحاضر ولا في المستقبل .

والتفكير في جعل المختص يقتنع باستعمال لغته الأم ، في بناء الجمل السليمة ، وتداول المصطلحات العلمية الصحيحة ، واستعمال اللغة الوطنية ، ضرورة علميّة واجتماعيّة وثقافية وحياتية مباشرة .

لكنْ يصرّ جلّ المختصّين على التعليم والتعلّم باللغة الأجنبيّة ، ويريد المجتمع العلم بلغته ، فأطراف الصراع منقسمة على طرفين ، طرف التعلّم باللغة الوطنيّة ، والآخر باللغة الغربية ، والإصرار على أنّ المسألة مقصورة على التعليم ومستواه ، وأنّها محسومة عند الذين تعلّموا على الغربيين ، ولا التفات لمصلحة مجتمعهم وحاجاته ، ومن دون ملاحظة جميع جوانب هذه القضيّة وتفرّعاتها ، إذ يبقى تهاون بعض المختصين واضحاً ، في أنهم يتركون تيسير إيصال نتائج البحث العلمي إلى مجتمعهم ، ولا ينشرون منجزاتهم بلغتهم الوطنية ، فلا مؤلفات لهم بنصّ عربي سائغ يظهر إنجازاتهم العلميّة ، وإمكاناتهم البحثيّة لمجتمعهم ، ولا مصطلح عربي مستقر يصنعونه ، ولا صياغة لغوية علميّة عربيّة رصينة ، يلتفتون إليها تميّز شخصيّاتهم ، مثلما هو

موجود في التراث العربي ، وفي كلّ لغات العالم ، أي ربما تعلّم المتعلم بلغة أخرى ، لكنّ المنجز العلميّ الذي يفخر به بين أهله بلغته الأم ، يتداوله مجتمعه ويشعرون به ، ويفيدون منه مباشرة ، من دون حاجز لغوي مصطنع ، وحينها سيُشهد له أنّه فكّر في أهله ولأهله ، وأنه منهم ولهم ، وهذا هو المطلوب والمعروف عند الأمم الأخرى .

الشاهد والعبرة والأنموذج

ولو فتشنا عن نموذج غربي للانتقال من لغة علميّة عالمية سائدة في حينها ، إلى لغة وطنيّة محليّة ، لوجدنا ما يشبه ما نفكر فيه ، إذ ينقل الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان أنّ العرب كانوا أصحاب العلوم قبل النهضة الأوربية ، ونقلتْها عنهم أوربا كلّها ، فقد استعملوا اللغة العربية في جامعاتهم لتعليم العلوم ، وبقيت أوربا بأسرها عالة على العرب في تعلّم العلوم أكثر من سبعة قرون ، حتى جاء الألماني باراسيلرز الذي بدأ النهضة الطبية الغربية في القرن السادس عشر بحرق كتب ابن سينا أمام جمع حاشد في أحد ميادين مدينة بازل ، إضاءة لمشعل الحضارة الجديدة ، على الرغم مما تعرض له من الأذى ، فقد أصرّ على أن يعلّم بلغته الألمانية ثم حذا حذوه الأوربيون ، وكان أن بدأ بهذا عصر النهضة العلمية الأوربية بعد قليل ، وأصبح العلم أوربياً بعد أن كان عربيّاً **[محمد أحمد سليمان ص١٦٣]** .

واشتهرعند الألمان : أن (لا شهادةَ لضعيف في اللغة الألمانيّة) ، وقد أوقّف الإسبان في القرن الحادي والعشرين حفل تنصيب (ثاباتيرو) ، ليمنعوا متحدّثاً كاتولونيًّا ، كان قد تحدّث بلهجته الكاتولونيّة ، وهذا المنع يستند إلى الدستور الإسباني **[محمد أحمد سليمان ١٧١]** .

فهل من المبالغة أن ندعو إلى جعل العربية إلى جانب اللغة (العالميّة) ، بعد أكثر من قرن ونصف ، من التعليم باللغة الأجنبية ؟

ألم نكن من المعتدلين قياساً بباراسيلرز وغيره ؟

أ خطا هذا العالِم الرائد الخطوة الصحيحة ؟

أم تراه من المتعصبين المتطرفين ؟

نترك هذا لتقدير القارئ العزيز ...

لكنْ نذكِرُ بأن سلب المجتمع لغته هو مقدمة لإذلاله ، ومدخل لاستعباده .

وإن الإشكالية الكبيرة ليست في فرض الألفاظ أو المصطلحات الغربية ، ولا ما جاءت به حضارتهم المعاصرة ، بل يُراد لهذه اللغة أن تتزوي وتتخلف ، ليس ذاك حسب ، بل يُراد تسليم مستقبل أبناء أجيال العربية الكامل لزحف اللغات الأجنبية ، والرضوخ لمتطلبات حلفاء أعدائها ، واستسلامهم لهم ، ولاسيّما صفوة المشتغلين بالطب والهندسة والعلوم ... إلخ ، مندفعين ، أو متردّدين ، مقتنعين أو غير ممانعين ، المهم أن لا يكونوا مكترثين بتهديد مستقبل لغتهم ، ولا ملتفتين إلى تطور مجتمعهم ، التطور العلمي الحقيقي .

عوائق التعريب

يعجبُ المتابع حين لا يجدُ سلطة حقيقية ، توجب على المختصين وغيرهم استعمال مصطلحات لغتهم ، في الأقل إلى جانب المصطلحات العالمية ومعها ، وتمنع هذه السلطات من الاقتصار على استعمال المصطلحات الأجنبية ، بل لا نلحظ التزام هؤلاء باتخاذ المصطلحات التي أقرتها الجهات العلمية العربية ، (فلا نحن نفهم ما يقولون ، ولا هم يفهمون ما قالوا ، ولا نستطيع أن نقول : لهم فهمهم ، ولنا فهمنا ، فإنّ اللغة ليست ملكهم وحدهم ، حتى يعبثوا بها ، كيف شاؤا ، إنّما هي ملك الأمة ...) **[إدريس بن حسن العلوي]** .

وعن ناصر النعيمي : تبقى نقطة الضعف الوحيدة في هذا المجمع اللغوي . يقصد مجمع القاهرة . وغيره من المجامع العربية ، هي عدم وجود سلطة لفرض ما تقرره من مصطلحات ، فهي تخرجها وكأنما تخرجها لنفسها ، فلا توجد سلطة ملزمة للمؤسسات العلمية والتربوية ، لتستخدم المصطلح بمجرد صدوره ، وينقل النعيمي نفسه وصف الدكتور شاكر الفحَّام هذه الظاهرة : إنَّ المأساة الحقيقية في أمر المصطلح ، هي وجود المصطلحات التي قام بوضعها جهات علمية عديدة ، ولم يتح لها أن ترى النور . وينقل تعليق الدكتور حجازي على هذه الظاهرة أيضًا فقال : (لن يكون للمصطلحات العربية لفرع من فروع المعرفة قيمة ، إذا كان التعامل في ذلك التخصص لا يتم أساساً باللغة العربية ، وهذه هي الحال بالنسبة لأكثر الفروع العلمية) **[ناصر النعيمي ٣٠]** .

لهذا وغيره يمكن أن نحدد عوائق التعريب في نقاط :

١ ـ معارضة المختصّين من أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات ، ولاسيّما في التخصصات العلمية التطبيقية المختلفة ، ممن يصرّون على التدريس باللغات الأجنبية ، ويظنون أنّ التدريس باللغة العربية سيؤدي حتماً إلى تدنّي المستوى العلمي ، وإلى الضعف في مواكبة التطوّر العلمي العالمي ، وهذا ما يؤثر مباشرة على حركة التعريب والترجمة ، ويُحجّم من فرص انتشار الكتب المترجمة ، لإهمال تداولها بين المعنيين بها ، وتأثير ذلك على توزيعها والعجز حتى عن تغطية تكلفة طباعتها .

٢ ـ قلّة أعداد المتخصصين القادرين على ترجمة الكتب العلمية بالنوعيّة والرصانة والدقة المطلوبة ، وضعف متابعتها من حيث المراجعة أو النقد ، بل لا تأثير لها في القراء ، ولا في الأجواء العلمية المتوقعة ، لأنها ليست بالمستوى المطلوب ، ولا صادرة عن المتخصصين المعنيين ، فتكون الكتب العلمية المترجمة ، هي الأدنى شكلاً ، والأكثر أخطاء طباعية ولغوية ، وعند ذاك لا ترتقي إلى ما يجب من حيث الجدة ، والدقة ، والوضوح ، والعناية بما يناسب من الأشكال وغيرها .

٣ ـ عزوف المتخصصين من الأكاديميين عن اللغة العربية ضيّع على المجتمع فرصة الاطلاع الواسع على الجديد من العلوم ، ذلك لانغلاق أهل التخصص واقتصارهم على اللغة الأجنبية ، وغيابهم عن التخطيط لترجمة الكتب العلمية ، إذ لا يُعقل أن تترك ترجمة العلوم لغير المتخصصين مهما كانت قدراتهم اللغوية ، ذلك لأنّ الترجمة تتطلب اطلاعاً وممارسة للمترجم العلمي والتقني ، وبخلاف ذلك فسيصيب المُترجم ما يفسد النص العلمي ويضيّع الفائدة من ترجمته ، ويسري على ذلك الضعف اللغوي لهذا المترجم الذي سيفقد الدقة والوضوح بسبب من الركاكة في اللغة ، وضعف في الأسلوب ، (إذ لكلّ لغة قواعدها وأساليبها وأجوائها الخاصة بها ، إذ قد تُفسد الترجمة الحرفية بعض المفاهيم والأفكار العلمية) **[د داخل حسن جريو ٣١]** .

٤ ـ غياب الوعي بمكانة اللغة في تنمية المجتمع ، وأثرها المعرفي في التحديث التربوي والاجتماعي ، واستيعاب الجديد في هذا العصر .

٥ . ضعف النشر الألكتروني باللغة العربية ، وعدم تطور آليات البحث في النصوص العربية ، وقلة البرمجيات المتقدّمة لتحديث تعليم العربية ولاسيما ما يناسب العلوم التطبيقية .

٦ ـ تكرار بعض الجهود الألكترونية وغيرها لعدم التنسيق بين الدول العربية ، أو لأنّ بعض الإنجازات لا تنتقل بيسر إلى الجميع بالسرعة المناسبة **[د داخل حسن جريو ٣٠ ـ ٣٣]** .

كلّ هذا العوائق في أجواء عالميّة تسعى حثيثاً نحو التعجيل باكتساب المعرفة الإنسانية والتكنولوجية في مختلف حقول الحياة ، وسدّ الفجوات الفكرية بين الشعوب ، ومساعدة الدول النامية على تخطي حواجز التخلف ، في حين ينفصل الجزء المتخصص عن مجتمعنا ليلتحق بمجتمع آخر ، هو مجتمع اللغة التي يتعلّم بها ، فيتراجع تأثيره في مجتمعه الذي كان ينتظر منه الكثير .

لكن لا بد من التذكير بالجهود الإيجابية السابقة ، من المراحل الأولى لتجارب نقل العلوم إلى اللغة العربية قبل منتصف القرن الماضي ، ومنها ما يذكره يوهان فك ، في قوله : (إنشاء مكاتب للترجمة تقوم على تعريب عدد لا يحصى من المؤلفات الأوربيّة ، في شتى أنواع العلوم والفنون ، تيسيرًا لتناولها في العالم العربي ؛ كل ذلك عاد على اللغة العربية بآثار بعيدة المدى في التأثير) **[يوهان فك ٢٣١]** .

ولن يتحقق ما نأمل وما نريد إلاّ باحتذاء تجارب الروّاد ، وتقوية التعبير الوظيفي العلمي للغة العربية ، وزيادة رصيد الحفظ ، ممّا يخصُّ كلّ متخصص من مفردات في العلم الذي يتصدى له ، وكذلك المصطلحات والتراكيب ، وتيسير النصوص العربيّة لعلم ما يَدرُسُ ويُدرّسُ من علوم ، وتجاوز تأثير اللغات الأجنبيّة ، والتحرّر من هيمنتها على تفكير المتخصص ، التي تمنع هذا المتخصص من تداول لغته في التواصل والتعليم ، ولاسيّما في المرحلة الجامعيّة ، والدراسات العليا .

المبحث الثاني : تجارب رائدة في تعريب المصطلحات

لا نعني بالريادة مجرّد الإنجاز العلمي المنقطع عن المجتمع وحركته ، ولاسيّما من الذين ظلوا يتمسكون بلغة الغربيين في تداول العلوم ، ولا مجرّد اشتغال العالم العربي بميادين العلم والتكنولوجيا ، بل نخصّ العالِمَ الذي يلتزم الرؤية الشاملة ، ذلك الذي يسعى إلى الإصلاح والتغيير والتحديث ، وقد تكون حركة النقل إلى اللغة العربيّة مقدّمة لهذه الريادة أو ربما هي منها بوجه من الوجوه ، فالريادة هي التي تؤسس للجديد والأصيل ، والتي تصنع المسقبل الذي يوازي المنجزات الغربيّة الكبرى ، في مسيرتها التحرريّة التي تخلصت من أزمة العنف والعبوديّة في فرض السلطة السياسية ، والتي بنت الأنظمة الديمقراطيّة وأسست لتداول السلطة ، وحققت سيادة القانون والمنطق والعقل والعلم ، وبناء القاعدة العلميّة التكنولوجية ، لأنّ العلم صنو التحرر وسنده ، ولا حرّيّة حقيقيّة في مجتمع متخلف ولاسيّما في هذا العصر .

هذا ويُؤرخ لبَدءِ حركة نقل العلوم إلى المجتمع العربيّ بإرسال البعثات العلمية ، وأوّلها البعثة المصريّة إلى أوربا عام ١٨١٣م في عهد محمد علي **[الزركان ٢٤]** ، ثم تطوّر هذا النقل ولاسيما في الطب ، وذلك باستقدام الأطباء الإفرنج للتدريس في مصر ، فقد استدعى محمد علي نفسه في عام ١٨٢٥م الطبيب الفرنسي (أنطوان بارتملي كلوت) ليكون رئيساً لجراحي الجيش المصري ، ثمّ مؤسساً لمدرسة الطب عام ١٨٢٧م ، وقد تغلب على صعوبة اللغة بالاستعانة بمترجمين يتوسطون بين الطلبة والتدريسيين ، ثم تُرجمت الكتب الطبّيّة وأوّلها : (القول الصريح في علم التشريح) ، وهو كتاب (بايل Bayle) الذي به زيادات لـ (كلوت) ، الذي طبع عام ١٨٣٢م ، ثم ألّف (كلوت) نفسه نحو عشرة كتب ورسائل في موضوعات طبّيّة مختلفة نقلت إلى العربيّة وطبعت بين سنة ١٨٣٤م و١٨٤٤م ، ترجمت من غير الأطبّاء ، وهكذا ظهر أثر المترجمين بنقل الكتب الطبّيّة المهمة إلى العربية ، بتنقيح اللغويين المختصين باللغة العربيّة ، واضطرار المعنيين إلى النظر في كتب الطب العربية القديمة ، وحاجتهم إلى المعجمات ، وربما إلى وسائل الاشتقاق التي تتيحها اللغة العربية ... إلخ ، فكان التفكير في ترجمة هذه الكتب بوادر التتأسيس لظهور المصطلحات العلميّة الحديثة **[الزركان ٢٦ ـ ٢٨]**.

ثم أصبحت للطب في خمس سنين معجم مفردات زادت على ستة آلاف كلمة ، ويبرز أثر (الدكتور بِرون Dr Peron) الذي كان يجيد اللغة العربية ، ومن كتبه : الأزهار البديعة في علم الطبيعة ١٢٥٤هـ ، والجواهر السنيّة في الأعمال الكيمياوية ١٢٦٠هـ ، وفي هذين الكتابين

اختيار لمصطلحات علمية ، أبرزت في ملاحق خارج النص أيضاً ، وهذا كان من نهج رفاعة الطهطاوي (ت١٨٧٣م) رائد الترجمة في مصر ، الذي كان يشرح الألفاظ والمصطلحات الغريبة ، ثم يتبع ما يترجمه بملحق لما يؤلف من كتبه ، وكذلك غيره من المترجمين **[الزركان ٢٨ ـ ٢٩]**.

وعاضد حركة الترجمة والتأليف إنشاء مدرسة الألسن التي تخرّج فيها المترجمون ، وكان أستاذها المبرّز رفاعة الطهطاوي نفسه ، وقد ترجمت هذه المدرسة أكثر من ألفي كتاب ، متفاوتة المستوى في الترجمة بحسب مستوى المترجم وقدراته ، وقد امتد أثرها في المجالات العلميّة المتعددة لحركة النهضة ، والمعروف عن الطهطاوي الترجمة في مناحي علميّة متعددة ، فسار تلامذته على هذه الطريقة ، إلى أن اتجهت لاحقاً نحو التخصص ، لأنّ الترجمة شيء والمصطلحات العلميّة شيء آخر ، ووضع المصطلح الجديد أمر في غاية التعقيد والصعوبة ، يحوج المتصدّي إلى امتلاك الأدوات اللغويّة الصحيحة والدقيقة ، والفهم العلمي التخصصي لما يراد الاصطلاح له **[الزركان ٥٢ ـ ٥٣]** .

وكان من المترجمين الرواد رئيس الأطباء الجراح إبراهيم النبراوي (ت١٨٦٢م) المدرس في مدرسة الطب ، الذي ترجم عن الفرنسيّة (الأربطة الجراحية) سنة ١٢٥٤هـ ، وترجم ما ألّفه (أنطوان بارتملي كلوت) : (نبذة في الفلسفة الطبيعية) و (نبذة في أصول الطبيعة والتشريح العام) ، ومنهم أحمد حسن الرشيدي (ت١٨٦٥م) ، الذي يعدّ ركناً من النهضة العلمية الطبيّة في الترجمة والتأليف ، ومن مترجماته : (ضياء النيّرين في مداواة العينين) عام ١٨٤٠م عن الإنكليزية ، و(طالع السعادة والإقبال في علم الولادة) عن الفرنسية ، و(رسالة في التطعيم ضد الجدري) ترجمة كتاب لـ (أنطوان بارتملي كلوت) ، والموسوعة الطبيّة : (عمدة المحتاج لعلمي الأدوية والعلاج) ، وغيرها **[الزركان ٣٢ ـ ٣٣]** .

ومن تلاميذ البعثة الطبية المصريّة الأولى ، التي بعثها محمد علي إلى فرنسا الأستاذ في مدرسة الطب أستاذ الجراحة محمد علي البقلي ، الذي أصدر (اليعسوب) أول مجلة طبّيّة عام ١٨٦٥م ، وله من المؤلفات الطبية التي أهمها : (روضة النجاح في العمليات الجراحية الصغرى) عام ١٨٤٣م ، و(غرر النجاح في أعمال الجراح) عام ١٨٤٦م ، وغاية الفلاح في فن الجراح عام ١٨٦٤م **[الزركان ٣٣ ـ ٣٤]** .

ومن تلاميذ البعثة الطبية المصريّة الأولى والأستاذ في مدرسة الطب أيضاً أستاذ الأمراض الباطنية الطبيب محمد الشافعي (ت١٨٧٧م) ، الذي ساعد مؤسس مدرسة الطب (أنطوان بارتملي كلوت) في الترجمة والتأليف ، ومن مؤلفاته : (أحسن الأغراض في التشخيص ومعالجة الأمراض) عام ١٨٤٣م ، و(الدرّ الغوّال في معالجة أمراض الأطفال) ترجمه لكلوت عام ١٨٤٤م ، و(كنوز الصحة ويواقيت المنحة) ترجمه لكلوت أيضاً عام ١٨٤٤م ، و(السراج الوهاج في التشخيص والعلاج) وهو كالموسوعات في الطب عام ١٨٦٤م **[الزركان٣٤ ـ ٣٥]** .

ومن تلاميذ البعثة الطبية المصريّة الأولى أيضاً الطبيب محمد الشباسي (ت١٨٩٤م) معلم التشريح والتحضير في مدرسة الطب ، الذي ترجم لكلوت : (التنقيح الوحيد في التشريح الخاص الجديد) عام ١٨٤٥م ، والتنوير في قواعد التحضير) عام ١٨٤٨م **[الزركان ٣٥]** .

ومن تلاميذ البعثة الطبية المصريّة الأولى كذلك حسن غانم الرشيدي (ت١٨٦٠م) الذي له مؤلفات طبية .

وجاء بعد هؤلاء ممن لم يكن من بعثة محمد علي إلى فرنسا محمد عبد الفتاح الذي له كتاب (نزهة المحافل في معرفة المفاصل) ترجمة كتاب المعلم (ريجو) وغيره ، ومنهم أيضاً علي هيبة الذي ترجم كتاب (إسعاف المرضى في علم منافع الأعضا) عن اللغة الإيطالية ، عام ١٢٥٢هـ **[الزركان ٣٥ ـ ٣٦]** .

وتتابعت الجهود الواسعة في الترجمة والتأليف في المرحلة الثانية من مراحل النهضة في هذا العصر ، بالتواصل مع ما أسس وما يتطوّر ويتنامى في أوربا ، بعد أن زرعت بذرة التفاعل والتأسيس الصحيح باجتهاد الروّاد الذين سعوا في جعل العلوم باللغة العربيّة ، نصوصاً ومصطلحات وتداول وتطبيق ، ويلحظ في هذه المرحلة كثرة التأليف وقلّة الترجمات ، وظهور جيل جديد من تلامذة الجيل الأوّل ، رسّخ ما ابتناه الجيل الأول من مصطلحات عربيّة أو معرّبة أو مقترضة ، وتطوير ما استحق التطوير أو التغيير ، وقد تركزت جهودهم وجهود من سبقهم على إحياء مصطلح الطب العربي الإسلامي إن كان مناسباً ، أو وضع ما يقابل المصطلح العصري من العربيّة لما لم يجدوه من مصطلح في التراث ، أو جعل المصطلح الأجنبي مناسباً للعربيّة بتعريبه ، وعبرت هذه الجهود عن قدرة الرواد وحرصهم على العربية بإظهار إمكانية

استيعاب هذه اللغة للمصطلحات العلمية الجديدة وغناها وثروتها اللفظية ومرونتها في تقبل الجديد وصياغته بما يناسبها **[الزركان ٣٦ ـ ٤٠]** .

ويُلحظ أنّ نقل العلوم الحديثة أحوج المشتغلين بها إلى أهميّة اللغة العربية ، وأحوج كذلك أهل اللغة إلى معرفة اللغات الأخرى ، لأن حركة التأليف الجديدة للعلوم أوجبت التمكن من اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها ، فكان على المتخصص الاطلاع الكافي على قواعد اللغة وأسرارها وأسس أبنيتها وتراكيبها ، وعلى المدقق اللغوي الذي يتصدّى لمعاونة المتخصص في إصدار مؤلفه معرفة اللغة الأجنبيّة وفهم مصطلحاتها ودلالات مفرداتها وتراكيبها ، ومعرفة مظانها ومراجعها ، من كتب تخصص ، ومعجمات عامة وخاصة **[الزركان ٤٤]** .

(فكانوا إذا فرغ المترجِم من نقل كتاب في الطب أو غيره ، دفعوه إلى المحرر فيقرؤه . والغالب أنْ يفعلَ ذلك المترجم أو المؤلف إذا كان موجوداً . وكثيراً ما كان يتولى ذلك أحمد حسن الرشيدي ، أو (الدكتور برون Dr Peron) ...[لتمكنه من] العربية فضلاً عن اللغات الأخرى . وقد يفعل ذلك رفاعة الطهطاوي أو بعض تلاميذ مدرسة الألسن) **[الزركان ٤٤]** .

(والواقع أنّ هؤلاء الذين قاموا بمراجعة الكتب المترجمة في ذلك العصر ، يقومون بالعملين معاً بل كان لهم جهد مشكور في إحياء المصطلحات العربية القديمة ، ومحاولة التوفيق بينها وبين المصطلحات الأوربية الحديثة بعد مراجعة كتب العرب في الطب والهندسة والرياضيات) **[الزركان ٤٤]**.

وأثرُ المحرّرين والمراجعين واضح في مؤلفات هذه المرحلة ، ولاسيّما في المقدّمات والعنوانات ، كاصطناع الأسجاع وخلط أسلوب العلم بالأساليب الأدبيّة الضعيفة ، وربما كان ذلك من محاولتهم مجاراة ما في الكتب التراثيّة ، ومن هذا النمط مقدمة محمد بن عمر التونسي (ت١٨٥٧م) لكتاب (الدكتور برونDr Peron) : (الجواهر السنيّة في الأعمال الكيمياويّة) : في قوله : (يا من تتصاعد إليه الأرواح وتتسامى ، وتذوب الأجسام من هيبة جلاله وعلى باب عفوه تترامى ، تنزهت ذاتك العليّة عن التركيب والتحليل ، لا إله إلاّ أنت خلقت لنا ما في الأرض من المعادن والنباتات والحيوانات ، وألهمتنا معرفة العناصر والبسائط والمركبات ... ونشهد أنّ سيدنا ومولانا محمداً قد مثلتَ قلبه الشريف بزجاجة فيها مصباح ، وجذبتَ بمغناطيس أنواره الأرواح ... وآله وأصحابه الذين هم كشواظ من نار من نحاس على الكافرين ما رشحت أنابيق الغمام

فنزلت دموعها قطرات ، وسار تيار المياه الوهاد فأصبحت الأرض مخضرة بأصناف النبات ، ولمعت قطع البرَد على البسيطة كالبلورات المنشوريّة والمربعات ، وتولدت الحوامض والأكاسيد والأملاح من المعادن والنبات) **[الزركان ٤٥ ـ٤٦]** .

والواقع أنّ نتاج هذه المرحلة على الرغم من هذا الخلط بين الأدب والعلم ، اتسمت عامة بالضبط والرصانة العلمية والوضوح ، بشهادة أهل الاختصاص ، وقد اتخذت الجامعة السورية أكثر المصطلحات الطبية الواردة في تلك الكتب ، فكانت لهذه المصطلحات السبق والريادة ، وإدخال اللغة العربية إلى عالم الحداثة والتطور والتجديد ، وكانت تلك نواة لا يمكن تجاهلها ، ومرتكز ومرجع لجميع من جاء من بعدها **[الزركان ٤٥ ـ٤٦]** .

(ولمّا احتلّ الإنكليز مصر ١٨٨٢م كانت لغة التعليم هي اللغة العربية في كل المدارس العالية كالطب والهندسة وغيرهما ... وقد توقف بعد الاحتلال الإنكليزي بسنوات قليلة ، ففي ١٨٩٨م ، جُعِل التعليم باللغة الإنكليزية .. وأقصيت اللغة العربية عن ميدانها العلمي ... بعد قرابة السبعين عاماً) **[الزركان ٥٦ ـ ٥٧]** .

تجربة الطبيب الأستاذ الدكتور هيثم الخياط

الذي يضع قضيّة التعريب في إطار الصراع الحضاري الخفيّ ، الذي يكون طرفاه أبناء الأمة الواحدة ، الأول المتسلح بـ ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس ﴾ ، والآخر المهزوم المنطلق من التسليم للأجنبي الطيّع له والخادم لحضارته [الخياط ص٨٣] ، وأنّ خيوط التعريب عنده (تنسج منها حياتنا تحت ظلام دامس ، قد أطلقه المستعمر ليخفي عنّا مكره بنا وخداعه لنا ، فإذا تمّ نسيج هذه الحياة لبسناها كأنّها حياة نابعة من سرّ أنفسنا ، وبذلك يتمكن أن يقودنا كالأنعام ، ونحن نحسب أننا إنما نقود أنفسنا ... والاستعمار يطلق سهاماً مختلفة ... فهو يسلك أسلوب مصارعة الثيران : يشغل بال الثور بقضيّة جانبية يركز عليها هجومه ، كمثل البُردة الحمراء التي يحملها مصارع الثور بيده ليلهي الثور بها فيصرفه عن نفسه ، وبذلك يغفل عن قضيته الأساسية ويستقتل في المعركة الجانبية التي تستنفذ قواه . ولعل أوضح مثال على هذا الأسلوب ، ما اتبعه الاستعمار في موضوع لغة التعليم ... يوهمهم أنّ مستوى التعليم ينخفض إذا كان التعليم باللغة الوطنية ... فأمّا أولئك الذين ... يتلقفون هذه المكيدة ... ويكافحون في سبيلها ، وجلّ هؤلاء من

المخلصين الذين أخذوا من غفلتهم وهم يظنون أنهم يخوضون معركتهم الحقيقية ... فالقضية إذن ليست قضية لغة التعليم ، وإنّما هي قضية محتوى التعليم ...) **[الخياط ص٧٤]** .

ويرى أنّ استعمال اللغة الأجنبية في التفكير والتعبير لا يمكن أن يؤدّي إلى قوّة الإبداع والاختراع ، ويمثّل لذلك بصنيع اليابانيين وإرسالهم البعثات إلى أوربا لتنقل العلم إلى لغة اليابانيين ، فماذا كانت النتيجة ؟ فلا حاجة إلى الإجابة عمّا تحقق . ويوازن ذلك بمصر التي كانت مؤهلة لمثل ما تحقق في اليابان لولا وأد الاستعمار الذي حوّل التعليم من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية بعد جهود سبعين عاما من التعريب **[الخياط ص٧٩ . ٨٠]** .

ويجعل مهمة التعريب هي مهمة النهوض الحضاري ، وهي البعد الخامس لحضارة الأمة بعد الأبعاد المكانية ، وبعد البعد الرابع الذي هو الزمان ، (ذلك البعد الغيبي الذي حوّل الأمة الأمّيّة إلى أمّة الكتاب والحكمة ... ومن ثَمّ كانت هذه الحضارة العالمية العظيمة التي أخرجت الناس جميعاً من ضيق الدنيا إلى سعتها ، وكانت اللغة العربية دائماً قوام هذه الحضارة وأداتها في فهم هذه المهمة ... والذين يظنون أنّ مهمتهم هذه قد انتهت يستطيعون أن يحيلوا أنفسهم على التقاعد .. ولكن على أن يكفوا عن التحدث باسم هذه الأمة ، لأنّ تولّيهم عن مهمة القيادة سرعان ما يتلوه الاستبدال : ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد– من الاية ٣٨] ... وما الذي فعله باراسيلرز حين بدأ النهضة الطبية الغربية في القرن السادس عشر ؟ ! ألم يأت بكتبكم كتب ابن سينا فيحرقها أمام جمع حاشد في مدينة بازل محرقاً معها كلّ صلة بحضارتكم ، ومضيئاً مشعل الحضارة الجديدة التي تتحداكم ، والتي تتمثّل في أرضكم ، بالجامعة التي يعلّم فيها بالعبريّة أساتذة الطب العالمي الإنكليزي والفرنسي والألماني والروسي ؟) **[الخياط ص٧٥]** .

الأمر الطبيعي عند الدكتور الخياط أن يتعلّم الإنسان العلوم بلغته ، لغة الأمّة التي هي ضمانة لحسن الاستيعاب ، وكذلك حسن الإبداع ، واستعمال اللغة الأجنبية في التفكير لا يؤدي إلى قوة الاختراع ، واستيعاب الحضارة وأسسها والمنطلقات العلمية بلغة المجتمع وبارتقاء المجتمع نفسه إلى ما يناسب هذه الانطلاقة ، وخلق مستلزمات البحث العلمي ، التي ستستغني مستقبلا عن مجرّد التسليم والاستيراد والتبعيّة ، ويقول : (رأيت أستاذاً يستعمل لغة لا يعرفها لينقل العلم الطبّي إلى طالب لا يعرف أيضاً هذه اللغة !) **[الخياط ص٨٦]** .

فكم من المحتوى الطبي سيضيع بين الذين يرطنون بلغة غير لغتهم ، سواء أكانوا من الأساتذة أم من الطلبة ، وما مستوى تعاملهم بهذه اللغة الأجنبيّة ، وأكثرهم لم يمارس هذه اللغة في مواطنها ، وكم من الأطباء سيتابع مجلة أجنبية بعد التخرج ؟ يجيب ليس أكثر من ٥% في أحسن الظروف ، فأي تواصل هذا وأيّ متابعة هذه ؟ **[الخياط ص٨٦]** .

ثمّ يقول : (لقد عُلّمَتْ العلوم في السنة الإعدادية للطب باللغة العربية سنة واحدة في كليّة العلوم بالجامعة الأردنية ، فانخفض عدد الراسبين من خمسة وثلاثين بالمئة إلى ثلاثة بالمئة ، وارتفعت معدّلات الناجحين ... فعادوا بالتعليم إلى الإنكليزية لأنّ كثرة عدد الناجحين دليل على سوء الفهم وسوء التعليم ؟ !) **[الخياط ص٨٧]** .

و(ديمقراطية العلم نتيجة حتميّة لاستخدام اللغة الوطنيّة ، وإصرار الجامعيين استخدام لغة خاصة بهم لا يفهمها غيرهم تعبير نفسي عن الشعور بالتميّز وإشعار الآخرين به ، وهو يعني الترفع عن المجتمعات التي ينتمون) **[الخياط ص٨٧]** .

وهذه اللغة الأجنبية ستزيد إلى مشكلة الفصيحة والعاميات مشكلة أخرى في الحوار والتفاهم وحاجزاً بين المتعلمين المتخصصين وجمهور الناس ، (ثمّ إننا ننادي اليوم في جميع أرجاء العالم بشعار . العلم للجميع . ... فكيف سنعلم المجتمع الثقافة الصحية والطبيّة ؟) **[الخياط ص٨٧]** .

(وسيبقى العلم للجامعيين تسلية ومتعة شخصية إذا لم يستهدف خدمة المواطنين ! والتزام قواعد الصحة لا يمكن أن يتم بالتخويف من لغة المرض ، ولا يمكن لأيّة حملة من حملات المكافحة أن تنجح إلاّ إذا شارك بها وتحمس لها أولئك الذين نعمل لخلاصهم من المرض والتخلف ...) **[الخياط ص٨٨]**.

تجربة الدكتور راجي عباس التكريتي

الذي يقول : (إنّ وطن العلم هو اللغة التي يكتب بها ، و لا يمكن أن ندّعي لعلم كتبه أبناء العروبة إذا لم يكتب بالعربية ... [و] جميع مدارس التمريض والمعاهد الطبية ، ومدارس العناصر الوسطية تدرّس باللغة العربية وهذا من الأسباب التي تخلق فجوة كبيرة بين الأطباء ومعاونيهم ... وتفاوتاً كبيرًا بين إدراك الطبيب وتفهم المرضى ... ولا أكثر إيلامًا للنفس وأنا أحضر ندوات ومحاضرات مؤتمرات اتحاد الأطباء العرب لأجد صعوبة التفاهم ومتابعة الحضور

من أطباء المشرق العربي الذين تعلموا باللغة الإنجليزية مع أطباء المغرب العربي الذين تعلموا باللغة الفرنسية ، الأمر الذي يستوجب ترجمة الإنجليزي إلى الفرنسي أو من الفرنسي إلى العربي ، وتبقى العربية مزاحة جانبً على هامش الندوات ... ومن المنطق العلمي أن تكون الأحاديث والمناقشات والكتابات بلغة يفهمها الجميع ، وهي اللغة المشتركة لغة القرآن الكريم) **[راجي التكريتي ٤٠ . ٤١]** .

و(التعريب يزيل عقدة وعقبة كأداء ومعضلة متحكمة بين المخزون المعرفي واللغة العربية ... والتدريس بالعربية يحقق التوازن ... [لأن] وطن العلم اللغة التي يكتب بها ... اليابان اعتمدت لغتها في العلوم كافة ، بما في ذلك الطب وما حققته في الفترة [كذا] نفسها طفرات متلاحقة تعد معجزات علمية وكذا الصين والهند ويوغسلافيا وفنلندا ... إلخ) **[راجي التكريتي ٤٠]**.

وعنده أن النهضة العربية بدأت بنقل العلوم : علوم الطب والفلك والفلسفة والرياضيات والهندسة والكيمياء إلى اللغة العربية من السريانية واليونانية والفارسية والهندية ... ومن ثمّ ورّثت هذه العلوم لمن جاء بعدها ، إذإنّ النهضة الأوربية اعتمدت الكتب العربية أساسًا وقاعدة **[راجي التكريتي ٤٢]**.

(وقد أثبتت جميع الدراسات في مشارق الأرض ومغاربها بأن الطالب الذي يدرس بلغته الأصلية أكثر استيعابًا وتفهمًا من أولئك الذين يدرسون بلغة أخرى مهما كان ذلك الشخص متمكناً من تلك اللغة الأجنبية ... إنّ التعريب يقضي على الفجوات الواسعة في الفهم والإدراك والاستيعاب ... [وأنّ] أكبر نسبة رسوب في كليات الطب في المرحلة الأولى ، للتغيير المفاجئ بتعليم العلوم باللغة الإنكليزية ... ممّا يسبب صعوبة الاستيعاب والتعبير والكتابة والمناقشة ... فما أحسن أن يكون الأستاذ عربيًّا ، يتحدّث العربيّة ، والطالب عربي يتعلم بالعربية ، والمريض عربي لا حاجة للترجمة والتواصل بالواسطة ، فالأمور مفهومة واضحة والتعابير بسيطة سهلة ... بدل أن تكون بمستويات مختلفة ، لغة المريض ، ولغة الممرضين والمساعدين ، ولغة الطلبة التي هي أدنى ، وإن كانت باللغة الأجنبية واللغة الأعلى لغة الأستاذ) **[راجي التكريتي ٤٠ . ٤١]**.

ويقول : (يجب أن لايُطلب من طلبة الطب أن يتبحروا بعلوم اللغة والنحو والصرف ممّا يكرههم ، ويجعلهم يعزفون ويصدّو ن عن التواصل بالعربية ...) **[راجي التكريتي]** .

ويستشهد الدكتور راجي التكريتي بنجاح تجربة الدكتورة سرى فائز سبع الاختصاصيّة في طب وجراحة العيون ، التي درست الطب باللغة العربية والمتخرّجة في كلّية طب دمشق ، ومن ثمّ دبلوم الاختصاص من إنجلترا ، وزمالة كلّيّة الجراحين الملكية بطب وجراحة العيون ، لتمارس الطب العيون في بغداد وعمان ، وتنشر بحوثها باللغتين العربية أو الإنجليزية ، تقول في مقال نشرته في المجلة الطبية العراقية : (لقد كانت دراسة الطب باللغة العربية بالنسبة لنا متعة كبرى ... إذ لم يكن هناك حجاب لغوي يعرقل فهم العلوم الطبية ... لقد كانت الدروس السريرية كالنظرية بل أحلى ؛ القصة السريرية تؤخذ من المريض رأسًا ولا حاجة لترجمتها للغة الأخرى ، لأنّ المريض عربي والطبيب عربي وأستاذ الطب عربي ... [وفي تعلمها بالإنجليزية تقول :] أنا لم أجد الأمر مستحيلا أو بالغ الصعوبة حيث خضت ميدان التخصصمن جديد باللغة الإنجليزية ، بعض الجهد الإضافي للإلمام بالمصطلحات الجديدة) **[راجي التكريتي ٣٣]**.

تجربة مدير مكتب تنسيق التعريب في الرباط

وهذا مختصر كلمة مدير المكتب الدكتور أحمد شحلان في تقويم جهود الأطباء وأهل التعريب : رجال شغفهم البحث وأهمهم التدبير في الأبدان واللسان . ويستمد هذا الجمع المبارك أصوله وجذوره من تاريخ عريق شهدته هذه المدنية وردّدت أرجاؤها كلمات ابن زهر وابن طفيل وابن رشد ، وهم جميعا أبرؤا سقم البدن والعقل ، واعتنوا بالإنسان في روحه وجسمه وإحساسه وشعوره ، وهذه جميعا تكون أسس علم المعالجة والتدبير ، وهي أيضاً رمز لما بلغه هذا العلم في حضارتنا العربية الإسلامية .

ولعل من أبرز أسباب نجاح تدبير الصحة عند المسلمين ، أنهم لم يُفصِلوا في المعالجة ، بين الجسم ومكوناته وعناصره ، وبين قلق الروح وسلامتها ، وهمّ النفس وانشراح الصدر ، و كانت هذه المزية برهانًا صادقاً على أن التطبيب لم يكن علما بحتا بقدر ما كان فنا وصناعة ومهارة . ويعني ذلك أن أطباء المسلمين كانوا يربطون دوما أسرار العلاج وآثار المكان ، وفعل الزمان ومؤثرات الحضارة ، ومن ثمّ فإنهم اكتشفوا من بين ما اكتشفوا ، أن الإنسان سليم بحكم التكوين وإبداع الخالق واتقان الصنع ، وإنّ لكل مرض علاقة بموطن صاحبه ، وأسبابا نابعة من بيئته وطرق عيشه ، فبرعوا في طرق استكشاف الداء ، وبرعوا أيضاً في كيفية وضع الدواء واختيار الأهوية والفصول والأزمنة لاستعمال هذا الدواء . وكان قول المريض ولغته مدخلا للعلاج ، كما كان لهم فن في القول منه ينفذون إلى أعماق المريض فيهبونه الثقة والشجاعة

والاطمئنان قبل أن يهبوه الأدوية والعلاج ، ومن هنا كانت لغة الطب في العربية أغنى من غيرها ، وكان الأطباء في العربية أيامها ، أقدر الناس على إخضاع المصطلح الاغريقي أو السرياني لقواعد الصياغة والاستعمال العربيين .

وبفضل هذه النظرة التكاملية التي جعلت من هؤلاء الأعلام أطباء ولغويين وفلاسفة ونفسانيين ، أبدع المسلمون في صناعة الطب ، واكتشفوا فيه مكتشفات ، وإن نسبها إلى نفسه من جاء بعدهم بقرون ، فسلم الناس له بذلك جهلاً ، أو جحوداً أو هما معاً .

وإن الدقة في الربط بين نظام الكون الكبير وانفعال الإنسان به ، وهو الكون الصغير ، كلها أسباب في كثرة التأليف في الطب العربي ، وصفاً وتحليلاً ومعالجة ، وكثرة التأليف في الأدوية ، مركبات كيمائية أو نباتية أو بدائل في كل الأصناف ، بلغة عربية تداولتها أوربا قبل عصر النهضة ، وتناولتها أوربا بعد عصر النهضة لاتينية ، وظل سلطانها قويًا فعّالا مؤثرًا حتى القرن الثامن عشر كما هو . وما زال نفس من أنفاسه ، عبقا في طبنا الحديث على الرغم مما وصلته صناعة الطب اليوم ... ولولا ذلك العقل النفاذ الذي سبر غور أحوال الزمان ومؤثراته ، وسبر غور النفس الإنسانية وتقلباتها ، وربط بين الأسباب ومسبباتها ، وتمثل كل ذلك في ما يحول إليه جسم الإنسان ، لظل علم الطب فلسفة محضًا ، يعالج الأفكار لا معادن الأفكار ، ويتحدث عن الإنسان المثل لا الإنسان القابل للاعتلال . ولهذا الغنى في حسن التصور وبعد التقدير ، نال تاريخ الطب العربي الإسلامي في الكتابات الغربية نصيب الأسد ، وكان لنظرياته أثر كبير في صوغ بناء هرم الصناعة العلاجية ، ومن ثم فإن كثيراً من سدنة طب اليوم ، هم عرب من الشرق والمغارب ، ساروا على طريقة أجدادهم ، فاكتشفوا النظريات ، وبرعوا فيما يجري في المخابر ، وحسنوا سبل الفصد والجراحة والتشريح ، وعدلوا في طرق التصويب والتقويم ، وباختصار ، فهم زينة الصناعة ، سواء في أوطانهم أو خارج أوطانهم . وكثير منهم صار علما فردا ، في ديار أوربا والأمريكتين ، وكثير منهم أصبحت مؤلفاته عمدة في كليات الطب ومكتباته المتخصصة ، وهذا دليل على أن الطب العربي ، لا يمكن بحال من الأحوال أن يصنف في مرتبة دون مرتبات سادة الطب اليوم ، بخلاف بسيط ، أن سادة علم الطب في الغرب أبدعوا الصناعة علما ولغة ، وجل علمائنا أبدعوها علما لا لغة ، ولذلك ظل وهجهم نوراً يشوبه دخيل ، وقد يضيع ذلك الوهج برغم سطاعته ونصاعته وخصوصياته ، في ضياء يشرق علينا من الغرب ، فتعد كل شمس غربية ، وإن كان أصلها شرقا وعطاؤها مشرقا . وهنا قد نثير بديهة هي أقرب إلينا من حبل

الوريد ، وإن كنا نتغافل عنها ، تلك أن اللغة لا تصنع الإبداع ، وإن كانت تعين عليه ، ولكن الإبداع هو الذي يصنع اللغة ويروج لها ، ويعطيها أبعادها العالمية والإنسانية . إذاً ليس من الغريب أن يكون لدينا اليوم فطاحل في علم الطب ، ولكن ليس من الغريب أيضاً أن لا يكون لهم عند غير المشتغلين بالصناعة ، ما يستحقون من الذكر الحسن . وظلوا عند العامة من أممهم نكرات وهم أعلام . وظلت فصول الطب العربي الحديث شاحبة المداد وإن كانت أصيلة في الإبداع وقوية في الفعل ، مفيدة في صيرورة الحضارة المعاصرة . إن الفصول الزاهية التي خط بها تاريخ طبنا العربي الإسلامي ، وغنى لغته وسهولتها وقابليتها لتتمثل ما تحتاجه من مصطلحات أجنبية ، دون أدنى حرج ، وإن براعة أطباء اليوم وفعاليتهم في ميدان الصناعة على الصعيد العالمي ، وإن حبنا لتاريخنا العلمي ، و المصير الطبيعي الذي يفرض علينا أن نتفاعل مع لغتنا العربية التي هي جزء من كياننا ، وإن معاناة المشتغلين في صناعة الطب ، تدريسًا وعلاجًا وتفكيراً في الوطن العربي ، وهم يتعاملون مع طلابهم أو مرضاهم بلغات لا بلغة ، كل ذلك دعا مجموعة من المشتغلين في الطب ، والمشتغلين في اللغة والمشتغلين بهما معاً ، سواء في المغرب أو في أقطارنا العربية الأخرى ، إلى العمل من أجل وضع أدوات لغوية متكاملة وشاملة ومفيدة ، قصد العود باللغة العربية إلى غناها الأصيل في علم الطب . وقد عزمت ثلة من علماء الطب واللغة في المغرب على أن يكون لهم إسامهم المتميز في هذا الباب ، فعكفت على صياغة معجم مصور للعلوم الطبية يعالج منظوماتها الكبرى ، ويعرض لمجمل الأنساق التي تمس مجمل ميادين الطب في فروعه العشرة التي هي أسس علم الطب الحديث . ويشتمل هذا العمل المصور كليا بالصور الملونة، وبالحجم المناسب ، على عشرة أجزاء ، تتضمن ما يقارب مائة ألف مصطلح ، عربي وفرنسي وانجليزي . وقد ارتأى العاملون في وضع هذا المعجم أن قوامه لا يمكن أن يستقيم ، وأن عوده لا يمكن أن يشتد ، إلا بمؤازرة ومباركة كبار علم الطب واللغة في الوطن العربي ، رغبة في الاستفادة من التجربة ، والتيقن بالعلم ، والنصح بالمشورة ، وإيمانا بأن يد الله مع الجماعة ، وشعورا بأن أمر التعريب في علم الطب أو غيره ، هو أمر لا بد أن يجتمع عليه القول ، وأن تتآزر فيه الجهود . إذ الأمل في بلوغ الوحدة الفكرية واللغوية هو أمل في وحدة المصير وعزة القوة والتمكن في العلم وما يرعاه العلم . ولكي نحقق هذا الهدف ، ارتأينا أنه لا بُدّ من النظر في أمور تمثلت في محاور هذا اللقاء ، والمحاور هي فضلا عن النظر في المعجم المومأ إليه:

١. العود إلى التجربة العربية في تعريب الطب والنظر في أمرها بما لها وما عليها ، وفي أسباب غيابها إذا لم تحدث في بلدانا العربية .
٢. كيف نستفيد من تراث العرب في الطب والعلوم ؟
٣. قدرة اللغة العربية على مسايرة الإبداعات في ميادين الطب والعلوم .
٤. الطب والعلوم والآفاق المستقبلية للغة العربية .
٥. حصيلة المعجمات الطبية العربية الحديثة ، تأمل وتقويم .
[د شحلان] .

ويقول الأستاذ الدكتور علي محمد كامل الذي تلقى تعليمه في بريطانيا وعاد إلى مصر ليدرس في كلية الهندسة بجامعة عين شمس : (أود أن أؤكد عن تجربة أني ما فهمت بعض ما درسته بالإنجليزية إلاّ عندما حاولت أن أعبر عنه باللغة العربية في محاضراتي وأنسّق بينه وبين سائر المادة من مفاهيم) **[عن د علي القاسمي ١٢٢]** .

وفي رواية مهندس مغربي أسّس شركة صغيرة (أنه كان يعطي إرشاداته وتعليماته إلى العاملين بالشركة في اجتماع يعقده في بداية كلّ أسبوع . لكنه لاحظ أنهم لا يتبعون إرشاداته ، ولا ينفذون تعليماته جميعها ، بل يطبقون بعضها بشكل معكوس ، فظنّ . في بداية الأمر . أنّهم إنّما يفعلون ذلك نتيجة عدم إخلاصهم أو يفعلون ذلك عمداً وكيداً لإلحاق الخسائر بالشركة غير أنّه اكتشف بعد ذلك أنهم لا يفهمون إرشاداته التي يعطيها باللغة الفرنسية) **[عن د علي القاسمي ١٢٤]** .

وتعتمد المجامع العلميّة العربية الأسس والمبادئ العالمية والجودة النوعيّة ولاسيّما مبادئ التي أرستها المنظمة العالمية للتقييس (ISO) في جنيف ، في وضع المصطلحات : بانتخاب لجنة مؤلفة من لغويين وعلماء مختصين في المجال العلمي الذي تنتمي إليه المصطلحات التي يراد وضعها ، ثمّ تناقش في المجلس ، ومن بعدها تعرض على المؤتمر العام الذي يضم أعضاء من عدد من الأقطار العربية [عن د علي القاسمي ٢٣٥] .

ونلخص دعوة المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ، في المؤتمر السنوي الثامن والسبعين لمجمع اللغة العربية في القاهرة (آذار ٢٠١٢م) ، إلى (الفصحى المعاصرة) ، وتجديد اللغة العربية بالتطويع والتكييف ، والتهذيب والتشذيب ، وبمسايرة اللغة للمتغيرات ، التي تعرفها الحياة في تطورها الدائم وتقدمها المطرد . وأن يتواكب الجهد الذي يبذل

في هذا المجال ، مع الجهد الذي ينبغي أن يبذل في التمكين من اللغة العربية في الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع ، وإلى احترام اللغة العربية واستعمالها في جميع البرامج الإعلامية في الإذاعة والتلفزيون ، مشيرًا إلى أن الأمر في جميع الأحوال يتوقف على سنّ القوانين التي تحمي اللغة العربية وتحافظ على سلامتها وصحتها في جميع المواقع التي تستخدم فيها اللغة . وأنّ تجديد اللغة العربية مقرونٌ بتقريبها من الناس ، وتيسير تعليمهم لها ، وتذليل الصعاب التي يجدها الطلبة في المدارس في تعلم قواعد اللغة العربية كما يجدها الطلاب في الكليات ، لأنّ اللغة كائن حي يعتريه ما يعتري أي كائن من عوارض ، ويخضع لتقلبات الزمن نتيجةً للتطورات التي تقع ، وللمتغيرات التي تحدث ، وللمستجدات التي تطرأ ، وأن حياة اللغة ، من حياة أبنائها ، وهي تقوى وتضعف ، حين يقوون أو يضعفون ، وأن اللغة عنصر فاعل في الحضارة ، وعامل مؤثر في النهضة ، فكلما أنشئت حضارة ونما فرعها وأثمرت أغصانها وأينعت ، ازدهرت اللغة واغتنت ، وامتدَّ إشعاعها وانتشرت ، والعربيّة لغة حيّة قادرة على الصمود أمام موجات التغريب العاتية ، ويمكنها السير في طريق التجديد الذي يقرّبها من المجتمعات المتطورة ، ويجعلها لغة الحاضر والمستقبل ، ذلك أن يهتم أهلها بشؤونها ، وفي مقدمتهم صنّاع القرار من قادة ومشرّعين برلمانيين ومثقفين وإعلاميين وتربويين ، فهي لغة ثقافتهم وجامع شملهم ، وإذا تركوها أو أهملوها ، ضاعت هويتهم وانفرط عقدهم ، وصاروا عالة على غيرهم من الأمم **[التويجري ٣٠]** .

لكنّ جملة من الأسباب العملية التي تساعد على إضعاف أداء اللغة العربية في تداول العلوم ، والحيلولة دون مسايرتها للتطور الذي تعرفه الحياة العامة في جميع مرافقها ، إذ تتعرض اللغة العربية الفصحى في تعاملاتها اليومية لهجوم لغوي ثقافي إعلامي غربي كاسح ، وتقاوم في مكابدة شاقة ، وإن لم تظهر للعيان ، الإغراءات الشديدة الإبهار التي تدفع بها نحو الانسياق وراء تيارات التغريب . وتلك حالة طبيعية في ظل الأوضاع الدولية التي تخضع لنظام العولمة الماحية للهويات ، والكاسحة للخصوصيات ، والماحقة للثوابت . ولكيلا تنهزم الأمة العربية الإسلامية في هذا المعترك اللغوي والفكري والثقافي ، فعليها أن تتشبث بدينها ، وتتمسك بثوابتها ، وأن تعلم بأن التفريط في اللغة العربية ، هو تفريط في الحرية وفي الكرامة وفي الهوية . وعلى الرغم من التراجع الملحوظ في مكانة اللغة العربية في مجتمعاتنا العربية ، فالتفاؤل موجود على الرغم من كلّ التحديات ، بأن الأوضاع لن تستمر كما هي ، وأن عودة الشعوب العربية إلى لغتها الفصحى سيأتي حتمًا ، مهما تكن العوامل المثبطة والحملات ، وأن وضع اللغة العربية في المجتمعات

العربية ، يجب أن يكون ضمن مقوّمات الهوية الثقافية والحضارية ، موضحًا أن هذا لا يتعارض في الوقت نفسه ، مع انفتاحها على آفاق العصر ، واندماجها في محيط المتغيرات التي يشهدها العالم ، من حيث تعلم اللغات الحية والتمكن منها ، وامتلاك ناصية العلوم والتكنولوجيا ، من دون أن يكون ذلك على حساب اللغة العربية **[التويجري٣٣]** .

المبحث الثالث : التعريب والمستقبل

يُحكى أنّ (ملك الصين وجه قديمًا السؤال الآتي إلى الفيلسوف (كونفوشيوس) : أريد أن أصلح مملكتي ، فبماذا أبدأ ؟ فأجابه الفيلسوف : ابدأ بإصلاح اللغة) **[محمود أحمد السيد ٣٦]**.

(وعندما سُئل بسمارك عن أفضع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر ، أجاب : إنّ المستعمرات الألمانيّة في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسميّة لها ، وكان يأمل أن تتخذ هذه المستعمرات اللغة الأم ... بدلا من الإنجليزيّة كي تضمن ولاءها لألمانيا ، وأثبت التاريخ صدق نظرة بسمارك [وحقيقة مخاوفه] ، ففي الحربين العالميّتين ، الأولى والثانية ، كان ولاء الولايات المتحدة الأميركيّة لإنجلترا على الرغم من الخلاف بين أمريكا وإنجلترا ، ومن مصادر هذا الولاء اللغة المشتركة التي تجمع الأمتين) **[محمود أحمد السيد ٣٦]** .

يقول الدكتور حمزة الكتاني : (إن اللغات التي تبوأت عرش اللغة العالمية خلال القرون الماضية هي أربع لغات :

أ- اللغة الإغريقية التي انتشرت أيام حكم اليونان .

ب- اللغة اللاتينية لغة أوروبا في العصور الوسطى .

ج- اللغة العربية التي أصبحت عالمية أيام ازدهار الحضارةالإسلامية .

د- اللغة الفرنسية التي صارت لغة عالمية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .

أما في القرن الحالي [يقصد القرن الماضي] ، فهناك عدد من اللغات الكبرى التي حققت ، انتشارا واسعاً ، ومن بينها : الإنجليزية ، والاسبانية ، والفرنسية ، والعربية ، والروسية ، والألمانية ، والصينية . ويمكن إجمال العوامل التي ساعدت على انتشار هذه اللغات بمجموعة من التأثيرات التاريخية ، والسكانية ، والجغرافية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والعقائدية ، والحضارية . كما أن منظمة الأمم المتحدة لدى تأسيسها سنة ١٩٤٥ ، اتخذت من اللغتين الإنجليزية والفرنسية لغتي عمل ، وفي سنة ١٩٤٨ أضيفت إليهما الاسبانية . وفي مارس ١٩٤٩ رُشّحت اللغتان الروسية والصينية لغتين رسميتين إضافيتين . وفي أواخر سنة ١٩٧٣ أضيفت اللغة العربية إلى لغاتها الرسمية ، فتكون بذلك اللغة العربية سادس لغة رسمية لمنظمة الأمم المتحدة) **[د حمزة الكتاني ٦٠]** .

وتوصلت مراكز البحوث الجادة ، ووسائل الإعلام الرصينة في نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، إلى تعيين معالم التغيّرات العالميّة الكبرى ، ومنها (مقالات ظهرت في مجلة . نيو لفت رفيو . اللندنيّة ٢٠١٠ :

١ . انتقال مركز العالم الاقتصادي من الشمال الأطلسي إلى شرق آسيا وجنوبها .

٢ . دخول النظام الرأسمالي بمجمله ، في أزمة أشمل وأخطر من الأزمات السابقة .

٣ . إخفاق الولايات المتحدة في فرض الهيمنة الأحادية بعد ٢٠٠١م .

٤ . انبثاق كتلة جديدة من البلدان النامية باتت على عتبة ما هي جديرة بها من مواقع .

٥ . انكفاء السلطة التقليدية للدولة والمؤسسات الرسمية وتراخي قبضتها المتحكمة بمصائر الأفراد وبقدراتهم الإبداعية الخلاقة) **[فاضل جتكر ١٩٦ . ١٩٧]** .

وفي ضوء مثل هذه التوقعات التي باتت مؤشراتها واضحة ، وتحققها ملحوظ ، بل ملموس وأكيد ، والتي تعني فيما تعنيه زوال هيمنة اللغات العالميّة السائدة ، وحلول غيرها محلّها ، لابُدّ حينئذٍ من أن نعود لعربيتنا ونتهيأ لتعزيز وجودها ، والاستعداد لمثل هذه التطورات ، والإفادة من الممكنات الملموسة ، والمزيّات التي تعدها بمستقبل زاهر ، ومنها :

أ . وحدة المرجع اللغوي الرصين ، على المستوى الصوتي ، والصرفي ، والنحوي والدلالي ، والمعجمي ، فضلا عن توافر النصوص العالية الخالدة الكثيرة ، وأوّلها النص القرآني الكريم .

ب . الموقع الجغرافي المميز على خريطة العالم ، الذي يمنح إمكانات سياسية وتجارية لمجتمع متكلمي العربية .

ج- امتلاك العرب لإمكانيات اقتصادية وبشرية هائلة ، جالبة لمستلزمات التكنولوجيا والتجديد ، إن توافرت الإرادة ؛ وعندها سيتحقق التأثير في الاقتصاد العالمي وثقافة المجتمعات ، ومعهما التأثير في البلدان الأخرى ، واللغة وفتح آفاق نشر الكتاب العربي من جملة هذا التأثير ولاسيما في الدول الإسلامية .

د- انتشار اللغة العربية بانتشار الإسلام ، ولاسيما بعد امتلاك الشعوب لزمام أمورها ، وتراجع النفوذ الاستعماري من أمم العالم الإسلامي ، لتعود اللغة العربية لغة رسمية أولى أو ثانية.

و- توسّع جعل اللغة العربية لغة رسمية ، في المنظمات العالمية ، مثل : منظمة الأمم المتحدة ، ومنظمة اليونسكو ، واليونسيف ، منظمة الوحدة الإفريقية ، رابطة العالم الإسلامي ، مؤتمر دول عدم الانحياز ، مؤتمرات الدول الإسلامية ... إلخ **[د حمزة الكتاني ٦٦]**.

ويرى الدكتور حمزة الكتاني أيضًا ضرورة الجمع بين التجديد ، والتشبث بالماضي ، وعنده أنّ هذا أصبح اختيارًا مصيريًا ، من أجل ضمان حق الوجود على وجه هذه البسيطة ، وخصوصا في القرن المقبل [القرن الحالي] الذي لن يقبل أمة ضعيفة تكنولوجياً . فعلى الأمة العربية ، بلغتها المتطورة ، والعصرية ، أن تستوعب بكل وعي ، أعباء التجديد الملائم لتنميتها ، وإلا فلتهيئ نفسها لتحمل العواقب الوخيمة المؤدية إلى النتائج المضادة لأهدافها التنموية ألا وهي الدخول في قوقعة الاستعمار الجديد ، إن هذا النوع الجديد من الاستعمار يمس أغلى طاقة للبلاد ألا وهي معلوماتها . ولن تُدوّن أمة تحترم نفسها ، معلوماتها ، إلا بلغتها القومية – كما أسلفنا – وإن لغتنا العربية لقادرة على مواجهة هذا التحدي ، إذا ما صحّت العزيمة ، وتحملت المسؤوليةَ كاملة ، النخبةُ العالمية من باحثينا وخبرائنا **[د حمزة الكتاني ٧٠]** .

إن التطور السريع في هذا العصر سيؤدي إلى اتساع الهوة ، ويضاعف أثرها ، ويفاقم الصراع يومًا بعد يوم ، بين الأمم التي تحتكر وسائل المعرفة ، ومعطياتها التي منحتها القوة ، وإمكانات السيطرة ، والغنى على حساب المجموعة الكبيرة ، فازداد فقر الأمم الفقيرة والمحرومة بالرغم من إمكانات النهوض والتحول التي تمتلكها .

فعلى علماء الأمة العربية ، أن يتنبهوا على هذا الخطر ، وأن يتجنبوا الطريق التي تُلْقِي بأمتهم الفقيرة في خانة الضعف والاستسلام ، بالاستعداد المبكر لانتهاج التجديد التكنولوجي باللغة العربية **[د حمزة الكتاني]** .

ويقول المختصون : إنّ البداية المنهجية الصحيحة لبناء النهضة العلمية يكون بالتخطيط ، وباتخاذ الوجهة الفكرية السديدة ، ويكون التقويم بحسب الأنظار العلمية الصائبة إلى الحياة ، التي تتجدد بما يناسب كلّ مرحلة من المراحل .

لذلك فـ (إنّ قضية التعريب ليست تأليفاً وترجمة ، أو بحثاً عن أصل كلمة ، إنما هي قضية تفكير ، كيف نفكر ؟

وبأيّ لغة ؟

ولماذا ؟

وقبل تحديد أداة التفكير ، يجب معرفة الذات ، من نحن ؟

إذ الفكر غالباً لابُدّ أن يُعبّرَ عن هذه الذات بلغة تتماشى مع تقدم الأمة الحضاري والفكري لكي تجد لنفسها مكاناً بين الأمم ، تخرجها من ردهات الثبات والجمود ... فالثقافة والفكر العربي والإسلامي المتجذر منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ... فعلينا أن نجد لغة علمية قادرة أن تربط الماضي بالحاضر ، وتدفع الأمة إلى الأمام والازدهار ، وهذا يعني أن ترتبط اللغة بالتفكير الذي يفكر به المجتمع لكي يحصل التقدم) **[أزمة التعريب ومأزق الترجمة ٧٦]** .

وليس هناك إلا التمييز بين منهجين : منهج التسليم للغة الأجنبيّة وإلغاء التفكير باللغة الوطنيّة ، والآخر التعاطي الإيجابي الواعي ، أي الأخذ والعطاء ، ولاسيّما ما يؤسس لنهضة علميّة تقنيّة ، على وفق الضوابط والخصائص اللغويّة العربيّة الصحيحة ، بانتقاء الأصلح لنظام اللغة العربية والأقرب لطبيعتها ، من الألفاظ الحيّة المنسجمة ، الأكثر قبولاً وملاءمة لمقتضى ما يجب ، لا الثقيلة ، ولا الغريبة ، ولا الممجوجة .

أمّا إلغاء التفكير باللغة الوطنية فتعبير عن أزمة المعنيين في التعامل مع لغة مجتمعهم ، ونأيهم عن التفكير المستقبلي في منافع استعمال هذه اللغة .

وتجاوز أزمة التردد في قبول التعريب لا تكون إلاّ باقتناع المختصين ، وتصدّيهم لهذه المهمة الكبيرة ، والتعامل الجدّي مع منظومة المصطلحات العلميّة العالمية ، من حيث إقرار تعريبها ، لأنّ المصطلحات الجزء المهم المتمّم لما يتعاملون ، فانتقال المصطلحات من لغة إلى أخرى لا يكون إلا باعتناء المختصين وقصدهم ، ولا يكون تغيير اللفظ الأجنبي إلاّ بمشاركتهم ، حتى يأخذ طريقه في الاستعمال بينهم ، ثمّ إلى مجتمعهم ، مستقرّاً في لغتهم الوطنيّة ، متخذاً مسالك الألفة مع ما في اللغة ، إذ (يتوقف انتشار ... [المصطلحات] على العرف اللغوي في البيئة التي نقل إليها ... ويبقى الاختلاف في نطقها موجوداً حتى بعد انتشار استعمالها في البيئة

الجديدة . وإن الحالة الوحيدة التي يمكن فيها تحديد مسلك الصيغة هي حالة التعريب المتعمّد ، حين تدعو الحاجة العلمية أو الفنية لاستخدام مصطلحات جديدة تدعو إليها الضرورة ...) **[د محمد عيد ١٣٠]** .

قال الدكتور شاكر الفحام : (لم تكن مشكلة المصطلح العلمي في يوم من الأيام ... عائقاً يحول دون التعريب ، ولكنّ المشكلة الأساسية التي كانت وما تزال هي في عزوف الجامعات ، ومراكز التعليم العالي والبحث العلمي ، عن اصطناع اللغة العربية لغة للتعليم) **[شاكر الفحام ١٧٥]**.

والمأمول والمعقول من علمائنا الأجلاّء هو التفكير الجدّي في تدارك مافات ، من نقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية ، وهذا هو الأمر الطبيعي ، الذي يترتب على الاتصال الاجتماعي والثقافي والعلمي بين البشر ، ولا حياة حقيقية للمصطلحات إلاّ بالتداول والتكرار في الاستعمال في مؤلفات أهل الاختصاص ، حتى تترسخ في الأذهان ، أمّا استمرار الإهمال وترك الحبل على الغارب ، وإلى جهد غير أهل الاختصاص ، فلن يحقق المطلوب منه ، لغياب الركن الأهم الذي يمنح المصطلحات الجديدة شرعية البقاء والاستمرار .

ونكرّر في هذا المقام القول بتوطين العلوم باللغة العربية ، وسبيل ذلك هو النشر في وسائل الإعلام والتدريس باللغة الوطنية ، ويكون البدء في الأقل إلى جانب اللغة الأجنبية لمصلحة المجتمع ، وقد دعت إلى مثل هذا التوجه مؤتمرات علمية عالمية ، ومنها (ما دعا المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة أن توصي باستخدام اللغات الوطنية في التعليم ، ولم تأت هذه الوصية اعتباطًا وإنما اعت قافة أن توصيمادًا على دراسات وتقارير علمية أعدّها خبراء متمكنون ومدركون لقضايا التعليم والعلم والثقافة) **[تعريب الطب ٤٠]** ؛ وربما آخر هذه المؤتمرات المؤتمر العالمي لوزراء الطب في العالم الذي رعته الأمم المتحدة في باماكو ٢٠٠٨م ، وكان قد أكّد هذا المبدأ .

ونرى أنّ الاهتمام بالعربية إلى جانب اللغات الأخرى هو لمصلحة الأساتذة والمتعلمين أنفسهم ، الذين لن يبلغوا العفويّة والتلقائيّة والمتعة إلاّ باستعمال ما تعوّدوه من لغة في صغرهم وفي مجتمعهم الأوّل ، فضلاً عن أنّ جلّهم لن يتقن اللغة الأجنبية كأهلها ، ولن يبدع فيها كإبداعه بلغته ، ولن ينتج مثلما يُتوقع أن ينتج بلسانه ، شرط أن يُهيئ للسانه وللغة أمه وأبيه

مثلما يهيّئ للغة الأجنبية ، كأن يَدْرسُ ويُدرِّس بالعربية (إلى جانب الأجنبية) عندذاك سيحقق ما هو أفضل له ولتخصصه ، ويكون قد أسهم إسهاماً مضاعفاً وفعّالاً في النهوض العلمي والحضاري لأمته ، لأنّ اللغة الأجنبية ستظلّ أجنبية ، وغريبة ، وعائقاً من معوّقات النهضة العلميّة ، مهما بالغ المبالغون في تمجيدها والدفاع عنها ، واتخاذها بديلاً عن لغتهم الوطنيّة ، التي أهملوها أيّما إهمال ، ومنعوا أنفسهم وغيرهم من طلبتهم من استعمالها ، مثلما منعهم أساتذتهم قبلهم منها ، وحرموهم وحرموا أنفسهم من التفكير فيها ، فزهدوا في النظر إلى ما أُلّف فيها قديماً وحديثاً ، وأقصوا مكتبتها وما موجود فيها من اختصاصاتهم عن كلياتهم .

ويبدو في الجانب الإيجابي أنّ المعطيات الألكترونية ، ولاسيّما الشبكة العنكبوتية ووسائل الإعلام المتحررة من نير السلاطين وقبضتهم ، هي مبعث التفاؤل ، وفيها الفرص الهائلة المتاحة ، والباب الواسع للتواصل بين العلماء العرب ، بل بين جميع أفراد المجتمع ، في جميع الاختصاصات ، التي تتجاوز اللقاءات الضيّقة المحدودة ، أعني لقاء الأفراد من النخب المرضيُّ عنهم رسميّاً سابقاً في المؤتمرات ، لأنّ هذا الانفتاح الذي يبدو كميّاً غير منظم سيتحوّل حتماً وبالضرورة والحاجة إلى كيف موجّه سيُنبّه على الصحيح ويؤسس له وإن تأخر . ذلك بعد أن تمكّن أهل العلم والعقل والاختصاص من التعبير عبر هذه الوسائل ، عن ضمير الأمة الحقيقي ومصلحتها ، خارج إرادة السلطات الغاشمة وتوجيهها وأولوياتها ومصالحها الضيقة ، بل وصراعاتها ومعاركها المفتعلة التي ليس من بينها النهضة الحقيقية ، تلك السلطات التي انشغلت بالحروب خارج إرادة الشعوب ومصلحتها ، فالمتوقع بعد الآن أن تصبح النهضة ومتطلباتها في أجواء جديدة ، ومن المطق أن تستجيب لمصلحة مجتمعات لغة الضاد ، ومتطلبات تطورها في المجالات العلمية والتقنية ، وليس هذا نابعاً من مجرّد التفاؤل بالمستقبل بل من ضرورات التطوّر وحاجاته الحقيقية ، التي ستفرضها الأغلبية العظمى على القلة البعيدة عن تحقيق آمال هذه الأغلبية ، هذا هو المنطق الطبيعي الذي سيكون إنشاء الله .

وستتحوّل عندئذ الأحلام البعيدة إلى حقائق ملموسة ، لأنها المتطلبات الحقيقية لهذه الأمة لمواجهة (التحديات الجسيمة التي تتهدّدها ، وتتطلب وجود استراتيجية شاملة متكاملة لجوانب السياسة اللغوية المختلفة ، [وقد هيّأ لها المخلصون فمنهم من] يتولى القيام بها جهاز متخصص في جامعة الدول العربية [أو غيرها] ، ويتضافر على وضعها نخبة من علماء السياسة والاقتصاد واللغة والاجتماع ، [وستحظى بدعم التوجهات الجديدة التي نوهنا عنها قبل قليل] و تحضى

[أيضاً] بدعم الدول العربية وقبولها والتزامها بها ، بِنيّة صادقة مُدركة ، لتُسهم هذه الاستراتيجية اللغوية بصورة فاعلة مؤثرة في تغيير الأوضاع وتطويرها باتجاه التنمية البشرية) **[علم المصطلح ١٠٥]** ، والمادّيّة وعلى كلّ الصعد .

ومن التفاؤل ما ذكره الدكتور أحمد مطلوب من أنّ : (وضع المصطلحات العلميّة في هذا العصر أيسر من وضعها في القديم لوضوح الرؤية وتهيئة الأسباب ... بحيث أصبحت بعد أكثر من مئة سنة واضحة جليّة ولا تحتاج إلاّ إلى تنسيق وتوحيد) **[د أحمد مطلوب ، بحوث مصطلحيّة ١٤].**

وفي هذه الأجواء سيكون التفكير الجدي في الاستفادة الكاملة من كنوز المصطلحات العربيّة التراثية في التعبير عن المفاهيم الحديثة في عصر جديد من عصور النهضة الحديثة ، بعد الخمول والانقطاع الحضاري طيلة عقود التسلط ، فضلا عن الفترة المظلمة السابقة لها ، وقد ساد فيهما التخلف والانبهار بالغرب ، والتسليم له ، يقول الدكتور علي القاسمي : (إنّ حالة الاستعجال التي فاجأت روّاد النهضة الفكريّة العربيّة وغمرتهم بسيل جارف من المفاهيم الحضارية العلميّة والتقنيّة ، لم تسمح بالبحث في التراث العربي ، مكتوباً و منطوقاً ، عن المصطلحات التي تعبر عن تلك المفاهيم ، سواء أكانت موجودة أيام ازدهار الحضارة العربية ولها مقابلات جاهزة ، أم كانت جديدة) **[د علي القاسمي ٢١٧]** .

فاللجوء إلى التعريب يوجب استنفاذ الموجود من التراث العربي ، المنطوق الذي يجري على ألسنة الناس أو مدوناتهم ، من العربية المنتقلة إليهم بالاستعمال ، ولا يخفى أثر العلماء في اختيار ما يناسب تخصصاتهم ليقابل المصطلح الأجنبي ، واشتراكهم في الاختيار هو الأساس والضروري ، لأنّ أكثر ما يكون المصطلح المحلي من التراث العربي المكتوب أو الشفاهي، الذي انتقل إلى أفراد المجتمع ، مطبوعاً، أو مخطوطاً ، أو منطوقاً ، وتجديد استعماله أو مراجعة صلاحيته مرهون بقبول المختصين وإقرارهم .

لكنْ لابُدَّ من عدم التسليم لكلّ ما موجود في التراث ولاسيّما غير المتداول ، إذ إنّ طائفة منها غير سائغة ونقلت في زمانها على عجالة من البيزنطية أو الفارسية ، أو السريانية ، من مثل ترجمة مصطلحات الفلسفة اليونانية : ميتافيزيقيا ، وإسطيقا ، وليس هناك طبيب عيون

يرضى بأن يوصف بالكحّال ، عنواناً لمهنته في التراث ، ولا المهندس الميكانيكي يدعى بصاحب (فن الحيل) **[د علي القاسمي ٢١١]** .

وهناك مصطلحات صارت عالميّة فليس من الأفضل ترجمتها وتعريبها كالمركبات الكيمياوية كالصوديوم والكوربون والأوكسجين ، وكأسماء العلماء التي صارت مصطلحات ، كإمبير ، وواط.

والأفضل بالنسبة لتعريب العلوم أن يستقصي أهل كل اختصاص بجرد ما يخصّهم في كتب التراث المطبوعة أو المخطوطة ، ثم توضع في معجم مفهرس يُيسِّر الرجوع إليها ، كتابيّاً أو حاسوبيّاً ، لتتهيّأ لأنْ تدرسَ صلاحيتها لغويّاً وعلميّاً ، مشفوعة بما يوضحها بالتعريف اللغوي والاصطلاحي ، معروضة على الجهات العلمية المجمعية والجامعية ، لتأخذ طريقها إلى الإقرار والقبول . بعد أن يتوافر معها ما يكملها من : السلامة اللغوية ، ودقّة الدلالة ، وإيجاز اللفظ وسلاسته ، ومرونة الاشتقاق ، فيكون المقترح من المطلوب تعريبه ونقله من لغة أخرى ، مطوّعًا بالتشذيب والتعديل صوتياً وبنيةً لينا سب مفردات اللغة العربية وليكون جزءاً سائغاً من نسيجها ونظامها الصوتي والصرفي والتركيبي ، لذلك يقول الدكتور سلمان الواسطي : (ليست الترجمة مجرد استبدال ألفاظ لغة ما بما يماثل معانيها من ألفاظ اللغة الثانية ، وإنّما هي عمليّة صهر وإعادة صبٍّ في قالب جديد ؛ وأنّ اللغة أيّة لغة ، صرح كبير تتظافر في إقامته (مواد) كثيرة ليست الألفاظ والمفردات إلاّ إحداها ... لقد صدق القائل . إنّ اللغة وعاء الفكر . هذا الوعاء تشكّله اللغة ذاتها أصواتاً وصرفاً ونحواً ، ثم يصب الفكر فيه تصوراته ومفاهيمه على شكل دلالات تحدّدها نظرة الناطقين بتلك اللغة إلى العالم من حولهم وتقسيماتهم لظاهره) **[د الواسطي ص ٥٠]** .

ونعرض في هذا الصدد توصيات المجامع العربيّة مختصرة ، فيما يأتي :

١ ـ ترجيح ما سهل نطقه عند اختلاف النطق في اللغات الأجنبية .

٢ ـ تغيير اللفظ صوتاً وصيغة ، حتى يصير مستساغاً ، موافقاً لما في العربيّة ، مثلما جرى في تعريب مثل : فيلوسوفيا : فلسفة على وزن فعللة ، وبتريكس : بطريق : فَعْليل **[د علي القاسمي ٤٢١]** .

٣ ـ عدّ المصطلح عربيّاً خاضعاً لقواعد اللغة العربيّة ويجوز الاشتقاق منه ، بعد تعريبه مثل : تلفون : تلفن يُتلفِنُ تلفنةً فهو متلفِن ، ومثل ، (Corsaro) الإيطالية عرّبت إلى قرصان واشتُقّ منها قراصنة وقرصنة **[د علي القاسمي ٤٢١]** .

٤ ـ تصويب الكلمات العربيّة التي حرّفتها اللغات الأجنبيّة التي كانت قد استعارتها ، ثمّ عادت إلينا منهم محرّفة مثل : (Admiral) : أمير البحر ، ومثل (Alcohol) : الغول وهي (الكحول) مادة كيميائية **[د علي القاسمي ٤٢١]** .

٥ ـ النسب إلى الصيغة الأساسية لا إلى الصيغة المنسوبة في اللغة الأجنبية ، (Classic) : كلاسيكي (وقد اجتمعت لاحقتان) الكاف الثانية لاحقة الصفة باللغة الإنكليزية والياء الأخيرة لاحقة النسب في العربيّة **[د علي القاسمي ٤٢١]** . والقياس الصحيح : كلاسي .

خطوات التعريب وضوابطه الصحيحة

وأوّلها دفع الخلط والوهم والالتباس ، الذي يجلبه ترادف المفردات للمعنى الواحد ، أو تعدّد المعاني للمفردة الواحدة في المعجمات العامة غير المتخصصة ، وقد مثّل له الأستاذ الدكتور محمود الجليلي بـ (الأبهر) الذي هو الشريان الرئيس الذي يخرج من البطين الأيسر من القلب ، الذي يتعدّد معناه في المعجمات ، وفيها عنه : عرقٌ منشؤه في الرأس ويمتد إلى القدم ، الجانب الأقصر من الريش ، والأباهر الكُلى ، والطيّب من الأرض ، والضريع اليابس ... إلخ **[الزبيدي ٢٦٣/١٠ ـ ٢٦٤ ، د الجليلي ص٢٥]** ، فلا يُظفر من هذا العرض المعجمي للمعاني المتعددة بشيء ، وكذلك التعدد في الاستعمال الحديث ، في مثل : هليوكوبتر ، وعموديّة ، وطوّافة ، وحوّامة ، وسَمْتِيّة **[د علي القاسمي ٣٧٣]** . إلا إذا عددنا هذه خمسة مسميات مترادفة لمسمى واحد ، لا أنها مصطلحات متعددة لمضمون واحد ، وعندذاك يمكن أن تدلّ كلمة واحدة على هذا المضمون ، أمّا ما لم يعيّن أحدها مصطلحاً واحداً ، ولهذا لا تصلح كتب الترجمة ، ولا المعجمات اللغوية المعروفة مرجعاً للمصطلحات العلمية التخصصيّة الدقيقة ، على الرغم من أهمّيتها وكونها تؤلّف كنوزاً لغويّة مهمة ، ذلك لأنّها لا تتطرّق إلى التحديدات المصطلحيّة العلميّة الدقيقة ، ولا بُدّ من تدارك هذا في التأليف المعجمي العلمي المستقبلي ، في التمييز بين المصطلح المحدد ، والألفاظ المتعددة ، والالتفات إلى تدوين المصطلحات المقرّة علميّاً في هذه المعجمات ، التي تُنشأ مستقبلا

، لتيسير تداولها بين من يحتاج إليها ، والتعريف بها ، وإشاعتها ، لكي لا يختلط المصطلح العلمي بما يوضحه ويقاربه من المعاني غير المصطلحيّة .

ومن الخطوات العمليّة المهمة في التعريب :

١ ـ لحظ الصلة بين المعنى الأصلي وما يراد الاصطلاح عليه ، ولا يشترط المطابقة بل يكتفى بأدنى صلة ، مباشرة أو فرعيّة غير مباشرة .

٢ ـ تقديم المعنى في اختيار اللفظ ، أي المدلول قبل الدال .

٣ ـ اختيار اللفظ غير الشائع بدلالة معينة قد ينصرف إليها الذهن ، من بين ما يترشح من ألفاظ ، لصعوبة نقل الشائع إلى المراد بدلالته الاصطلاحية الجديدة .

٤ ـ المصطلح الواحد للمفهوم الواحد ، والمفهوم الواحد بمصطلح واحد ، وتجنب الازدواجيّة الدلالية واللفظيّة .

٥ ـ تقديم ما كان اشتقاقه ووزنه عربيّين ، وتجنّب النحت لأنّ العربيّة لغة اشتقاقية.

٦ ـ اختيار ما كان موجوداً في التراث العربي .

٧ ـ أن تتوافر في المصطلح صحة الدلالة والوظيفة والمقصد .

٨ ـ التمييز الدقيق بين تعريب المصطلح الذي يكون محدّداً بلفظة واحدة ، ويكون وضعه مستقراً ثابتاً نسبيّاً ، والمعنى الذي جاء من الترجمة بألفاظ مقابلة قد تتعدد بمرادفات معنويّة تبييناً وتوضيحاً له .

٩ ـ تعريب المصطلح نقل الدلالة بلفظة عربية ملائمة لهذه اللغة وليس ترجمة حرفيّة **[الساسي ٩٦ ـ ٩٧]** .

١٠ ـ بذل المجهود المناسب في إعداد من يتولّون التعريب ، والتدريب على الآليات التي ترفع الكفاءة والمقدرة في التعامل مع المصطلح العلمي العربي الجديد ، إذ ليست القضيّة مجرد ترجمة ، بل هي مسؤوليّة حضاريّة كبيرة ، فضلاً عن كونها مسؤولية وطنية ونهضوية يُؤمل منها الخير

الكثير ، فلا يحق لمن لا يدرك أبعادها ، ولا يشعر بهذه المسؤولية أن يمارسها **[د سلمان الواسطي ، ص ٥١]** .

١١ . التنبه على أنّ المصطلح باب التعريب الواسع إلى النصوص العلمية من جهة ، وإلى اللغة العامة من جهة أخرى ، فليس بالمصطلحات وحدها ، بل بالعربية الصحيحة التي تتخللها المصطلحات العلمية والتقنية .

وقبل هذا وذاك تيسير شبكة اتصال واسعة ودائمة بين العرب من أهل الاختصاص الواحد ، والتنبيه على أهميتها ، والتهيئة لها ، للتداول في أمور المصطلحات المعرّبة التي تعنيهم ، في ابتداع الجديد منها ، ومراجعة غير المناسب لإبداله بما هو أفضل منه ، والتفكير الجدّي في التطوير العلمي واللغوي للانتقال إلى مرحلة علمية جديدة تجعل استعمال العربية إلى جانب اللغات العالمية حقيقة ملموسة وواقعا مشاهداً ، وليس طموحاً لا سبيل إلى تحقيقه ، بانتظار القدر الذي سيفرضه على الاختصاصيين الذين تعلموا على الغربيين ، ويبدو أنّ هذا لا يكون ، ولن يكون إلاّ بإدراك المنافع والأضرار البعيدة والقريبة من أهل الاختصاص أنفسهم وبإرادتهم وبسعيهم الجاد المخلص الذي يعود بالمنفعة المباشرة على تطوير العلوم ومن ثمّ مجتمع هذه العلوم ، وقد قيل : (ما أبدعت أمة بلسان غيرها) .

نقول هذا وندعو إليه لأنّ الجيل الجديد الذي قابلناه من الأساتذة الجدد يجهل جهلاً مطبقاً ، طرائق وضع المصطلح العربي ، أو تعريبه ، وحُرِمَ في كلّيته من التعامل معه ، حتى أنّه لا يعرف مصادر المصطلح العلمي العربي ، ولا أين يجده في مظانه :

أبالنظر إلى المعجمات العامة التي تترجم إلى اللغة العربية ؟

أم التسليم إلى ما يعترضه من المواقع أو المؤلفات مهما كانت ؟

ولا من أين ما صدرت ؟

فلا نجد صلة لمن نتوقع أن يكون الفيصل في هذا الأمر ، معرفة المصدر ، وتدقيق الصلاحية ، واللفظ الصحيح ، والمضمون الدقيق ... إلخ ، ورد ما يخالف كل ذلك ، ويدعو إلى التفكير بمخاطره المحدقة .

وفي هذا الصدد نعرض لمضمون مقالة الدكتور إلياس عطا الله المعنونة : (الشعور بالأمان تجاه اللغة العربيّة : اللسان والهويّة والانتماء ، وتخلي العرب عن لغتهم طريقهم إلى الهزيمة والاندثار) ؛ وفيه ينبه على خطر التهاون في استعمال اللغة الوطنية ، لمصلحة اللغات الأخرى ، لأنّه سينهي وجود هذه اللغة ، ويؤدي إلى الانقطاع عن مقدساتها وحضارتها ، و(إنّ محنة العربية لا تتمثل في حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة من عالم الحضارة المعاصرة ، إلى عالمها الذي يبدو متخلفاً ، ليس ذالك فحسب ، بل إنّ محنتها الحقيقية هي في انهزام أبنائها نفسيًا أمام الزحف اللغوي الداهم ، واستسلامهم في مجال العلوم للغات الأجنبية ، بحتى تكونت في العالم العربي جبهة عنيدة تجاهد للإبقاء على العربية بمعزل عن مجال العلوم والتكنولوجيا ، فما دامت صفوة المشتغلين بالعلوم تعرف الإنجليزية أو الفرنسية مثلا ، فلا بأس أن نعزل العربية ، بل ونقتلها في عقر دارها) **[د إلياس عطا الله]** .

وفي هذا المقال لفتات مهمة تعبّر عن الفهم الحقيقي لأثر الصراع السياسي في الصراع اللغوي بين الأمم ، وسريان نتائجه المدمّرة على مستقبل اللغات ، ويستشهد بوعي الساسة الكبار الذين أسسوا الولايات المتحدة لهذا الخطر ، فيضرب مثلاً بقلق ببنيامين فرانكلين عامَ ١٧٥٠م ، من انتشار اللغة الألمانيّة ، معبّرًا عن قلقه من انتشار الألمانيّة وهيمنتها في بنسلفينيا ، ويوم عارض جورج واشنطن تشجيعَ الهجرة في رسالته إلى جون آدمز عام ١٧٨٩م ، لأنّ المهاجرين ، يحتفظون بلغاتهم التي أتَوا بها ... ، وكان الاثنان يدركان خطر اللّغة على واقع الولايات المتحدة ومستقبلها السياسي . وتحقق لاحقاً ما توقعاه **[العربيّة: اللسان والهويّة والانتماء، إنترنت]** ، إذ صارت اللّغةَ الألمانيّة هي اللغة الرّسميّة في المدارس الأهليّة والعامّة ، فيما سمّي بـ (المثلّثَ الألمانيَّ العظيم) في الولايات المتحدة : سنسناتي (Cincinnati) ، ومِلووكي (Milwaukee) ، وسانت لويس (St. Louis) ، وتكلّلت بإصدار قوانينَ تُعلَّم على وفقها المباحثُ الأكاديميّةُ باللغة الألمانيّة ، وقد بدأت بذلك أوهَيو (Ohio) عام ١٨٣٧م ، ثمّ تلتها ولايات أخرى في الأربعينيّات ، فأعلِنَتِ الألمانيّةُ لغةَ تعليمٍ في كلّ الصّفوف في الولاية المذكورة ، وفي ويسكنسن (Wisconsin)ومسّوري (Missouri) ، ولم تكن الألمانيّة لغةَ تدريس فحسب ، بل كانت وسيلة إحياء التّراث الألمانيّ ، وتنامي المدّ القوميّ ، وتزايُدِ مظاهره وارتباطه بالبلد الأم ، حتى كانت نهاية هذه الهيمنة بُعيد الحربِ الكونيّة ، لكون ألمانيا في الجانب الخاسر ، والولايات المتحدة في الجانب المنتصر ، ذلك ما ترك أثره في مجريات الأمور لاحقاً ، وكان تراجع اللغة الألمانيّة من

النتائج الكبرى لهزيمة ألمانيا في الحرب العالميّة الثانية ، وانحسار استعمال اللغة الألمانية ، وحلول لغة المنتصر محلها حتى بين الأمريكيّين من ذوي الأصل الألمانيّ ، لتصير الإنجليزيّةُ الأداةَ الأولى في تشكيل الأمّة الجديدة **[د إلياس عطا الله ٣٥]** .

ولا عجب فإنّ للقوّة والهيمنة السياسيّة الأثر المباشر في انتشار اللغة أو انحسارها ، ورهينة بدور أهلها على الصعد كافة .

ولتقويم دور المؤسسات السياسية والتربويّة والثقافيّة ، ما جاء في مقال د علي القاسمي (واقع اللغة العربية اليوم) ، وفيه أنّ الأقطار العربيّة من أكثر بلدان العالم تخلفاً ، كما جاء في بيان المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم ، في (٨ / ١ / ٢٠٠٨) بمناسبة اليوم العالمي لمحو الأمّيّة ، وكذلك توصيات الندوة الدوليّة للغة العربيّة ، بدعوة من المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر (٢٥ . ٢٦ /٢ / ٢٠٠٩م) ، عن مستقبل العربيّة ، وقد أظهرت الدراسات أنّ اللغة العربية اليوم في خطر ، ووضع سيئ وعاجزة عن القيام بدورها في التنمية البشرية ، وتناولت الورقة المقدمة أوجه التخلف في السياسات العربية الراهنة التي أدّت إلى الإضرار باللغة العربية ، تلك التي تنتهجها الحكومات العربية ، ومنها :

١ . إنّ الحكومات العربية لا تلتزم بالتعليم الإلزامي ، فإن نسبة الأميّة في البلاد العربية تبلغ أكثر من ٣٠% ، وأن ٢٥% من الأطفال في سنِّ الدراسة ، لا تُتاح لهم فرصة الالتحاق بالمدارس .

٢ . إن النظم التربوية في البلاد العربية متخلِّفة وبعيدة عن الديمقراطية تماماً ولا تحقِّق للمواطنين المساواة في الفرص ، فهناك تعليم خاص ، لأبناء النخبة ، وتعليم حكومي سيئ لأبناء عامة الشعب . وجلّ المدارس الخاصة لا تعلّم باللغة العربية وإنما بلغات الدول الأجنبية التابعة لها . وهكذا فإن أبناء النخبة يتلقّون ثقافة أجنبية بلغة أجنبية ، وهم إمّا أنْ يشعروا بالاغتراب في مجتمعاتهم ويهاجروا إلى الغرب ، أو يتولون الحكم في بلدانهم ولا رابطة تربطهم بمجتمعاتهم ، ويغلب عليهم لاشعورياً احتقار الثقافة العربية ولغتها واحتقار الذات .

٣ . وحتى التعليم الحكومي ، لا يستعمل اللغة العربية في جميع مراحله ومختلف تخصصاته . فالتعليم العالي ، وأحياناً الثانوي ، يستعمل اللغة الإنجليزية في بلدان المشرق (العربي) أو الفرنسية في بلدان المغرب (العربي) لتلقين العلوم والتكنولوجيا . وهذا التحوُّل في لغة التعليم يؤدّي إلى انحطاط المستوى ، لأن المعلومات لا تتشكَّل في جزر منفصلة وإنما في منظومات مفهومية مترابطة متراكمة . ولكل لغة نظامها المفهومي . وهكذا فإن الطبيب الذي تلقى تعليمه بلغة أجنبية

، مثلاً ، لا يستطيع استيعاب المعرفة العلمية بعمق أو تمثّلها ، أو الإبداع فيها ، كما أنه لا يمكنه نقل معلوماته بسهولة ويسر إلى الممرضات والمساعدين الطبيّين والمرضى والمجتمع عامة . ويشكل هذا عائقاً للتنمية البشرية .

٤ . في كثير من بلدان الخليج الصغيرة الغنية بالبترول ، تتقدم بنجاح أنكلزة [نكرزة] التعليم والإعلام والحياة العامة ، بفضل العمال المهاجرين الذين يشكّلون أكثر من ٩٠% من السكان ، بحيث أصبح من اليسير جداً على أية دولة كبرى ناطقة بالإنكليزية تحويل هذه البلدان . بذريعة إحقاق حقوق الإنسان . إلى بلد ناطق بالإنكليزية لا علاقة له بالبلاد العربية ولا لغتها ، تماماً كما فعلت بريطانيا في سنغافورة بعد أن رفعت نسبة العمال المستوردين من الصين والهند وتايلند والفلبين وغيرها إلى أكثر من تسعين بالمائة من السكان وأجرت استفتاءً اختارت فيه الأكثريةُ قيامَ دولة مستقلة عن ماليزيا وناطقة باللغة الإنكليزية ، وأصبح أهل البلاد الأصليون من المسلمين الماليزيين أقلية لا شأن لها في إدارة البلاد . وقد دفع هذا الوضعُ الخطير في بلدان الخليج قائد شرطة دبي ، ضاحي خلفان يصرخ يوم ٢٠٠٨/٤/١٥ قائلاً: (أخشى أننا نبني عمارات ونفقد إمارات) **[د علي القاسمي ٢٩]** .

٥ . ويظن كثير من الخليجيين الطيبين أن انتماء العمال الوافدين إلى دول مختلفة يمنعهم من تكوين دولة لهم في بلدان الخليج ، ولم يدرك هؤلاء الخليجيون أبعاد دلالة المبدأ اللساني (اللغة وطن) ، وأنه لم يبق لتحويل بلادهم إلى بلاد من البلدان الناطقة بالإنكليزية كأستراليا وكندا ونيوزيلندة إلا خطوات شكليّة صغيرة .

٦ . إن دول أوربا الغربية التي تعرف معنى التخطيط ، تنفق أموالاً طائلة على محاربة الهجرة السريّة إليها ، ولا تسمح بزيادة عدد المهاجرين عن نسبة ١٠ ـ ١٥ % من السكان ، وتصرّ على إدماجهم عن طريق تعلّمهم اللغة الوطنية واجتيازهم اختباراً بها قبل حصولهم على تأشيرة الهجرة ، على الرغم من حاجة هذه الدول الماسة إلى اليد العاملة الرخيصة .

٧ . ومع العولمة ، ازداد تهميش اللغة العربية واستعمال اللغة الأجنبية بدلاً منها (إذ رغم الشعارات البراقة المرفوعة ، فدواليب الإدارة والتعليم والاقتصاد والتجارة والسياسة وغيرها تسير وتُسيَّر بغير اللغة العربية في معظم البلدان العربية . وإن استخدام الإدارة ، في مخاطباتها ومراسلاتها ، لغةً أجنبية لا يفهمها المواطنون ، لا تنمّ عن احتقارها للمواطنين فحسب ، بل كذلك عن رغبة كامنة في الإخلال بالسِّلم الاجتماعي **[د علي القاسمي ٣٥]** .

ونعرض أيضاً بتصرف يسير لأهم منطلقات هذه الندوة (ندوة مستقبل العربية) ٢٠٠٩م المنوّه عنها قبل قليل :

١ . لا توجد لغة متقدِّمة وأخرى متخلِّفة بذاتها ، فالتقدُّم والتخلُّف صفة الناطقين بها .

٢ . إن اللغة العربية هي لغة التواصل المشتركة ، وأداةَ حفظ تراثنا المشترك وثقافتنا ، وتصل العرب بأكثر من مليار ونصف المليار من المسلمين حول العالم .

٣ . الدول العربية محظوظة لأنّ لها لغة واحدة ، فالاتحاد الأوربي الذي يضم ٢٧ دولة يستعمل ٢٦ لغةً ، ويضطر إلى إنفاق الأموال الطائلة على جيش من المترجمين في مقر الاتحاد في بروكسل ومؤسساته المختلفة .

٤ . لا يمكن للدول العربية أن تحقّق التنمية الشاملة إلا بإيجاد مجتمع المعرفة الذي يمتلك جميع أفراده لغة مشتركة قوية موحَّدة تكون وسيلةَ النفاذ إلى مصادر المعلومات وإنتاجها وتبادلها وإشاعتها بسرعة وسهولة (عِلماً بان إيجاد مجتمع المعرفة يتطلب التزام الحكومات بالديمقراطية منهجاً وسلوكاً ، وتعليمها تعليم إلزامي جيد على نفقة الدولة ، وأخذها بآخر معطيات العلم والتكنولوجيا في الإنتاج والخدمات) ، ولا يمكن أن تكون لغة مجتمعِ المعرفة أجنبيةً ، فمحو الأمية لا يجري باللغة الأجنبية ، وتوطين العلوم والتكنولوجيا لا يتم إلاّ باللغة الوطنية . وفي هذا الصدد أشار بعض المشاركين في المؤتمر إلى أن جميع الدول الآسيوية التي حققت التنمية البشرية ، مثل اليابان وكوريا وماليزيا ، والصين ، وتركيا ، وإيران تستعمل لغاتها الوطنية في تعليم العلوم والتكنولوجيا . ففي إيران ، مثلاً ، يدرسون الطب باللغة الفارسية ، ومعظم المصطلحات الطبيّة الفارسية هي عربية تراثية ، فالألفاظ العربية تشكِّل حوالي ٦٥% من المفردات الفارسية ، طبقاً للمشارك الإيراني في الندوة الذي ضرب مثلاً على ذلك بمنصب الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رافسنجاني بالفارسية (رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام) ، فجميع هذه الكلمات الفارسية الخمس مستعارة من العربية ؛ وغني عن القول إن توطين العلوم باللغة الفارسية أهَّلَ إيران لإقامة المفاعلات النووية وإطلاق الأقمار الصناعية .

٥ . استعمال اللغة العربية لغةً للإدارة والاقتصاد والتعليم ، في مختلف مراحله ومتباين تخصصاته ، لا يستلزم مطلقاً استبعاد اللغات الأجنبية وعدم تعليمها ، فهي نافذتنا على العالم . ولكن تعلُّمها لا يعني إقصاء لغتنا الوطنية .

٦ . اللغة العربية ليست في منافسةٍ مع اللغات المحلية الموجودة في البلدان العربية كالآشورية والسريانية والأمازيغية ، فهذه لغات العرب العاربة وتنمية ثقافاتها إغناء لثقافتنا المشتركة ، وهي

لا تزاحم اللغة العربية مطلقاً ، وإنما لكلٍّ منها دورها التواصلي في مجالها حيث تُستعمَل لغة أُمّ ، أمّا العربية فهي اللغة الأمّ الموحِّدة في كل قطر عربي وفي الوطن العربي كلّه . **[د علي القاسمي ٢٠٠٩] .**

ما ينبغي عمله لإنقاذ مستقبل العربية ؟ بعد تشخيص المشاركين في هذه الندوة ، الصعوبات التي تواجهها العربية ، ما أشاروا به إلى أن مستقبلها مرهون بأيدي أصحاب القرار في البلاد العربية ، وأوصوهم بجملة من الإجراءات أهمها بعد التلخيص :

. اتخاذ قرار ملزم باستعمال العربية في كل المجالات بما يجعل منها اللغة الأساسية للتواصل والتعليم بمختلف مراحله ولاسيّما التعليم العالي .

. إنشاء مجلس أعلى للغة العربية لدى جامعة الدول العربية لتنسيق سياسات الدول الأعضاء للنهوض بالعربية .

. تنظيم علاقة اللغة العربية مع اللغات الأجنبية ، وتحديد أدوار كل منها في الأقطار العربية بما يجنّب الثنائية المفقرة للغة العربية ، ويحل لغتنا محلها الطبيعي في كل المجالات .

. فرض اللغة العربية لغةً للتعليم في المدارس والجامعات الخاصة في البلاد العربية.

. تطوير طرائق تدريس اللغة العربية وأساليبها في التعليم العام وتنمية قدرات التلاميذ على استعمال اللغة أداةً طيعةً للتعبير الوظيفي والإبداعي ، تحدُّثاً وكتابةً.

. العناية باللسانيات الحاسوبية بحثاً وتطبيقاً وتدريساً بما يساعد على استعمال اللغة العربية لدخول مجتمع المعرفة وتحقيق التنمية البشرية .

. الاهتمام بالقضايا النظرية والمنهجية في وضع المصطلحات وتأليف المعاجم المختصة والعامة .

. العناية بالترجمة العلمية والتكنولوجية ، تمشياً مع تدريس العلوم والتكنولوجياً باللغة العربية .

. التشجيع على إنشاء جمعيات أهلية للعناية باللغة العربية وتحبيبها إلى المواطنين والناشئة .

. توجيه العناية إلى نشر اللغة العربية للناطقين بغيرها من اللغات في داخل الوطن العربي وخارجه .

. إعلان سنة ٢٠١٠ سنة للغة العربية في جميع البلاد العربية .

لكن ها نحن في عام ٢٠١٢م ولم نجد شيئًا من مثل هذه التوصيات على أرض الواقع ، وهي موجَّهة إلى المعنيين في الحكومات العربية ، وتصدر باستمرار منذ عشرات السنين ، من المجامع اللغوية العربية ، ومؤتمرات التعريب ، والندوات العلمية المختلفة . بل إن مؤتمرات وزراء

التربية والتعليم العرب ، ومؤتمرات وزراء التعليم العالي العرب ، واتحاد الجامعات العربية المكون من رؤساء الجامعات ، قد ردّدت هذه التوصيات مرات ومرات ، ولاسيما ضرورة تعريب التعليم العالي ، ولم يتمكَّن هؤلاء الوزراء من تنفيذ توصياتهم وتعريب الجامعات التابعة لهم .

فمَن ، يا ترى ، هو صاحب الكلمة في هذا الشأن ؟ ! !

ولن يُندب لهذا الأمر الخطير غير المخلصين المختصين المبدئيين مع أنفسهم ومجتمعهم **[د علي القاسمي ٣٢]** .

المبحث الرابع : مراجع التعريب الألكترونيّة المهمة

لا بُدّ أن يطلع المختصون على الجهود الكبيرة التي أنجزتها المؤسسات العلمية العربيّة في هذا العصر ، ومن ضمنها المناهج المعتمدة ، ولاسيّما ما يراجعه خبراء مكتب تنسيق التعريب ومتخصصوه من المصطلحات ، وكذلك ما تصدره المجامع العلمية ، والجامعات والمؤسسات المتخصصة ، وطريقة عرضها بعد تنسيقها على الجهات المعنيّة لإبداء الرأي والمشورة فيها ، ثمّ مناقشتها مرّة أخرى من اللغويين والمختصين للتدقيق والموازنة بالمقابلات الأجنبيّة واختيار الأفضل ، ومن ثمّ تقديم المعدّل تعديلاً أخيراً إلى لجنة متخصصة من لجان التعريب لدراسته وإقراره وليصدر من المكتب في معجم موحد ، وقد شرع هذا المكتب بمراجعة المعجمات الموحدة التي أصدرها لتجديدها في ضوء التطورات العلمية **[د علي القاسمي ٢٣٦ ، ٢٣٧]** . أمّا أبرز المراجع العلمية المعتمدة فهي :

١ . المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق التابع للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، وهذا هو موقعه الألكتروني : acatap@net٠sy ، و acatap٢@gmail.com هو جهاز متخصص من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، يعمل على المساعدة في تعريب التعليم العالي والجامعي بفروعه وميادينه كافة ، بما في ذلك تأمين حاجات التعريب من المراجع والكتب والدراسات والبحوث والمستخلصات ، ترجمة وتأليفاً ونشراً وتوزيعاً ، والتعاون مع الجهات المختصة ومنها مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة ، ومجامع اللغة العربية ، ومراكز البحوث ، واتحاد الجامعات العربية وسائر الجهات المعنية الأخرى العربية والدولية . و متابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة العلمية والأدبية والفنية في العالم ، والتعريف به واختيار الجيد الملائم منه لتعريبه . وتنسيق مجهودات الترجمة والتأليف التي تتم في الوطن العربي وتنشيط تبادل الخبرات والمطبوعات بين المؤسسات العربية العاملة في هذا الميدان ، وإجراء المسوح والبحوث والدراسات التربوية حول قضايا التعليم العالي والتنسيق بين مؤسساته ، وإغناء الثقافة العربية بتعريب الرفيع من روائع الفكر العالمي في العلوم والآداب والفنون ، ونقل ما لم ينقل منه إلى العربية ، وإقامة أشكال متنوعة من التعاون مع الجامعات العربية ووزارات التعليم العالي والبحث العلمي ، وسائر الجهات المعنية الأخرى في البلاد العربية لتعريب التعليم فيها ، وتنظيم مؤتمرات وندوات عربية ودولية مشتركة وحلقات بحث وورش عمل والمشاركة فيها لمعالجة الأمور المتعلقة بتعريب التعليم العالي في الوطن العربي ،

بما يخدم التكامل العربي علمياً وثقافياً واقتصادياً وتنموياً ، والعمل على الاستفادة من بحوث العلماء والطلاب العرب داخل الوطن العربي وخارجه ، والإسهام في ترجمة ملخصات ومستخلصات من أطروحاتهم ودراساتهم حسب أهميتها التطبيقية لمشاريع الإنماء العربي المتكامل ، وإنشاء مصرف للمعلومات في مجال أهداف المركز وغاياته وأعماله ، وإصدار دورية علمية تعالج الموضوعات التي يختص بها المركز ، ووتعرِّف بنشاطاته ومشروعاته .

٢ . جمعيّة المعجميّة العربية بتونس : وهي هيأة علمية تأسست بتونس عام ١٩٨٣م ، تهتم بالبحث المعجمي لما يهم العربية ، وقد اعتنت بالمعجم التاريخي . وتصدر هذه الجمعية مجلة علمية متخصصة تسمى مجلة المعجمية . ويترأسها منذ عام ١٩٩٤م الأستاذ إبراهيم بن مراد i.benmrad@hexabyte.tn

٣ . الجمعية المصريّة لتعريب العلوم www.taareeb.org والبريد الإلكتروني : mhamlwy@hotmail.com ، وتهدف الجمعية المصرية لتعريب العلوم إلى تفعيل دور اللغة العربية فى المجتمع العربى عامة ، وتضع فى أولى أولوياتها أن تكون اللغة العربية هى لغة التعليم الجامعى ، وعقد المؤتمرات والندوات بالمشاركة مع الهيئات العلمية المختلفة بهدف إيضاح الحقائق حول قضية التعريب ، كما تقوم الجمعية بتناول مفردات قضية التعريب بالبحث والدراسة ونذكر منها الهوية والأرقام العربية والرموز العلمية والتوصيف القياسى للحروف والأرقام والرموز العربية وغيرها من مفردات قضية التعريب . تعريب التعليم حيث سيتبعه تلقائيا تعريب كل ما يتعلق بالحياة العامة ، والارتقاء بممارستنا للغة العربية ، تعريب التعليم من طب ، وهندسة ، صيدلة ، تجارة ... الخ . البدء بالطب والهندسة لكونهما أكثر العلوم مقاومة للتعريب . وإذا ما عرب الطب والهندسة فستسير بقية العلوم على نفس المنوال . وليكن ذلك من خلال تعريب الكتب ومستخلصات البحوث والمجلات العلمية والبحوث والنشرات العلمية ، ونظراً لتوافر قدر مقبول من الكتب العلمية بالعربية تغطى مختلف مناحى الدراسات الجامعية الأولى (فى سوريا على سبيل المثال) والدراسات قبل الجامعية (فى مختلف البلدان العربية) ونظراً لصعوبة البدء بتعريب غير ذلك من الكتب ولرغبتنا فى التوجه نحو هدف واقعى وغير مستحيل ... يمكن البدء بتعريب البحوث ومستخلصات البحوث والنشرات العلمية دون أن يغيب عن بالنا تعريب الكتب العلمية . وسيكون من ضمن ما يجب فعله فى هذا المجال الحصول على الكتب العلمية المنشورة بواسطة الهيئات القومية والوطنية فى مختلف بلداننا العربية ونشرها (بعد موافقة الجهات صاحبة

حقوق النشر) على شبكة المعلومات العالمية كى يتمكن الجميع من الاستفادة من تلك الثروة العلمية . وبهذا نكون قد وضعنا أيدينا على خطوة عملية نحو الهدف ... ولا يكفى الحصول على الكتب العلمية العربية وترجمة غيرها من الكتب والبرمجيات والبحوث إلى العربية وتحفيز الكافة للكتابة بالعربية فى تحقيق التعريب بل يلزم الترويج للقضية من خلال خلق سوق يستوعب تلك المواد المعربة. وفى هذا الصدد يلزم الترويج للكتب المُعَرَبَة سواء أكانت المؤلفة بالعربية أم المترجمة إليها إجراء ونشر البحوث والدراسات العلمية عن قضية التعريب والتى منها ما يبين العلاقة بين التعلم باللغة القومية وبين الابتكار والإبداع ، وذلك فى مختلف المحافل والمؤتمرات العلمية ، وكتابة المقالات ونشرها فى الصحف وعلى شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) عن مختلف جوانب قضية التعريب ، وتجميع المقالات التى تتحدث وتناقش قضية التعريب ونشرها على شبكة المعلومات العالمية ، وحصر موقف التعريب فى الكليات الجامعية المختلفة والتعريف بجهود التعريب فيها ، وحصر المواد المعربة ومنها الكتب والبحوث والبرمجيات بالإضافة إلى المواقع المهتمة بقضية التعريب ، والترويج لقضية التعريب من خلال حصر عناوين المهتمين بالتعريب من الفئات المستهدفة وهى بالأساس أساتذة الجامعات ورجال التعليم والمثقفين وأصحاب القرار والمهتمين بقضايا التنمية ، وتدعيم الشبكة العربية لدعم المحتوى العربى ، وتحديث البيانات الخاصة بقضية التعريب بصورة دورية ، والبناء على ما أنجزته التجارب العربية الرائدة فى هذا المجال فى سوريا والعراق والجزائر والسودان والسعودية ومصر وغيرها، وذلك كمدخل لتعريب التعليم الجامعى فى مختلف ربوع أمتن ، وإبراز الوجه الحضارى المشرق للغتنا العربية فى العصر الحديث وفى عصور النهضة العربية ، وتعلم اللغة العربية بدرجة يمكن معها حل عقدة اللسان العربى فى تعاملاته العلمية ، ونشر الوسائط المتعددة والبرمجيات التى تصب فى تعليم اللغة العربية الفصحى ، الترويج للدورات القائمة التى ترفع المستوى المهارى فى استخدام اللغة العربية **[www٠taareeb٠org]** .

٤ . معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط : مختصره (معربي LEXAR) من كلمتين : (معجم) و(عربي) ، ويضم أكثر من نصف مليون كلمة عربية مع مقابلاتها الإنكليزية والفرنسية واللاتينية أحياناً ، في مختلف حقول المعرفة ، وتوثيقها من معجمات صادرة عن مؤسسات عربية معروفة ، مثل المجامع اللغوية والعلمية العربية ، ومكتب تنسيق التعريب ، والمنظمات العربية والدولية **[د علي القاسمي ٦٤٨]** .

٥ . البنك الآلي للمصطلحات ومختصره (باسم) : لمعالجة المصطلحات العلمية والتقنيّة الجديدة ، معتمداً على المجامع العربية ومكتب تنسيق التعريب ، ويتبع (باسم) مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (KACST) ، وهي مؤسسة حكومية مقرها الرياض . بنك معلومات مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية ww.kacst.edu.sa ، أهداف (باسم) : بناء معجم موسوعي آلي (رباعي اللغة يشمل العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية) للمصطلحات العلمية والتقنية ، وذلك عن طريق توثيق المصطلحات المنشورة ، والإسهام في دعم جهود التعريب الذي تتبلور فكرته حول طرح مشاريع معجمية وإنجازها وفق إمكانات البنك المتاحة ، وإشاعة ونشر المصطلحات العلمية والتقنية بين المستفيدين ، من خلال شبكة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، أو عن طريق إصدار معاجم متخصصة بأوعية المعلومات المختلفة (الطباعة الورقية أو النشر الإلكتروني) .

ومصادر المشروع : مجامع اللغة العربية في العالم العربي . ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي . ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب . والمنظمات العربية (كالمنظمة العربية للمقاييس ، والمنظمة العربية للتنمية الزراعية ، ومنظمة الدول العربية المصدر للبترول ...) ، والمعاهد ومراكز البحث العلمي في سائر البلاد العربية .

ويسعى البنك إلى توثيق المصطلحات والمعلومات ، لأن بنوك المصطلحات تهتم بموثوقية الإصدار ، وتحظى إصدارات المؤسسات الرسمية بموثوقية أكبر لكونها تقوم على مجال التعريب أو التوحيد ، وهي مرتبة حسب أولويتها : المصادر الموحدة – مكتب تنسيق التعريب ، والمجامع اللغوية العربية ، والمنظمات والمؤسسات المعنية بالمصطلحات ، وبنوك المصطلحات ، ودور النشر .

وتتوافر حالياً في (باسم) قائمة مخزنة بالحاسب تشمل أكثر من ٢٠٠ تصنيف (رئيسي وفرعي) ، تغطي معظم التخصصات العلمية ، حيث يندرج تحت كل تصنيف لتخصص عام ، عدد من تصنيفات التخصصات الفرعية **[ww.kacst.edu.s]** .

٦ . مكتب تنسيق التعريب بالرباط ،www.arabization التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومقرها في تونس ، وينتهي إلى هذا المكتب ما تنجزه المجامع اللغوية العربية ، في دمشق ، والقاهرة ، وبغداد ، والمؤسسات العلمية والجامعية الأخرى في الوطن العربي ، فهو يسعى لتثبيت المصطلحات العلمية والتقنية العربية الموحدة مع مقابلاتها الإنجليزية والفرنسية ،

بعد إقرارها في مؤتمرات التعريب العربية ، وعنوانه على (الانترنت) www.arabization ، وفيه تخزين لمحتويات مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب بانتظام **[د علي القاسمي ٦٥١]** .

ومكتب تنسيق التعريب أو أكاديمية المملكة المغربية أو المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط بالمغرب ، هو الجهة التي يقع على عاتقها العبء الأكبر لتجميع المصطلحات العربية وإحصائها وتصنيفها وإعدادها للمراجعة والمناقشة ونشرها. وهو مكتب تنسيق التعريب في الوَطن العربي كافة وليس المملكة المغربية فقط ، ولكن مقره هو الرباط ، وتُشرف عليه (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) أو كما تسمى اختصارا (الأليسكو) . وقد جاء تأسيس المكتب كنتيجة لمؤتمر التعريب الأول الذي أقيم في الرباط في نسيان (أبريل) عام ١٩٦١ ، وقد اهتم بتعريب وتوحيد مُصطلحات العلوم ، فحتى عام ١٩٨١م قام بإتمام العمل على مصطلحات ٢٠ علما والتي بلغ عددها ٦٧ ألف مصطلح تقريبا . ومنذ يونيو ١٩٦٤م بدأ المكتب بإصدار مجلة اسمها (اللسان العربي) ، كما أنه أصدر معاجم لغوية في العلوم والأمور المختلفة . وقد نظّم وأشرف على عدة ندوات ومؤتمرات مثل مؤتمر تعريب أقيم في الجزائر) م (١٩٧٧وآخر في الأردن (١٩٨٤)، وقد جاءت تلك الندوات والمؤتمرات بنتائج جيدة ، مثل وضع مبادئ وأسس لاختيار المُصطلحات العلمية وابتكارها ، فضلاً عن تعليم التعريب وكيفية نشره .

وجاءت فكرة إنشاء مكتب تنسيق التعريب ، بهدف خلق جهاز عربي متخصص ، يُعنى بتنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات الحديثة ، والإسهام الفعال في استعمال اللغة العربية في الحياة العامة وفي جميع مراحل التعليم وفي كل الأنشطة الثقافية والعلمية والإعلامية ، ومتابعة حركة التعريب في جميع التخصصات العلمية والتقنية . وقد اقتنعت الدول العربية بدور هذا الجهاز وبأهمية إحداثه ، فانعقدت – تنفيذاً لتوصيات مؤتمر التعريب الأول الذي التأم بالرباط سنة ١٩٦١– الدورة الأولى لمجلسه التنفيذي بالرباط في ١٩ فبراير ١٩٦٢، ثم ألحق بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية في مارس ١٩٦٩ . وعند قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كوكالة متخصصة في نطاق جامعة الدول العربية في يوليو ١٩٧٠، أُلحق بها هذا الجهاز في مايس ١٩٧٢، وكان يسمى آنذاك (المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي) ، وأقر المجلس التنفيذي للمنظمة نظامه الداخلي في دورته الثامنة المنعقدة بالقاهرة من ١/٢٧ إلى ١٩٧٣/٢/٣. وينفرد مكتب تنسيق التعريب باختصاصات مهمة

أنشئ من أجلها على وفق أنظمة ولوائح متعاقبة ، كان آخرها نظامه الأساس الذي صدر سنة ١٩٧٣، والذي حدد أهداف المكتب في ما يأتي :

أ- تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده ، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة.

ب- تتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها.

ج- تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمي والحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة .

د- الإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب .

ولتحقيق هذه الأهداف يسعى لما يأتي :

أ- تتبع ما تنتهي إليه بحوث المجامع اللغوية والعلمية ، وكذلك نشاطات العلماء والأدباء والمترجمين مما يمس مباشرة قضايا التعريب والمصطلح ، وجمع ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه تمهيداً للعرض على مؤتمرات التعريب .

ب- التعاون الوثيق مع المجامع اللغوية والهيئات والمنظمات التعليمية والعلمية والثقافية في البلاد العربية.

ج- الإعداد لعقد الندوات والحلقات الدراسية الخاصة ببرامج المكتب.

د- إصدار مجلة دورية لنشر نشاطات المكتب، ونتائج أعمال المؤتمرات والندوات التي يعقدها ، إلى جانب البحوث اللغوية والمصطلحية وقضايا الترجمة التي تحتل مساحة كبيرة من حجمها.

هـ- نشر المعاجم التي تقرها مؤتمرات التعريب.

و – غير ذلك من الأعمال الكفيلة بتحقيق أهدافه. ويحتاج المكتب إلى الدعم بالإمكانات المادية والبشرية والتكنولوجية لتمكينه من القيام بمهمته على نحو أوسع.

ويقوم مكتب تنسيق التعريب بجهود كبيرة ، لكنها تبقى غير كافية ، وعلى سبيل المثال واعتمادا على نشرية صادرة عن مكتب تنسيق التعريب ، عربت ووحدت مصطلحات علمية من علوم مختلفة :

فمن سنة ١٩٧٣ إلى سنة ١٩٨١: عرب ووحد ٥٩.٩٩٤ مصطلحاً صدرت في معاجم متخصصة عن مكتب تنسيق التعريب ، وهي في الحقيقة قوائم مصطلحات غير معرفة علمياً ونصها المعجمي العلمي يكاد يكون معدوماً.

وفي سنة ٢٠٠٢ أصدر مكتب تنسيق التعريب ٢٩ معجماً معرباً موحداً ، بل قوائم مصطلحات في ٢٩ علماً ، تحتوي على ٨٢.٩١٠ مصطلحاً في ٢٩ علماً.

فلقد عرّب مكتب تنسيق التعريب ووحد من ١٩٧٣ إلى ٢٠٠٢ ما قدره ١٣٢.٩٠٤ مصطلحاً ، وضعها تحت تصّرف العلماء والأساتذة ، والطلاب والتلاميذ ، لتمكين العربية من مواجهة هجمة التحديات المحيطة بنا **[www.arabization]** .

الخاتمة

ما نؤمله من هذا البحث تذكير الباحثين الجامعيين بضرورة إعادة اكتشاف لغتهم علميًا ، والالتفات إلى الأهميّة القصوى لموضوع تعريب العلوم ، الذي ما عاد شعارًا يتغزّل به المتحمسون من الوطنيين والقوميين والإسلامين وغيرهم ، بل ضرورة علمية ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، ولن يتحقق ما يريد المخلصون إلا بـ :

١ . التعرف على المصادر العلمية العربية القديمة والجديدة ، التي أُبعِدتْ عن المختصين لمصلحة اللغة الأجنبية .

٢ . التفكير في أسس التعريب ، والتوليد ، والاشتقاق ، والتدرّب على التعامل مع اللغة العربية لغة للعلم ، مفردات ، وتراكيب ، ونصوص علميّة ، والاعتناء بالمصطلح العلمي العربي ، وتدقيق صلاحيته ، وإعادة التفكير في اختيار ماياسب هذا العصر ، أو إيجاد ما يتفرع عن الموجود منه .

٣ . المراجعة المستمرة للمصطلحات المعرّبة ، التي أقرتها المجامع العلمية العربية ، والدعوة إلى استعمالها ، أو السعي إلى تجديدها سنوياً إن لم تعُد صالحة ، وجعل هذا التوجه جزءًا من اهتمام البحوث والرسائل والأطاريح مثلما يجري عند أهل اللغات الحية .

٤ . التفكير الجدّي بالتعجيل بتعريب المستحدثات التي لا مقابل لها في العربية ، واقتراح ما يناسبها ، واستشارة اللغويين لمعرفة الصحيح من الألفاظ ، والمعنى الأقرب إلى الدقة منها .

٥ . اتّباع الأسس الصحيحة في التهيئة المستقبليّة لابتداع المصطلح الجديد ، صوتيّاً وصرفياً ، ونحويّاً ، ودلاليّاً ، وترك الاستعانة العشوائيّة بمواقع الانترنت ، ولاسيّما غير المعتمدة من الجهات العلمية العربية .

٦ . الرجوع إلى المجامع اللغوية العربية في التعريب ، ودعمها ، والتفاعل مع لجانها ، والسعي إلى توحيد جهودها .

٧ . وعي المشكلة اللغويّة المستقبلية في ظل التحولات الكبرى ، الحاليّة والمحتملة دوليًّا ومحليّاً ، والاستجابة لمتطلبات النهضة الحقيقية ، ولاسيما في ترصين التعليم العلمي باللغة الوطنية الأكثر نفعًا للمتعلم والمجتمع .

<u>ملحق بعدد من المعجمات المختصة الحديثة في المكتبة العربية</u> [عن علم المصطلح ، القاسمي ١٩٢]

الجهة الواضعة	عدد المعجمات
الأمانة العامة للجامعة العربية	٠٦
المنظمات العربية المتخصصة	٠٩
مكتب تنسيق التعريب في الرباط	٥٥
الاتحادات المهنية العربية	٠٧
المؤسسات الوطنية (الجامعات والمجالس)	١٥٠
المؤسسات العالمية والأفراد الأجانب	٢٠
الأفراد العرب	٢٨٤
المجموع	٥٣١

ملحق بأهم معجمات اللغة العربية العامة

العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٩٥هـ)

البارع لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)

تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠هـ)

الصحاح للجوهري (ت ١٠٠٣م)

المجمل ومقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)

المحكم لابن سيده الأندلسي (ت٤٥٨هـ)

أساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ)

العباب للصاغاني (ت٦٥٠هـ)

لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ)

القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت٨١٦هـ)

تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)

المعجم الوسيط ، معجم حديث برعاية المجمع العلمي في القاهرة

تكملة المعاجم العربية ، رينهارت دوزي ، ترجمة د محمد سليم النعيمي ، بغداد ١٩٧٦م .

بعض المعجمات الموضوعيّة التراثية المليئة بمواد تصلح لأن تكون مراجع للتعريب من غير المعجمات العامة :

الغريب المصنّف لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ) وقد تضمّن عدّة أبواب أو موضوعات أو كتب ، هي : ومنها كتاب (خلق الإنسان) ، وكتاب الأطعمة ، وكتاب الأمراض ، وكتاب الطيور والهوام ، وكتاب الشجر والنبات ، وكتاب المياه والقنى ، وكتاب النخل ، وكتاب السحاب والأمطار ، وكتاب الأزمنة والرياح ، وكتاب الأسماء المختلفة للشيء الواحد ، وكتاب الإبل ، وكتاب الوحش ... إلخ .

والمخصص لابن سيده الذي تضمّن عدّة أبواب أو موضوعات أو كتب ، هي : ومنها كتاب (خلق الإنسان) ، والحمل والولادة ، والرضاع والفطام وسائر ضروب التربية ، والغذاء السيّئ للولد ، وأسنان الأولاد وتسميتها من مبدأ الصغر إلى منتهى الكبر ، واللذة ، ووذكر شخص الإنسان وقامته ، والرأس .

وديوان الأدب للفارابي (٣٥٠هـ) وهو أوّل معجم عربي مرتب بحسب الأبنية وأوزانها الصرفية ، إذ يحصر ما جاء من ألفاظ اللغة على كلّ وزن من الأوزان ، في خمسة أجزاء ، ضمّ الجزء الأخير الفهارس وأهمها فهرس الألفاظ .

وكتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار (ت٣٦٩هـ) .

والقانون في الطب لابن سينا (ت٤٢٩هـ) .

وكتاب المرشد في طب العين للغافقي الأندلسي (ت٥٢٩هـ) .

والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (ت٦٤٦هـ) .

المصادر والمراجع

ابن جني ، الخصائص ، تح محمد علي النجار ، بغداد ، ١٩٩٠ م .

ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

ابن عطيّة الأندلسيّ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تح عبد السلام عبد الشافي ، بيروت ، ٢٠٠١ م .

ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت .

أبو حيان الأندلسي ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تح رجب عثمان محمد ، القاهرة ١٩٩٨م .

ـ والبحر المحيط ، الرياض ، د ت .

د أحمد سليم سعيدان ، مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام ، الكويت ، ١٩٨٨م .

د أحمد شحلان ، مجلة اللسان العربي العدد ٤٣ ، ١٩٩٧م .

د أحمد مطلوب ، بحوث مصطلحيّة ، بغداد ، ٢٠٠٦م .

ـ والهيئة العليا للعناية باللغة العربية ، بغداد ، ٢٠٠٩م .

إدريس العلمي ، في التعريب ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١م .

ـ وفي المصطلح ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١م .

ـ ومفاضلة لغويّة ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٤م .

د أدوارد جي براون ، الطب العربي ، ترجمة د سلمان علي ، ط٢ ، بغداد ، ٩٨٦م .

أدوارد وليم لين ، مقدمة مدّ القاموس ، ترجمة عبدالوهاب الأمير ، مجلة المورد ، المجلد ٥ العدد ٢ ، بغداد ، ١٩٧٦.

د إسحاق الفرحان ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عمان ، ١٩٨٣م .

د إلياس عطا الله ، http:llwww.diwanalarab-comlspip.php?rubrique١١٠

الشعور بالأمان ، اللسان والهوية والانتماء ، في ٢٦ / ٣ / ٢٠١٢ م .

أنور الجندي ، الفصحى لغة القرآن ، مصر ، د ت .

بن مراد إبراهيم ، المعرب الصوتي ، تونس ، ١٩٧٨م .

التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تح د لطفي عبد البديع ، مصر ، ١٩٧٢م .

د التويجري عبد العزيز ، المؤتمر الثامن والسبعون لمجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ٢٠١٢م.

الثعالبي ، فقه اللغة وسرّ العربية ، مصر ، ١٩٨٠ م .

الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة ، د ت .

الجرجاني السيد الشريف ، التعريفات ، بغداد ١٩٨٦م .

جرجي زيدان ، اللغة العربية كائن حي ، بيروت ، ١٩٨٨م .

د الجليلي محمود ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، ١٩٨٤م .

جمال محمود ، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتنغشتاين ، بيروت ٢٠٠٩م .

الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، تح خليل عمران المنصور ، بيروت ١٩٩٨م .

د حسين نصار ، كلمته بمناسبة تكريمه ، مجلة تراثيات ، العدد ٥ ، ٢٠٠٥ .

د حلمي خليل ، مقدمة لدراسة اللغة ، الاسكندرية ، ١٩٩٦م .

الخطيب د أحمد شفيق ، مجلة اللسان العربي ، تعريب العلوم ، الرباط .

راجي عباس التكريتي ، تعريب الطب ، لماذا ؟ ومتى ؟ وإلى أين ؟ د بغداد ، ١٩٩١م .

الرازي ، مختار الصحاح ، بيروت ، ١٩٨١ م .

الرفاعي د محمود فيصل ، مجلة آفاق الثقافة التراث ، كيف تسهم التكنولوجيا في النهضة ، العدد ٩ ، دبي ، ١٩٩٥م .

رواء زكي يونس ، مجلة آفاق الثقافة التراث ، الثنائية اللغوية ، العدد ٤٨ ، ٢٠٠٥م .

رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة محمد سليم النعيمي ،بغداد ، ١٩٧٨م .

الزبيدي ، تاج العروس ، الجزء العاشر ، تح إبراهيم الترزي ، الكويت ، د ت .

د الزركان محمد علي ، الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث ، ١٩٩٨ م .

الزمخشري ، شرح المفصل ابن يعيش ، تح د أميل بديع يعقوب ، بيروت ٢٠٠١م .

د سامي مهدي المظفر ، مواصفات الكتب الترجمة ، منشورات مجلة المجمع العراقي ، ١٩٩ .

د سمر روحي ، مجلة آفاق الثقافة التراث ، قضية قدرة اللغة العربية على استيعاب العلم وتأصيله ، العدد ٣٨ ، دبي ، ٢٠٠٢م .

سيد قطب ، النقد الأدبي ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٤م .

السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، تح محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط ٣ ،القاهرة ، د ت .

د شاكر الفحام ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، قضيّة المصطلح ، مج ٥٩ ، ج٤ ، ١٩٨٤م .

الصاحبي ، لابن فارس ، تح أحمد صقر ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

د صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، ط ٤ ، ١٩٧٠م .

صلاح الدين الزعبلاوي ، مجلة التراث العربي ، الاشتقاق ، دمشق ، العدد ٩ ، ١٩٨٢م .

الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، د ت .

د عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات ، دار الكتاب العربي ، تونس ١٩٨٤ م .

ـ العولمة والعولمة المضادة ، ١٩٩٩م .

د عبد الصبور شاهين ، دراسات لغوية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

د عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، بغداد ، د ت .

د.عبد الله أبو هيف ، مستقبل اللغة العربية : حوسبة المعجم العربي ، ٢٠٠٨م .

http:llwww.voiceofarabic.netlindex.php?option=com-content

د عمار الساسي ، المصطلح في اللسان العربي ، الأردن ، ٢٠٠٩ م .

د علي زوين ، مقدمة في علم اللغة العربية ، بغداد ، ٢٠١١م .

د علي القاسمي ، علم المصطلح ، لبنان ، ٢٠٠٨ م .

ـ ومستقبل العربية في سوق لغات العالم ، العلم الثقافي الرباط ٢٠٠٩ ،

http:\\www.hadramy.net?showthreatshowbooks

د عناد غزوان ، و د جلال الخياط ، ود علي عباس علوان ، من آثار الجاحظ ، بغداد ١٩٨٠م.

الفارابي ، ديوان الأدب ، تح د أحمد مختار عمر ، القاهرة ،١٩٧٤ م .

فاضل جتكر ، مجلة العربية والترجمة ، تجربتي مع الترجمة ، العددان ٥ ، ٦ بيروت ، ٢٠١٠م .

الكفوي أبو البقاء ، الكليات ، تح عدنان درويش ومحمد المصري ، دمشق ١٩٩٢ .

د كمال بشر ، القول القوام فيما يثار حول العربيّة من كلام ، جريد الأهرام ، ٦ /١٢/ ٢٠٠٥ .
http:\\www.voiceofarabic.netlindex.php?option=com-content

٢٨ /٧/ ٢٠٠٨

د مازن المبارك ، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلم ، مؤسسة الرسالة ، النفائس.

د محمد حسان الطيان ، العربية لغة العلم ، .
http:\\www.voiceofarabic.netlindex.php?option=com-content

د محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

د محمد الكتاني ، الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢م .

ـ وإشكاليّة اللغة والفكر .

د محمد هيثم الخياط ، في سبيل العربية ، مصر ، ١٩٩٧م .

د محمود أحمد السيد ، العربيّة وتحديات العصر ، ٢٠٠٨م .

محمود الحاج قاسم محمد ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، الطب العراقي وأثره في الطب اللاتيني ، العدد ٦٧ ، ٢٠٠٩م .

د محمود سليمان ياقوت ، فقه اللغة وعلم اللغة ، الاسكندرية ١٩٩٤م .

مصطفى الحداد ، اللغة والفكر وفلسفة الذهن ، تطوان ، ١٩٩٥ .

د ممدوح محمد خسارة ، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات العربية ، دمشق ، ٢٠٠٨م.

المنشي ، رسالة التعريب تح د محمد حسين آل ياسين ، عمان ، ٢٠٠٩م .

د موسى بن مصطفى العبيدان ، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين ، ، سوريا ٢٠٠٢م .

ناصر النعيمي ، المصطلح اللغوي العربي بين الواقع والطموح ، الأردن ٢٠٠٨م .

د نور الدين عصام ، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ، بيروت ، ١٩٩٧م .

هيثم المشكور ، مجلة الترجمة واللسانيات ، أزمة التعريب ومأزق الترجمة ، بغداد ، العدد ٣ ، ٢٠٠٦م .

د الواسطي سلمان ، مواصفات الكتب المترجمة ، المجمع العلمي ، بغداد ١٩٩٨م .

د ولد سيدي أحمد ، التعريب من خلال مكتب تنسيق التعريب ، مجلة لسان العرب .

يوهان فك ، العربية ، نقله إلى العربية د عبد الحليم النجار ، مصر ، ١٩٥١م .